

إحسان عبد القدوس

# لا.. ليس جسدي

الناشر : مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي "الغزالة"  
سعيد، جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة

٢٧ شارع كامل صدقي

كانت طالمة معى فى الجامعة .. كانت جميلة .. جمالها هادىء  
مريح .. يريح القلب والعقل .. وكانت رغم جمالها ، جادة ..  
ليس فيها مرقعة بقية البنات .. ولا اندفاع بقية البنات .. كانت  
تبدو دائما كأنها تفكر .. وكنت اتبنى لحظة لا تفكر فيها .. ولكنها  
تبدو وكأن لها عقليين .. العقل الثانى فى صدرها ..

وكانت دائما تبدو كأن ارادتها فى يديها .. وكنت اتبنى ان  
اسرق ارادتها منها .. حاولت كثيرا ان اسرق ارادتها .. ولكن  
مستحيل .. انها تقبض على ارادتها بيد من حديد ..

وكانت دائما محتفظة بكرامتها .. كرامة حساسة الى حد  
متعب .. ومعنى كرامتها هو شخصيتها الكاملة .. شخصية  
تضعها بجانب شخصية اى رجل .. وقد حاولت كثيرا ان اضع  
لكرامتها معنى آخر .. ان اقتنعها بان ليس بين المحبين كرامة  
.. وان كرامة الحب هى الاستسلام للحب .. ولكن ، لا ..  
ان مقاييس كرامتها ، لا تتغير .

وكانت خلال سنوات الجامعة ، اعرف كثيرا من البنات .. آخذ  
منهن ما اريد ، حتى ولو لم يردن .. كانت لى وسائل اكيدة المفعول  
اصل بها الى اى بنت .. ولكنى كنت دائما اعود اليها .. ولا اكاد  
التقى بها حتى انسى كل وسائل الاكيدة المفعول ، واجد نفسى  
اشترك معها فى نقاش هادىء حول نظرية ادبية ، او حول المبادئ  
السياسية ، او حول الاخلاق الاجتماعية .. وتمر ساعة او ساعتان  
ثم تتركنى فى هدوء وانتسامتها الحلوة فوق شففتيها .. ولا تكاد  
تتركنى .. حتى احس بانى ضيعت من عمرى ساعتين فى هباء ..  
فى كلام فاضى .. واغناظ .. واجرى الى البنات الاخرى كاتى  
انقم منها .. وحيانا يشتد غيظى حتى افكر فى تحطيم رأسها  
الذى تفكر به .. فى تحطيم ارادتها .. فى تحطيم كبرياتها .. ولكنى

لا البشان اجد نفسى اعود اليها لتناقش فى النظريات الادبية  
والسياسية ، والاجتماعية .. دون ان احطم شيئا !!

وفى يوم استطعت ان اجمع ارادتى ، وامسكت بيدها ، ونحن  
نسير ، نخوض فى مناقشاتنا .. وتركت لى يدها .. ولم اعد  
اسمع شيئا مما تقوله .. انحصر كل تفكيرى فى الخطوة التالية ..  
واقدمت على الخطوة التالية بعد لحظات .. فجذبته الى فجأة ..  
وقبلتها فوق خدها قبلة سريعة ..

وابتعدت عنى بلا عنف ..

وسحبت يدها من يدي ، فى هدوء ..

ثم نظرت الى .. نظرة كبيرة .. وابتسامتها الحلوة لا تزال  
بين شففتيها ..

ثم تركتني ..

— ولا ادرى لماذا ندمت .. هذه النظرة الكبيرة شقت صدرى  
واستقرت بين ضلوعى .. وجعلتنى احس بانى سافل .. لأول مرة  
احسست بانى سافل !!

ولم اعد احاول مرة ثانية ..

اكتفيت منها بلهفتى التى تدفعنى اليها .. والى مناقشاتنا  
الطويلة ..

واستمرت صداقتنا الى ما بعد تخرجنا .. وانا اكذب عنديما  
اسمها « صداقة » .. لقد كنت اعرف ان ما بيننا اكثر من صداقة  
.. ولكنى لم اكن اريد ان اعترف بذلك .. حتى لا اتعذب ..  
وحاجتى اليها تزداد على مر الأيام .. كل البنات اللانى يعطينننى

ما اريد ، لا يبلان مكانها ، ولا يجعلننى استغنى عنها ..

— انى اذهب اليها فى بيت اهلها .. واذهب معها احيانا الى  
السينما .. وحيانا ارقص معها .. ولا شىء يتغير من عقليتها .  
او ارادتها او كرامتها ..

وأخيراً قلت لها :

— ليلي .. احنا حانفضل كده لغاية امتى ؟

• وقالت كأنها تناقشنى فى السياسة :

— تصدك ايه ؟

فقلت وأنا أنظر إليها فى تردد :

— تصدى نتجوز !!

ولأول مرة أرى وجنتيها تحتفتان خفراً .. وأرى جفنيها  
ينسدلان فوق عينيها .. ورعشة خفيفة ، ترتعش بها أصابع  
يديها ..

وقالت فى صوت مرتعش :

— انت فكرت كويس يا محمد !!

ولم أكن قد « فكرت-كويس » ولكنى شعرت ساعتها باننى أن  
أستطيع أن أعيش إلا اذا تزوجتها .. سأهوت لو رفضتى !  
ولم ترفضنى ..

ظلت ساكنة ودماء الخفر تملأ وجهها .. بريئة .. طاهرة ..

واقتربت منها ..

والتقت شفاهنا ..

لأول مرة ..

وآه من هذه المرة .. انى لا أستطيع أبدا أن أنساها .. لقد  
حوت حبا .. حروماً دلم ست سنوات .. حوت انهيار كل ارادتها ..  
وحوت حلاوة كل كبرياتها .. وكل عقلها ..

انها تحبنى ..

كل هذه السنين كانت تحبنى ..

ان لها عقلا واحدا .. لا عقليين كما كنت أعتقد .. قلبها فى  
مكانه من صدرها .. قلب كبير .. وربما كان لها قلبان .. الثانى  
فى رأسها !

وملأنى حبها بالغرور .. غرور لم تستطع كل البنات اللاتي  
« رقتين » أن يثرنه فى ..

ولكن غرورى لم يفسد حبنى ..

انى أحبها ..

لم أعد أحاول أن أنكر حبنى ..

وتزوجنا ..

أيام كالعسل جمعتنا .. ومى خلال هذه الأيام .. أيام العسل  
أخذت أحدثها عن مغامراتى السابقة .. عن عشرات البنات اللاتي  
أخذت منهن ما أريد .. وهى تستمع وابتسامتها الحلوة فوق  
شفتيها ، ورأسها مرفوع تشده كرامتها .. ثم قالت لى فى هدوء :

— تعرف لو خنتنى يا محمد ، حاعيل ايه ؟

قلت وأنا أضحك ضحكة مغرورة :

— ايه ؟

قالت فى بساطة :

— حا اخونك ! ..

وضحكت ضحكة عالية ..

وقطعت ضحكتى ، وقالت فى صوتها الهادى :

— اتفقنا ..

قلت وأنا أهز كتفى ، وأطلق ضحكة أخرى :

— اتفقنا !!

ثم القيت نفسى فوقها .. أقبلها !!

ولم أشعر فى هذه اللحظة بأنها كانت جادة فى هذا الاتفاق  
السريع الذى عقدناه .. ربما لأن غرورى كان أقوى من أن أتصور  
أن زوجتى يمكن أن تخوننى .. وربما لأنى فى تلك اللحظة لم أكن  
أصور انى سأخونها يوماً ما .. لم أكن فى حاجة الى خيانتها ..  
فقبلت الاتفاق كنوع من المداعبة ..

وبر عايمان .. ونسيت خلالهما هذا الاتفاق ..

.. و

وجاءت الى مكتبي سيدة صغيرة .. مطلقة تعرض احدى  
تضايها .. انها جميلة .. نوع آخر من الجمال غير الجمال الذى  
تتميز به زوجتى .. جمال قد لا يجذب قلبك .. ولا عقلك .. ولكنه  
يجذب اعصابك ..

ووجدت نفسى ابلق فيها ..

ثم وجدت نفسى افكر فى الوسائل القديمة التى كنت اصل بها  
الى ما اريد من البنات ..  
وقاومت ..

— صدقونى .. لقد قاومت .. ولكنها كانت مقاومة ضعيفة ..  
تغلبت عليها شقاوتى .. ورايت نفسى اندفع اليها كانى احاول ان  
اجرب نفسى .. واجرب مواهبى .. بعد هذا العمر الطويل ..  
عمر سنتين ، قضيتها فى حالة اخلاص تام .. جهد حياتى ..  
وكانت السيدة الصغيرة المطلقة .. سهلة !

لم البك — بعد اول خطوة — ان وجدت شفتى فوق شفتيها !

وعدت الى البيت مرحا ، يكاد زهوى يرفعنى من على الارض  
.. واتيلت على زوجتى ادلها اكثر مما تعودت .. وأملا اذنيها  
بضحكاتها وكلامى الحلو .. وخذت مخلصا فى كل ذلك .. لقد  
اكتشفت ان الزوج عندما ينجح فى خيانة زوجته ، يحبها اكثر ..  
ويسعددها اكثر !!

وفى الصباح ..

فتحت عينى لأجد مندبلى مفرودا بجانب راسى .. وبقعة كبيرة  
حبراء من احمر شفاه ، تقف فوقه ، كأنها الجرح العميق ..

وزوجتى جالسة بجانبى على الفراش ، تبسم فى هدوء  
ابتسامتها الحلوة .

وارتبتك ..

ولكنى سيطرت على ارتياكى بسرعة ، وقلت كانى فوجئت :

— ايه ده ؟

وقالت ليلى فى هدوء :

— انا عارغه .. اسأل نفسك !

— وسكت قليلا كانى افكر ، ثم صحت وأنا ازين صيحتى

ابتسامتها كبيرة :

— آه .. اصل امبارح وأنا جاي فت على أمى .. وكانت أختى

هناك .. وزى ما انتى عارغه أختى أول ما تشوفنى تنزل فى

بوس .. ومسحت بوستها فى مندبلى .. افكرت دلوقت !

وظلت زوجتى ساكنة تبسم ..

وعدت أقول :

— مش مصدقانى ؟

قالت فى هدوء :

— مصدقك !

واخذتني بين ذراعى وقبلتها .. وقبلتنى .. ثم عدت أقول كانى

لم اكن واثقا انها صدقتنى :

— اذا كنت مش مصدقانى .. اسألى أختى !!

وكنت متأكدا ان زوجتى لن تسأل أختى .. ان كبرياءها سيحول

بينها وبين أن تسألها .

ولم تسألها فعلا ..

وازددت ثقة بنفسى ..

ما أسهل خيانة الزوجات !

وعدت الى المطلقة الصغيرة .. السهلة !!

مرت اسابيع وأنا .. اخون زوجتى !

القرص مرة ثانية .. مشغولة .. و .. مشغولة .. وبعد ثلث ساعة استطعت أن أتصل بها .  
— كنت بتكلمى مين ؟

وأجابت فى هدوء :

— بكلم ماما ..

وصدقته .. صدقتها فعلا ، وبدون ادنى ارتياب ..

وعى اليوم التالى ..

اتصلت بها بالتليفون .. مشغولة .. و .. مشغولة .. وبعد

نصف ساعة استطعت أن أتصل بها ..

— كنت بتكلمى مين ! ؟

— اختى .. سهر ..

وصدقته .. صدقتها فعلا ..

وفى اليوم الثالث .. والرابع .. والخامس ..

والتليفون مشغول لمدة نصف ساعة .. ثم ثلاثة أرباع الساعة

.. ثم ساعة ..

وبدأت ارتاب ..

وبددت بررعة ارتيابى .. لا .. مستحيل !

وليلى تستأذنى فى الخروج .. نازلة البلد .. ولم تكن من

عادة ليلى أن تستأذنى عندما تنزل البلد ..

ثم تستأذنى لزيارة احدى صديقاتها .. وحانأخر شوية !!

وتستأذنى فى زيارة أختها ..

انها تخرج كل يوم .. ولم تكن هذه عادتها .. والتليفون

مشغول دائما .. ولم تكن هذه عادتها أيضا ..

واشددت ريبتى ..

واشددت أكثر ..

\*\*\*

ثم ..

طلبت منى المطلقة الصغيرة أن أوصلها الى بيتها بسيارنى ..  
لقدانا فى شقة أحد أصدقائى ..

ووكبت بجانبى .. ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى أوصلها

.. وتركب بجانبى وتلتصق بى ..

وفجأة .. لمحت زوجتى تسير على رصيف الشارع ..

وارتبكت .. صرخت :

— مراتى ..

وأحسيت راسى فوق عجلة القيادة كأنى أحاول أن أخفى نفسى

عنها .. ثم بدا عقلى يغلى .. ماذا سأقول لها .. اى كذبة اختارها

.. اتعرف .. أن الزوج عادة لا يستطيع أن يختار الكذبة التى

سيروها لزوجته .. ولكنه يظل يفكر فيها .. ثم تنطلق رغم

ارادته ، ريبلا تفكير ، بمجرد أن يواجه زوجته .. يارب الهمنى

كذبة جيدة عندما أواجه ليلى ..

ولكن .. لعلها لم ترنى .. انى لم أر عينيهما تلتقيان بوجهى

.. يارب .. لعلك قد أمهيتها حتى لا ترانى ..

وعدت الى البيت .. اتعثر عى ارتباكى ..

ان ليلى هادئة ..

ابتسامتها مستقرة فوق شفيتها .. ابتسامتها الحلوة ! ..

انها لم ترنى ..

وتبعتها .. قبله أودعتها كل حبى .. وأكثر من حبى ..

ارتباكى ! ..

\*\*\*

ومر يومان ..

ورفعت ساعة التليفون وأنا فى مكتبى ، لأحداث زوجتى فى

البيت .. و .. النمرة مشغولة .. وانتظرت خمس دقائق ، وأدرت

ثم فجأة تذكرت الاتفاق الذى كان قد تم بيننا فى يوم من أيام  
العسل .. ان تخوننى ، اذا خنتها !!

هل تأكدت ليلى من خيانتى ، وبدأت تخوننى ؟  
مستحيل ..

وإذا حدث ، فلن أقبل .. ولن أسكت .. اتفاق أو لا اتفاق ..  
انه اتفاق لا يقره شرع ولا قانون ..

ولكن ليلى لا تخوننى ..  
مستحيل ..

مستحيل يا عالم ..

وبدأت أعصابى تتلف .. أصبحت أصرخ فى وجهها بمناسبة ،  
وبلا مناسبة .. وأصبحت تقبلنى فأحس أنها تقبلنى بافتعال ..  
صحيح ان قبلتها حارة طويلة .. ولكن انا ايضا كنت أقبلها قبلات  
حارة طويلة عندما أخونها مع المطلقة الصغيرة .. وصحيح انها  
تدللنى وتعطينى من نفسها فى سخاء وتفاعل .. ولكن انا ايضا  
كنت أعطيها وتفاعل معها أكثر كلما خنتها أكثر ..  
وأعصابى تزداد قلقلًا ..

ولكنى لا أستطيع ان أفهمها .. ولا أستطيع ان أصارحها  
بشكوكى . كبريائى وغرورى يمنعانى ..

واستأذنت منى ذات صباح لتخرج ..  
ورفضت ..

صرخت فى وجهها :

— الا ما تخرجيش .. مش كل يوم خروج .

وهزت كتفيها فى هدوء .. ولم ترد !

ولكنها خرجت فى اليوم التالى ، بلا اذن .. دون استئذانى !  
وكذت اجن ..

ولكنى لا أستطيع ان أصارحها بجنونى ، ولا بشكوكى ..

و ذات يوم اتصلت بها بالتليفون ..

مشغول ..

وبسرعة اتصلت بمرّة تليفون أمها .. الجرس يرن ..  
واتصلت بمرّة تليفون اختها .. الجرس يرن .. ومرّة تليفون  
صديقتها .. الجرس يرن .. واتصلت بكل تليفونات أقاربها  
وصديقاتها .. والجرس دائمًا يرن .. ومعنى هذا انها لا تحدث  
أحدًا من كل هؤلاء .. انها تحدث غريبًا عنى .. رجلاً غريبًا ..  
تحدث عشيقها ..

انها تخوننى ..

تخوننى ..

والدماء تغلى فى عروقى .. وبدون ان أدري .. خرجت من  
مكتبى أجرى كالمجنون .. وجريت بسيارتى الى أول مأذون ..  
وطلقتها ..

طلقت ليلى دون ان تدري ..

وحاولت بعد ان وقعت وثيقة الطلاق ان اهدأ ..

لقد انتقمتم ..

ولكنى لم اهدأ ..

ورفعت سماعة التليفون لالتقى فى وجهها بالقبلة .. لقد  
اصححت طالقًا ..

ولكن ..

التليفون مشغول ..

وجريت بسيارتى الى البيت ..

ودخلت على اطراف أصابعى لأضبطها وهى تحدث الرجل

الغريب .. لعلها رائدة فى الفراش .. بقميص النوم .. وسماعة  
التليفون فوق اذنها .. هائمة فى حديثها مع عشيقها ..  
وعلى باب حجرتها وقفت مشدوها ..

تسمرت كانى استطلت الى تمثال من رخام ..  
ان ليلى جالسة تقرا فى كتاب ..  
والتليفون بجانبها .. والسماعة مرفوعة !!

\*\*\*

ويومها بكيت .. بكيت وانا واقف عند بابها ..  
لقد اكتشفت فى لحظة انها لم تكن تخوننى .. ولكنها كانت  
تلعب لعبة خطيرة ، لتنتقم منى على خيانتى لها ..  
و .. وبكت ليلى ايضا ..

بكت عندها علمت انى طلقتهما .. فى لعبة !!  
ولكنها جففت دموعها بسرعة .. ورفعت راسها .. وجمعت  
ارادتها بين يديها .. وخرجت من البيت ..  
ومضت ستة شهور احاول ان اتقنها انها السبب فى جنونى ..  
انها السبب فى كل ما حدث ..  
ولكنها لا تتفتح ..

كرامتها الحساسة تقف بينى وبينها .. وارادتها تخنقنى ..  
ولكنى لم اياأس .. اننى احبها ..  
وكل ما بقى لى من امل .. انها تحبنى ! ..

## زوجة وخدامة

عندما تزوج مصطفى عبد العال ، العامل بمصنع المنتجات  
الحديثة ، كان فى التاسعة عشرة من عمره ، وكانت يوميته عشرين  
قرشاً ، فاذا خصمنا ايام العطلات ، فان مجموع دخله فى الشهر لم  
يكن يتجاوز خمسة الجنيهات ونصف الجنيه ..

ولكن الاسطى مصطفى — واقب اسطى لم يكن يتمتع به الابين  
اولاد الحارة — لم يحسب حساب اجره عندما فكر فى الزواج ..  
لقد تزوج لانه يجب ان يتزوج .. والان كل الناس يتزوجون ..  
والرزق على الله !

تزوج الاسطى مصطفى بدافع الاستطراد الى الحياة .. نفس  
الدافع الذى دفعه ليبحث لنفسه عن عمل ..  
وكما بحث عن عمل لنفسه يحبه ..  
فقد بحث عن زوجة يحبها ..

وكان يحب عزيزة ، ابنة الحاج متولى البقال ، الذى يقع دكانه  
على ناصية الحارة .. ولم يكن حبه لها حبا عنيفا صارخاً .. لم  
يكن حبه لها يؤرقه او يدفعه اليها .. كان حبه هادئاً ، فيه حنان  
وشهامة اكثر مما فيه من اثرة واندفاع .. حبا يعيش معه كما يعيش  
حبه لأمه واخته .. بل انه لم يفكر فى الزواج بها ، الا عندما بدأ  
يفكر فى الزواج .. لقد اكتشف فجأة ان عزيزة ليست اخته ، وانه  
يستطيع ان يتزوجها ..

وكانت عزيزة جميلة .. تمتاز عن كل بنات الحارة بشعرها  
الاصفر ، وبياض بشرتها ، وعينيها اللونتين .. ان امها من المنصورة  
.. ولكنها كانت ضعيفة .. هزيلة .. وجهها نحيل .. وقوامها  
رفيع .. وصفرة تطوف فوق وجنتيها .. وشفتاها ياهتتان ..  
وعيناها دائما مجهدتان .. وربما كان هذا الضعف هو الذى دفع  
مصطفى اليها .. كان يعتبر نفسه مسئولا عنها منذ كان صبيا ..  
كان يتولى حمايتها من مشاكسات اولاد الحارة .. وكان يأخذ من  
امه نصف الرغيف وقطعة الجبن ، ويجلس معها على عتبة البيت  
ليأكلها سويا .. وكانت عينه دائما عليها ، كلما نزلت الحارة ..  
لا يتركها وحدها ، ولا يتركها لاحد ..

وقد تم زواجه ببساطة ..

قابل عزيزة وهى خارجة من بيتها ملتفة بملاعتها السوداء ، وقال  
لها وهو يصافحها ، دون ان يخلج صوته :

— تتجوزينى يا عزيزه ؟

ونظرت اليه عزيزة بعينين مبهورتين .. وارتفعت قطرات  
حمراء فوق وجنتيها .. ثم لأول مرة — ترفع طرف ملامتها لتغطى  
وجهها عنه .. وربما لتخفى فرحتها .. وجرت من امامه .. عادت  
تدخل بيتها دون ان تجيبه !

وعارضت ام مصطفى فى زواجه من عزيزة ، وصاحت وهى  
تخبط يدها على صدرها :

— يا بنى دى ضعفانه وعيانه .. دى ما تستحملش جواز ..  
والا عاجبك الشعر الاصفر ! ؟

ورد عليها مصطفى فى ثبات وثقة :

— دى متربيه معايا يا امه .. ما حدش يستحملنى ويفهمنى  
زيها !! .

وام مصطفى امراة طيبة .. وكانت تعلم ان عزيزة طيبة ايضا  
.. ستريحها وتريح ابنها .. فسحبت معارضتها بسرعة ، ورحبت  
بالعروس فى بيتها ..

ولم يتغير شىء .. انتقلت عزيزة الى بيت مصطفى .. هذا هو  
كل شىء !

ولكن مصطفى اكتشف ان زوجته اكثر ضعفا مما كان يعتقد ..  
انها مريضة .. مريضة بالربو .. وكان اكثر ما تحرص عليه عزيزة  
هو ان تخفى عن زوجها ضعفها ، ومرضاها ..

كانت تصر على ان تقوم بكل اعمال البيت وحدها .. هى التى  
تكس ، وهى التى تمسح ، وهى التى تغسل ، وهى التى تطبخ ..  
تخدمه وتخدم امه .. فاذا احسست بنوبة من نوبات الربو على وشك  
ان تلم بها جرت الى الحمام ، واغلقت الباب عليها ، وعانت النوبة  
وحدها ..

ولاحظ مصطفى كل ما تبذله عزيزة من جهد ، وكل ما تخفيه  
عنه ..

وتزق قلبه .. ويقرر ان يصطحبها الى طبيب .. ولكنها  
ترفض ..

انها ليست مريضة .. فقط نوبة من البرد لا تلبث ان تزول ..  
ومصطفى يعلم انها مريضة .. ويعلم انه يجب ان يصحبها  
الى طبيب ..

وعندما بدا مصطفى يفكر فى اصطحاب زوجته الى طبيب ..  
بدا يفكر فى اجره .. ان اجره لا يكفى ليدفع اتعاب الطبيب ويشترى  
الدواء .. لا يتبقى منه شىء !

وكان مصطفى عاملا ماهرا .. وكان يعلم انه عامل ماهر ..  
امهر عمال المصنع .. ويعلم انه يستحق زيادة اجره ..



ولكن الطريقة التي يطالب بها بزيادة أجره ، كانت تنهى دائماً برفض طلبه . انه لا يجيد النفاق للأسطى الكبير .. ولا يجيد النفاق للموظف المسئول .. انه عصبى .. وقد زاده مرض زوجته حدة وعصبية .. وكلما ناقش رئيسه فى زيادة أجره ، وجد نفسه بعد بضعة كلمات يصرخ ، ويثور ، ويسب ، ويلعن ..

ولم يزد أجره ..

وأخذ زوجته الى مستشفى مجانى ، ليكشف عليها الطبيب فى العبادة الخارجية ..  
اضطر أن يضربها لتعترف بمرضها ، وتذهب معه الى المستشفى ..

واقترض ليشتري لها الدواء الذى كتبه الطبيب ..

ولكن الدواء لا يفيد .. وهو غير مقتنع بهذا الطبيب ..

وحالة زوجته تسوء .. ورغم ذلك لا تزال تصر على أن تقوم بكل أعمال البيت وحدها ..  
ثم زادت الحالة سوءا ..

ماتت أمه .. وكانت تقاضى ثلاثة جنيهات فى الشهر معاش زوجها .. ضاعت !

وحملت زوجته .. وزاد الحمل من مرضها ، وأصبحت نوبات الربو تلاحقها الى حد لم تعد تستطيع أن تخفيها فى الحمام !  
وخرج مصطفى من المصنع الذى يعمل فيه .. والتحق بمصنع آخر ..

ترك العمل الذى يحبه ، الى عمل لا يحبه فى سبيل زيادة أجره .. وزيادة الأجر لم تتجاوز خمسة قروش .. أصبحت يوميته خمسة وعشرين قرشاً ..

واستهلك الزيادة فى علاج زوجته ..

ولكنها لا تشفى .. لا تزال ضعيفة .. كل ما فعله العلاج أن خفف من أثر النوبات عليها ..

واقضى ما يتعب مصطفى أنها لا تزال تصر على أن تقوم بكل أعمال البيت وحدها .. انها ترفض أن يساعدها أحد من نساء الجيران .. وتغضب ان قام مصطفى من مكانه ليشرب .. يجب أن تأتى بقله الماء بنفسها .. وقد بكت يوم وجدته يغسل بذلته الزرقاء بنفسه .. بكت الى حد الصراخ .. ثم شددت البذلة من يده ، وبدأت تغسلها من جديد ..  
ويتوسل اليها :

— ما تعبيرش نفسك يا عزيزه .. عياكى يلزمه الراحة !

وتصرخ فيه :

— ما لكشئ دعوه .. انا مش عيانه .. قلت لك الف مره مش عيانه .. انا اشتكيت لك يا أخى .. !  
ويسكت الأسطى مصطفى .. وقلبه يتمزق .. وأحياناً يتقوا لها :

— بلاش تطبخى يا عزيزه .. انا نفسى فى طعبيه سوقى من عند الحاج عظيم ، حاشترينها معايا وانا راجع ..  
وتصرخ :

— ابدأ .. ما تكلمش من السوق ابدأ وأنا معاك .. والا طبخى مش عاجبك يا مصطفى ..  
ويسكت مصطفى .. وقلبه يتمزق ..

انه لا يستطيع أن يخفى جزعه عليها .. وهى لا تقبل منه أن يعتبرها مريضة .. انها ليست مريضة .. انها زوجة كاملة .. تستطيع أن تخدم بيتها ، وتخدم زوجها ..

ويطلبها ينتفخ .. ولا تزال تنكس .. وتمسح .. وتطبخ .. وتغسل البذلة الزرقاء ..

و . . . وحدث شيء جديد . . .

أم المصنع الذي يعمل فيه مصطفى . . . ووضعت سياسة جديدة للأجور . . . ارتفع أجر مصطفى مرة واحدة إلى أربعين قرشاً في اليوم ، وأصبح يتقاضى أجره حتى عن أيام العطلات الرسمية . . . وفرح مصطفى . . . وبدأ يفكر فيما يفعله بهذه الثروة الجديدة التي هبطت عليه . . .

فكر في أن ينتقل إلى سكن جديد . . . في حي أقل رطوبة . . . في العباسية ، مثلاً . . . لقد قال له الطبيب أن الجو الجاف يريح زوجته . . .

وفكر أن يشتري لنفسه بسكليت يذهب بها إلى عمله . . . أن البسكليت توفر عليه متاعب الأوتوبيس . . .

و . . . نكر أن يتزوج . . . زوجة ثانية . . . ومر برأسه هذا الخاطر مروراً سريعاً . . . وطرده بسرعة وغضب . . . لا . . . لن تكون له زوجة إلا عزيزة . . . سيقتلها لو تزوج غيرها . . .

وابتسم . . . ربما كان أول ما يجب أن يفعله هو أن يستأجر خادمة ترفع عن كاهل عزيزة عبء أعمال البيت . . . تريحتها . . . واتسعت إبتسامته . . . ستكون لعزيزة خادمة . . . لم تكن لأمه خادمة ، ولا لأم عزيزة . . . هذه أول مرة تدخل بيتهم خادمة . . .

وأحس بالفرحة تكاد تطير به . . . لن تتعب عزيزة بعد اليوم . . . ولن يجزع عليها . . .

وفي نهاية الأسبوع ، خرج من المصنع بعد أن قبض أجره . . . وذهب إلى شارع الموسيقى . . . واشترى لزوجته ثوباً جديداً . . . لونه أحمر مزين بورد أبيض . . . ثم مر على أم فطوممة التي تباع الفجل والكرات على باب الحارة . . . وافق معها على أن تعمل فطوممة عنده . . . خادمة . . . نظير جنيته في الشهر . . . وصمم على أن يصحب فطوممة معه إلى البيت . . .

ودخل على عزيزة . . . واستقبلته وابتسامتها تلمع في عينيها أكثر مما تبدو بين شفتيها الباهتتين . . . ثم جمدت إبتسامتها عندما التفت عيناها بوجه فطوممة . . . وهمست في صوت لا يسمع :  
— أزيك يا فطوممة . . .  
وجلجل صوت فطوممة ، كأنها تزغرد . . . صوت ملء بالصحة والعافية :

— الله يسلمك يا ست عزيزة . . .

وفتح مصطفى اللفافة التي يحملها ، وصاح في فرح :  
— جبت لك فستان جديد يا عزيزة . . . ربنا فتحها على وعليكى . . .

وأمسكت عزيزة القماش باطراف أصابعها واغتصبت ابتساماً وضعتها بين الشفتين الضعيفتين ، وهمست :  
— ليه بس يا مصطفى . . . ده الفستان اللي عندي لسه جديد . . .

وعادت تنظر إلى فطوممة . . . في حيرة . . . ثم ترفع عينيها إلى مصطفى في حيرة . . . وقال مصطفى كأنه يعلن انتصاره :  
— البت فطوممه حتشتغل عندنا . . . تخدملك ، وتريحك . . . اتفتحت مع أمها خلاص . . .

واتسعت عينا عزيزة كأنها ذعرت . . . وعادت تنظر في وجه زوجها ، وفي وجه فطوممة . . . ثم همست :  
— انت كان ناقصك حاجة يا مصطفى ؟  
وقال مصطفى :

— ناقصني راحتك . . . من هنا ورايح تعدى زى الهوانم . . . والبت فطوممه تخدملك !  
وسكتت عزيزة . . . وقفت بجانب زوجها وهو يخلع ثيابه ،

تحمل له جلبابه ثم ناولته المنشفة وسارت وراءه الى الحمام ..  
واصدمت عيناها بوجه فطوممة ، فانطلقت من فمها صرخة كبيرة  
.. صرخة اكر منها :

— امشى يا بت اتعدى وراء الباب ، لغاية ما ائذلك !

ثم بدأت تعد طعام زوجها ..

وقال مصطفى وهو يبتسم :

— ما تخلى فطوممة تسخن الاكل ، واستريحى انتى !

واجابت عزيزة فى حزم ، كأنها — والاول مرة — تتحدى  
زوجها :

— لا .. ودى ايه عرفها البت المفوضه دى !

ورفضت عزيزة ان تشاركها فطوممة فى اعمال البيت ، او فى  
خدمة زوجها .. انه بيتها . وهو زوجها .. وليس لأحد حق فيها  
الا هى .. هى التى تستطيع ان تفعل كل شئ .. هى وحدها ..  
ان مصطفى لن يجد البيت نظيفا الا اذا كنسته هى .. ولن يستريح  
فى ثيابه الا اذا غسلتها له بيديها .. ولن تفتح شهيته لطعام  
الا اذا وضعت فيه انفاسها .. ن مصطفى لا يستطيع ان يستغنى  
عنها ولو استأجر عشر خاديات ..

ومصطفى يصيح وهو مترعب على الكنبه :

— هاتى قلة الميه يا بت يا فطوممة ..

وتقفز عزيزة من جانبها ، وتجرى رغم ضعفها وتحمل قلة الماء ،  
وهى تصبح فى فطوممة :

— خليكى انت يا بت ..

وفطوممة لا تفهم شيئا .. انها فى العاشرة من عمرها ،  
لا تستطيع ان تفهم شيئا .. ويرتفع صوتها .. صوتها الملىء  
بالصحة والعافية .. لتغنى « يا امه القمر ع الباب » وتأكل رغيفا  
كاملا فى الوجبة .

وبدا مصطفى يتدخل فى عنف .. بدأ يجبر زوجته على ان  
تخلى عن اعمال البيت لفطوممة .. ويجبرها ان تستريح .. تهدأ  
.. تراعى صحتها ..

وعزيزة لا تهدأ .. انها تبذل مجهودا .. مجهودا فى تحدى  
فطوممة ..

ومجهودا فى ضبط اعصابها ، كلما سمعت فطوممة تغنى ، وكلما  
رأتها تبتلع رغيفا فى كل وجبة ..

ومجهودا فى خدمة زوجها ، وفى اللحاق بطلباته قبل ان تلحقها  
فطوممة ..

وساءت صحتها .. بدأت نوبات الربو تتتابع .. وتزداد ضعفا  
.. وتزداد هزالا .. وتزداد اصفرارا .. ثم رقدت .. لم تعد  
تستطيع ان تقوم من الفراش .

ثم مات الجنين فى بطنها ..

ومصطفى كالمجنون .. يجرى اى الاطباء .. ويجرى ليشترى  
الدواء ..

وقلبه يمزق فى لهفة على زوجته .. ويجلس بجانبها ويحتضن  
راسها ، ويهمس كأنه يبكى :

— شدى ديك يا عزيزة ..

وعزيزة صامئة ، لا تنظر الى زوجها .. عيناها تتبعان  
فطوممة .. وتئن وهى تراها تعذب زوجها المنشفة .. وتئن وهى

تراها تطهو الطعام .. وتئن وهى تراها تكنس .. وتئن وهى  
تسمعها تغنى « يا امه القمر ع الباب » .. وتئن عندما تتخليها تبتلع

رغيفا كاملا فى الوجبة الواحدة ..

وتجمع اثنيها فى همسة ضعيفة ، كأنها تلفظ آخر انفاسها :  
— مصطفى .. انت عايزنى اخف يا مصطفى ؟

ورد مصطفى بلهفة صادقة :

— ده أنا أبيع عمرى علشانك يا عزيزة ..

واستطردت عزيزة فى همسها الضعيف :

— بيسلم لى عمرك يا مصطفى .. انا عايزه حاجه واحده بس ..

وانطلق مصطفى يقول :

— أأمرى يا عزيزة ..

وهمست عزيزة ورأسها يميل فوق الوسادة :

— اطرد فطومه !

وارتفعت الدهشة من عيني مصطفى ، ولكنه كتبها ، وقال فى

استسلام :

— حاضر ..

ثم قام وصرخ فى فطومة :

— أمشى يا بت ارجعى لأمك .. خلاص مش عايزينك ..

وابتسمت عزيزة ..

وبدأت تسترد صحتها ..

## صورة

كان الاسطى حنفى العجلانى ، مخلوقا عجيبا .. ضخم الجثة ..  
بارز العضلات .. مستدير انراس .. منقوخ الخدين .. يحلق  
شعره بالموسى .. ويبتسم عن اسنان قوية ، يخيل اليك انه يستطيع  
ان ينهش بها لحم خروف حى ..

وكان عاوى خناق .. لم يكن يمر يوم الا ويتجمع سكان شارع  
بين الجنان ، حول دكان الاسطى حنفى ليشاهدوه وهو يخوض  
خناقة ..

ولم يكن لخناقات الاسطى حنفى سبب معروف .. كان يكنى  
الا يعجبه وجه اى انسان ، حتى يركز عليه عينيه .. ويجمع  
انفاسه فى صدره ، ثم يباده بعض كلمات تنتهى حتما بان يرفع  
قبضته الضخمة ويسدها الى وجه خصمه .. وتقوم الخناقة ..

ولم يكن الاسطى حنفى يخرج من هذه الخناقات سالما .. كان  
دائما يبدو وهالة سوداء تحت احدى عينيه .. ودمه ينزف من  
انفه .. اما ضحاياه فغالبا تحيلهم عربات الاسعاف ..

ورغم ذلك لم يكن الاسطى حنفى شريرا .. ولا ساخطا ..  
كان دائما مبتسما ، مرحا ، طيب القلب .. كل ما هنالك انه كان  
يعتقد ان « الخناق صحة » .. وانه يتناول الخناقات كما يتناول  
الناس اقراص الفيتامينات .. شىء لتقوية العضلات ، وتنشيط  
شرايين القلب ، وتهدئة الاعصاب ..

وكانت له ميزة يعرفها كل أبناء الحي ، وهو انه لم يكن يستغل توته أبدا ضد ضعيف .. كان ينتقى ضحاياه من الأقوياء أو من مدعى القوة .. وكان يكفي أن تنظر الى وجه ضحيته ، وآثار الضرب فيه ، حتى لو لم تكن تعرفه ، أو تعرف شيئا عنه ..

كان الأسطى حنفي محبوبا من سكان الحي .. الكبار يعرفون فيه طبيته .. والنساء يرهبنه ، فلا تستطيع واحدة منهن أن تبر أمام دكانه ، وثوبها يكشف عن كتفها ، أو وهي تتقصع في مشيتها .. إذا لا تلبث صرخة الأسطى حنفي أن تلاحقها :

— ما تمشى كويس يا بت .. والا ايه ؟ !

وتعتدل البنت في مشيتها . وتغطي كتفها .. والأولاد بعدونه ..

دكانه محاط دائما بكل الأولاد .. يستأجرون منه الدرجات . والذي لا يستطيع دفع ايجار دراجة ، ينتظر حتى يمنحه الأسطى حنفي « دور » مجانا ..

كانوا يحتبون به حتى من آبائهم .. ويحملون له هدايا صغيرة يسرغونها من بيوتهم .. كعكة .. أو شقة بطيخ .. وهو يعتبر نفسه حاميا لهم .. كل أولاد الحي في رعايته ..

وحدث أن عين جندى جديد في نقطة البوليس .. وحدث أن صدمه احد الأولاد صدمة عنيفة بالدراجة .. فأمسك الجندى بتلابيب الولد ، وصفعه على قفاه .. وصرخ الأسطى حنفي :

— سيبه يا شاويش .. ده مش ادك !

ورد الشاويش :

— اسكت أنت مالكش دخل !

وارتفعت الدماء الى راس الأسطى حنفي المحلوق بالموسى . وتجمعت أنفاسه في صدره .. وهجم على الجندى وسدد تقيضه القوية الى رجليه .. فطرحه أرضا ..

وقامت خنافة .. وسمع جنود البوليس المتجمعون في « القسم » بأن زميلا لهم قد أهين .. فأسرعوا الى شارع بين الجنان .. وتجمعوا حول الأسطى حنفي ، وجرّوه الى « القسم » هناك اغتالوا عليه غرفة الحجز ، وانهاوا عليه ضربا بالشوم .. ووقع الأسطى حنفي على الأرض .. والشوم ينهال عليه .. الجنود يصيحون فيه قائلين : قول أنا « مرة » ..

ولم يزل الأسطى حنفي انه « مرة » .. ظل يحتل الضربات وهو بعض بأسنانه على كف يده .. والدم يسيل من راسه المحلوق الموسى .. وشلوعه تتحطم .. ولا يقول « آى » .. الى تدخل « ساط البوليس » وفرض الجنود عنه ، وسمح له بالانصراف .. وقضى الأسطى حنفي يوما واحدا في بيته ، ثم عاد الى دكانه ورأسه ملفوف في الشاش .. مبنسا ، فرحا طيب القلب .. وصاح اهل الحي :

— جرى ايه يا اسطى حنفي ؟ !

ورد حنفي وهو يضحك :

— طلّعوا رجاله ولاد الايه .. ضربوني علقه انما تمام ..

ثم صاح في جندى الدورية :

— اتفضل شاى يا شاويش .. وهات عشره معاك !!

وكان للأسطى حنفي دور غريب في مظاهرات الطلبة عام ١٩٤٨ ! كان لا يكاد يلمح طلبة مدرسة العباسية الثانوية يسيرون في مظاهرة حتى يعلق دكانه ، ويصحب المتظاهرين .. يسير بجانبهم .. على الرصيف .. لم يكن يهتف معهم .. ولا يشترك معهم في تحطيم الفوانيس .. وربما كان لا يعلم شيئا عن سر تظاهريهم .. ولا يفهم معاني هتافهم .. كان كل ما يحسه أن الأولاد يصرخون بتحطيم الفوانيس .. ربما كانوا يلعبون .. وهو يعلم أن

البوليس لا يسمح بهذا اللعب وأنه يضرب الأولاد .. وهو لا يسمح  
للبوليس بأن يضرب الأولاد ..

ويظل يسير بجانب المظاهرة صامتا ، الى ان يتصدى لها  
البوليس المسلح بالمعصى .. وهنا يتحرك الأسطى حنفى .. يقذف  
بنفسه داخل الصفوف .. فاذا استطاع احد الجنود ان يلحق  
بطالب ، كان أسرع اليه منه ، واتهال على الجندى ضربا .. ثم  
جندى آخر .. وثالث .. ورابع ..

وكان الأسطى حنفى يخرج من هذه المظاهرات مضروبا أكثر  
من أى طالب .. ولكنه كان يعود سعيدا .. ويفتح دكانه ..  
ويجلس على بابة ، وهو يمسح الدم الذى يسيل من أنفه ، بهنديله  
الأحمر الملوث ببقع الزيت .. فيصيح كأنه يضحك :

— هم الأولاد دول مش حايطلوا لعب .. والا ايه ؟ !

ثم يرد على نفسه وضحكته تملأ وجهه : ايه !!

شيء غريب كان يحدث فى دكان الأسطى حنفى بين الحين  
والحين ..

كان يروره فى فترات متباعدة ، رجل نحيل ، قصير أصغر  
الوجه تبرز عروقه من تحت جلده ، ويلبس جلبابا بلديا ، ويمسك  
فى يده خيزرانة .. شكله منفر .. يجعلك تتعد عنه كأنه مريض  
بمرض معد .. وعيناه منتفختان كأنه مستيقظ لتوه بعد سهرة  
حشيش ، وشفتاه رفيعتان يعلوهما سواد كأنهما ملوثتان بالطين  
.. ولا يكاد الأسطى حنفى يرى هذا الشخص قادما ، حتى تختفى  
إبسامته وتنطفئ لمة عينيه .. وينكش على نفسه .. ثم يقوم  
بستقبله ورأسه منكس .. ويقدم له متعدا ، يجلس عليه الرجل  
فى كبرياء منفر ، وهو يقول :

— ازيك يا حنفى .. ازى الأحوال !!

ويرد عليه حنفى فى صوت حفيظ :  
— الله يسلمك يا معلم ..

ولا يرفع رأسه .. ولا يبتسم .. ولا يتكلم ..

حنفى عندما يدخل الأولاد ليستاجروا الدراجات لا يبتسم لهم  
بعادته .. ولا يقوم لهم .. ولا يحادثهم .. يتركهم يأخذون  
العجلات ، ثم يمد يده فى سمت يتناول قيمة الإيجار ..

والرجل الأصفر جالس .. ساق فوق ساق .. ينظر بعينيه  
المسفختين موله ، ويصق على الأرض كأنه يبصق على الحى كله  
.. وعلى من فيه .. وينقر على باب الدكان بطرف الخيزرانة التى  
يحملها فى يده .. ثم يطلب شيشة .. ويطلب قهوة .. ويطلب  
سجائر جولد فلاك ..

وحنفى جالس أمامه ذليلا ، يلبي طلبات المعلم فى صمت ..  
ثم يقول المعلم :

— قوم بينا يا حنفى ..

ويقوم حنفى منكسرا ، يعلق باب الدكان ، ثم يسير خلف المعلم  
.. بينه وبينه خطوات .. الرجز النحيل المريض المنفر .. يسير  
فى المقدمة مرتفع الرأس فى زهو ثقيل .. وحنفى بجنته الضخمة ،  
ورأسه المستدير يسير خلفه فى دل ، كأنه غوريلا مقيدة بالسلاسل ،  
يقودها صاحبها ..

ولم يكن احد يعلم أين يذهب الأسطى حنفى كل ليلة .. انه  
لا يسكن فى الحى .. ولا احد يعلم أين يسكن .. كان البعض يقول  
انه يسكن فى حى الباطنية .. والبعض يقول انه يسكن فى  
المحمدى . ولكن لا أحد يعرف على وجه التأكيد .. ولم يكن  
الأسطى حنفى يصرح بعنوان سكنه ، وعندما سألته الأسطى فهمى  
المكوجى أين يسكن ، أجابه ولعة التهديد فى عينيه :

— مش عاجبك الدكان والا ايه يا اسطى ؟ !

بل لم يكن احد يعلم شيئاً عن حياة حنفى الخاصة .. لم تكن تعلم هل هو متزوج أم اعزب .. وهل عنده اولاد ام لا .. وسأله مرة عبد العزيز شكرى الطالب بمدرسة العباسية :

— انت ما عندكش اولاد يا اسطى حنفى ؟

وأجاب حنفى ضاحكا :

— شاف الاولاد دول كلهم . بقوا اولادى .. وانت كمان تبقى من اولادى .. خد العجله واتوكل !

ولم يكن احد يهتم كثيرا بحياة الاسطى حنفى الخاصة ، ولا بعنوان بيته .. كانت هذه الاسئلة تمر سريعا على السنة اهالى الحى ثم تختفى دون ان تعقب شيئاً من الاهتمام .. فحنفى كان قطعة من الحى .. واخذة اهله كما هو .. وعاشروه سنوات طويلة .. حتى اكتفوا بما يبدو منه امامهم ..

كان كل ما يثير الاهتمام ، هو هذا الرجل المنفر الذى لا يعرفه احد ، والذى يتردد على حنفى فى فترات متباعدة .. وكنا نتساءل كيف يطبق الاسطى حنفى هذا الوجه المنفر ، وهو الذى لا يطبق أى خلقة منفره ..

لماذا لا يضره ؟ لماذا ينكس رأسه امامه ؟ لما يسكت للبصقات التى يصبقتها الرجل على ارض الشارع ، وكأنه يصبقتها على الحى كله .. وعلى من فيه ..

ثم أين يذهبان عقب كل زيارة ؟ لم يكن احد يستطيع الجواب . وكان الاسطى حنفى يعود فى اليوم التالى ، ويفتح دكانه .. مبتسما كعادته ، مرحا ، طيب القلب .. يبحث عن خنافة ..

وذات يوم .. كنا — ونحن اطفال الحى — متجمعين داخل دكان الاسطى حنفى .. وهو يهرح معنا كعادته .. يروى لنا قصص

حنفاته و « يتشعلق » ثلاثة منا فى ذراعه فيرفعنا دفعة واحدة ..

وقد اجأ اطل علينا وجه الرجل النحيل الأصفر .. عيناه اكثر اشفاقا .. وشفتاه اكثر سوادا .. وعروقه اكثر بروزا من تحت جلده .. ويضرب بخيزرانتة طرف جليابه بعصبية .. وصاح فى صوت اجش :

— طلع العيال دول بره يا حنفى !!

وارتبك الاسطى حنفى .. وانطفأت اللمعة فى عينيه .. ونكس رأسه .. وتفصد العرق من جبينه .. واندفعنا خارج الدكان هروبا من الوجه المنفر ..

ودفع الرجل ضلعة الدكان بطرف خيزرانتة فأغلقتها .. والأسطى حنفى مسمم فى مكانه ..

ونظرنا من ثقب باب الدكان ..

ان الرجل النحيل يرفع خيزرانتة وينهال بها على الاسطى حنفى على صدره .. على وجهه .. على رأسه ..

والاسطى حنفى يهمس فى ذل وهو مسمم فى مكانه .

— عيب يا معلم .. ما يصحش يا معلم .. احنا فى الدكان يا معلم ..

والرجل لا يتكلم .. يجز على أسنانه .. وبريق مخيف ينطلق من عينيه .. ويرفع خيزرانتة وينهال بها على الاسطى حنفى .. على صدره .. وعلى وجهه .. وعلى رأسه ..

ثم تعب .. وقال وهو يلتقط أنفاسه :

— باللا بينا ..

وفتح باب الدكان .. وخرج الاثنان ..

وفى هذه المرة سار الاسطى حنفى فى المقدمة .. ذليلا ..

متكس الرأس .. والرجل يسير خلفه مرفوع الرأس في كبرياء  
ثقيلة ، وهو يضرب طرف جلبابه بخيزرانتة ..

واهالى الحى ينظرون اليهما فى صمت .. ودهشة ..

وما كادا يتعدان حتى اذا ع الاطفال قصة العلقة التى اخذها  
الاسطى حنفي من الرجل التحيل الأصفر .. وتجمع اهالى الحى  
فى حلقات يتكلمون .. كلاما كثيرا .. كلامهم تساؤل ، وتساؤلهم  
لا ينتهى الا الى تساؤل آخر ..

وفى الصباح التالى .. فوجئنا بدكان الاسطى حنفي مفتوحا  
على مصراعيه ، وهو خال من الدراجات ، ومن كل ما فيه .. وقال  
جندي البوليس ان حنفي جاء فى الليل ، وحمل كل ما فى دكانه ،  
وذهب ..

اختفى حنفي .. اختفى الى اليوم .. والى اليوم لا اعرف  
اين ذهب حنفي .. !

## مغامرة

وصل انى باريس بعد ان قضى خمسة شهور يطوف دول اوروبا  
فى عمل شاق .. خمسة شهور كل يوم فيها كأنه مسمار يدق فى  
راسه .. لا يكاد ينتهى من مقابلة مدير مصنع ، حتى يدخل فى  
مناقشة مع لجنة من اللجان الاقتصادية ثم يخرج ليتناول الطعام  
على مائدة سفير .. ثم يطير الى بلد جديد ليقابل مديرا آخر ،  
ولجنة .. ويتناول الطعام على مائدة سفير !

وقرر ان يطير الى باريس .. ليستريح .. يستريح من المديرين  
واللجان ، والسفراء .. اربعة ايام فقط ، يستأنف بعدها جولته فى  
دول اوروبا ..

ولا يدري لماذا اختار باريس .. ان جوها فى هذه الايام ،  
حار .. العن من جو القاهرة .. ثم انه يعلم ان الاضطرابات  
السياسية تسودها ..

ورغم ذلك اكنار باريس .. ربما لأن له فى باريس ذكريات  
قديمة .. ولأن اسم « باريس » لا يزال يثير فى خياله صورة للحياة  
المنطلقة .. رهو فى حاجة الى الانطلاق .. فى حاجة الى ان يعوض  
هذا الحرمان الطويل الذى عاش فيه .. وفى حاجة الى ان يروى  
عواطفه التى جفت واصبحت كعود من الخشب ينغز فى صدره ..  
يروىها ولو بجرعات من الوهم ..

وذهب الى فندق فى شارع سان جرمان بالحى اللاتينى ..



واختار هذا الفندق بالذات ، ليبعد عن كل المظاهر الرسمية ،  
ليختفى عن اعين المديرين والسفراء الذين يلتقى بهم فى احياء  
باريس الفخمة .. و .. وليستعيد ذكريات الأيام القديمة .. عندما  
كان شابا .. وكانت حياته ضحكة عالية ، لا تكلفه شيئا  
الا شبابه ..

ووقف امام موظف الفندق .. اريد غرفة ..

ونظر اليه موظف الفندق بعينين ضيقتين ، ثم هز راسه وقال  
وبين شفطيه ابتسامة مآكرة : آسف .. ليس عندنا غرف خالية ..  
ورد عليه فى توسل : أرجوك .. انى متعب .. ونحن فى آخر  
الليل .. ابحت لى عن اى غرفة عندكم .. اربعة ايام فقط ..

وهز الموظف راسه مرة ثانية : آسف ..

وعاد يقول وهو يضع يده فى جيبه : أرجوك ..

وأخرج مائتى فرنك ودسها فى يد الموظف .. والتفت اصابع  
الموظف بسرعة حول الفرنكات ثم تظاهر بأنه يفكر ، وقال :

— عذرى غرفة تقيم فيها آنسة ، ولكنها سافرت لقضاء اسبوح  
فى الريف .. تستطيع ان تقيم فيها .. ولكن اربعة ايام فقط ..  
وتستعد لتزكها فى اى لحظة لو عادت الآنسة فجأة ..

ووافق .. ثم اتاه الموظف الى الغرفة .. ووقف يدير عينيه  
حواله ..

على المائدة مجموعة من الكتب والمجلات .. وعلى المشجب  
ثوب احمر معلق فى اهمال .. وامام المرآة بقايا من انبوبة معجون  
الاسنان .. ومشط .. وبعض مشابك الشعر .. و .. قميص  
نوم حريرى ملقى على الفراش .. وعطر هادىء ناعم يملأ انفه ..  
وجلس على حافة الفراش وهو يبتسم .. وينظر حوله .. ثم  
قام وغير ثيابه .. ارتدى البجامة .. وقبل ان يروح غطاه السرير ..

سقطت عيناه مرة ثانية فوق قميص النوم .. فابتسم واحسن انه  
يعتمد هذه الابتسامة كأنه يسخر بها مما يراه ، وازاح القميص ..  
واندس داخل الفراش .. وحاول ان ينام .. انه متعب .. وسينام  
.. ولكنه لم يذم .. رائحة العطر الهادىء الناعم تتسلل من فوق  
الوسادة وتملأ انفه .. وتدغدغ اعصابه وقام من الفراش ..

خبر له ان يفرغ حقيبتيه ، ويرتب ثيابه فى الدواليب .. لعله  
يعد ذلك ينام ..

ومد يده ليفتح الدولاب .. وتردد ..

احسن ان ليس من حقه ان يفتح الدولاب .. احسن كأنه بهم بان  
يرتكب جريمة .. تجسس او سرقة .. وقاوم احساسه ، وفتح  
الدولاب ..

فى الدولاب ثوبان معلقان أحدهما من الصوف الأبيض ،  
والآخر ثوب للساء من الحرير منقوش بالورد .. وفى قاع  
الدولاب حذاء .. كعب عال .. عال جدا .. لابد ان صاحبتة  
تصيرة .. وفوق الرف العلوى من الدولاب .. قبعة .. قبعة  
ضحكة ، دما خفيف !

وازاح الثوبين ، وعلق بجانبهما البذلتين اللتين أخرجهما من  
حقيبتيه .. ووقف برهة يتطلع الى منظر البذلتين بجانب الثوبين  
وعاد يبتسم .. ان هذه هى المرة الاولى التى تتدلى فيها احدى  
بذلاته بجانب فستان .. انه يبدو كدولاب رجل متزوج .. لو كان  
يتزوجا لكان هذا فستان زوجته ..

وسرح بخياله .. وحاول ان يفرغ باقى ما فى حقيبتيه من  
ثيابه .. ولكنه لم يفعل .. عاد واندس فى فراشه .. وخياله معه  
.. وخياله يجره الى بعيد .. ثم رفع رأسه والتقى نظرة أخيرة على  
قميص النوم الذى اتاه على حافة السرير .. واطفا النور ..

ونام نوما هادئا .. نام مع خياله ..

وفتح عينيه فى اليوم التالى .. وما كاد يديرهما حوله ..  
حتى تذكر .. انه فى غرفة الانسة .. ترى ما اسمها ؟ !

وقام يقنسل وهو يحس احساسا جارفا ، بأنه ليس وحده فى  
الغرفة .. معه انسان آخر .. صاحبة هذا القميص ، وأحس  
بالارتباك .. أحس كأن هذا القميص يراقبه ..

وبدا يغسل أسنانه .. انه يحرك الفرشاة فى رقة وورشاقة ..  
وعندما يتذف الماء من فيه ، يتذف بهدوء وبلا صوت .. كأنها معه  
.. صاحبة القميص ..

وبدا يستعد للاستحمام .. وهم بأن يخلع ثيابه .. ولكنه  
شعر بنوع من الحياء .. ولم يخلع ثيابه فى الغرفة .. ليس أمام  
القميص والثوب الأحمر المعلق .. دخل الحمام أولا ، وأغلق الباب  
وراءه ، ثم خلع ثيابه ..

وخرج من الحمام ، ووقف وسط الغرفة لا يدري ماذا يفعل  
أولا .. والقميص ملقى على حافة انفراش ، والثوب الأحمر معلق  
على المشجب ..

وبعد فترة بدأ بفرغ ما بقى فى حقيبتيه من ثياب .. وهم ان  
يفتح الدولاب .. وتردد .. وتردد كثيرا .. خيل اليه انه لو مسحه  
مسيحا بياضا بمنظر عجيب .. ربما رجد البذلتين .. تعانقان الثوبين ..

وفتح الدولاب .. البذلتان والثوبان .. فى حالة هدوء !  
وفتح الضلفة الأخرى .. ورأى مجموعة من الثياب الداخلية  
النسائية .. واحمر وجهه .. وأغلق الضلفة بسرعة ..

وأخذ يرمى ثيابه الداخلية فى مكان آخر من الدولاب .. وهو  
تائه .. يعيش فى خياله .. ترى من هي ؟ صاحبة هذه الثياب ..  
وتقلب فى مجموعة المجلات الملقاة على المائدة .. انها لها

مجلات ازياء .. طبعا .. فتاة فى باريس لا يهملها ان تقرا الا  
مجلات الازياء .. ولكن .. ما هذا .. نشرة البنك الاهلى الفرنسى  
.. وتعجب .. ماذا اتى بهذه النشرة الى هنا .. فى غرفة الانسة !  
وتقلب فى مجموعة الكتب .. كتاب فى الاقتصاد .. وكتاب فى  
أعمال البنوك .. وكتاب لسيمون دى بوفوار .. وقصة لفرانسوار  
ساجان ..

ورفع حاجبيه فى دهشة .. ربما كانت موظفة فى احد البنوك  
.. وهى مثله تدرس الاقتصاد ، ولكن الاقتصاد لم يشغلها عن  
الأدب .. والازياء ، والجمال .. وأحس أنه قريب منها .. قريب  
جدا ..

والتي بالكتب والمجلات .. وعاد ينظر حوله .. وفى المائدة  
درج .. هم ان يفتحه .. هذا تجسس .. أنه ليس فى حاجة الى  
هذا الدرج .. فلماذا يفتحه .. انه لا يريد ان يتجسس .. انه  
يحس احساسا عميقا بأنه أمين على كل ما حوله .. كأن الانسة  
بعرفته وعهدت اليه بعفرتها ، لثمنتها فيه .. ثقتها فى امانته ..

وبدا يرتدى ثيابه .. وهو يفكر فى الدرج المعلق .. ويقاوم  
كل أعصابه رغبته فى ان يفتحه .. وأكل ارتداء ثيابه ..

ولكنه لا يستطيع ان يخرج من الغرفة .. شئ يبقيه ..  
احساس اقوى منه .. وقاوم .. شد ساقيه ليخرج .. وفتح الباب  
.. ولكنه لم يخرج .. اندفع مرة واحدة ناحية الدرج ، وفتحه ..  
.. فى الدرج مجموعة من الخطابات ..

لا .. لن يقرأ الخطابات .. واتقل الدرج بسرعة ..

وخرج فى خطى سريعة .. خرج ليجلس على مقهى قريب من  
الفندق يتناول فيه افطاره .. ولكنه لا يستطيع ان يستريح على  
مقعده .. ولا يستطيع ان يتذوق ما يأكله .. واشترى جريدة ..

عيناه لا تستطيعان أن تتبعنا السطور ، .. عيناه وراء خياله ..  
ومسح الجزمة .. وحاول أن يتشاغل بتتبع المارين .. ولكنه  
لا يستطيع أن يستقر .. لا يستطيع أن يهدأ .. وقام ..

سيذهب الى اللوفر .. ولكنه لم يذهب الى اللوفر .. وسار  
فى خطى سريعة عائدا الى الفندق .. وصعد الدرجات قفزاً ..  
ودخل الغرفة كأنه يقتحمها .. وفتح الدرج فى عنف .. وأخرج  
مجموعة الخطابات وفتح الخطاب الأول وهو واقف وبده ترتعش  
.. وقراه « جانيت .. شيرى » .. وابتمسم .

ان اسمها جانيت .. وجلس فى المقعد المريح يقرأ الخطابات  
.. وعرف منها كل شيء .. عرف لون شعرها .. أصفر غامق ..  
ولو عينيها .. زرقاوان .. وعرف اين كانت الشهر الماضى ..  
واين هى الآن .. و .. و .. كل التفاصيل .. أدق التفاصيل ..  
والخطابات كلها خطابات حب .. حب كبير ، وحببها اسمه آرمان  
.. ولكن هناك خطابات أخرى من حبيب سبق .. اسمه فيليب ..  
لقد كانت فى السابعة عشرة عندما احبت فيليب ، وهى الآن فى  
الخامسة والعشرين .. ولا تزال تحتفظ بخطاباته .. ترى هل  
احبت فيليب أكثر مما احبت آرمان ..

وتبته .. الساعة وصلت الخامسة ، ولم يتناول غدائه بعد ..  
ولكنه لا يشعر بجوع .. لا يريد أن يأكل .. ومال برأسه الى  
الوراء ، واستدعاها على حافة المقعد .. وأخذ يرسم صورة لآرمان ..  
وصورة لفيليب .. وصورة لها .. وأحس انه مغتاض من آرمان  
وفيليب .. لا يدري لماذا .. ولكنه مقتاض منهما ..

وفجأة قام من على مقعده ، وأخذ يفتح كل الأدراج فى العرفة  
.. لأبد ان لها صورة فى درج من هذه الأدراج .. ووجد  
صورتها ..

وشهق .. انها جميلة .. أجمل من خياله .. ليس هذا الجمال  
الباريسى المائع .. ولكنه جمال هادى .. ينبض بالحنان ، ويتدفق  
والشخصية القوية .. الجمال الذى يبحث عنه طول عمره ..  
وامسك صورتها فى يده يبطلق فيها .. لا يفعل شيئاً الا أن يبطلق  
فيها .. وهو هادى .. والساعة التاسعة ..

لأبد أن يأكل شيئاً .. انه لم يأكل منذ الصباح .. وأعاد  
الصورة داخل الدرج ، ولكنه عاد وأخرجها ، وأسندها على المرأة  
فوق مائدة الزينة .. ونظر اليها فى حنان ، وقال فى همس :  
سأعود حالا .. وأخرج ليتناول عشاءه ..

وغسل هواء الليل رأسه ورطب خياله .. فأفاق .. وأخذ  
يضحك من نفسه .. هل جاء الى باريس ليجلس فى غرفة بفندق  
درجة ثانية يجرى بخياله وراء امرأة لا يعرفها .. ما هذا الجنون  
.. لقد جاء الى باريس ليهرح ويضحك وينطلق .. اذن ، فليهرح ،  
ولينطلق .. وتناول عشاءه ، وشرب كأساً ..

ثم ذهب الى كباريهه ، وشرب كأساً ، وكاساً أخرى .. وحاول  
أن يركز خياله فى الراقصات الثلاثى يرقصن أمامه .. حاول أن  
يختار منهن واحدة .. ولكن خيانه عاد الى غرفته .. الى الصورة  
المسندة الى المرأة .. والخمر تلهب خياله أكثر ..

وجرى خارجاً من الكباريه .. جرى الى غرفته .

وامسك بالصورة .. ونظر اليها كأنه يعتذر لها .. لأنه تأخر  
ثم اتجه الى السرير ، فرد عليه تمهيد النوم ، ووضع الصورة فى  
مكان فتحة الرأس .. وابتمسم .. ثم ضحك .. ثم ارتفعت  
ضحكاته .. كأنه جن .. ثم .. ارتدى فوق الصورة يقبلها ..  
ويقبلها أكثر .. والخمر تثقل رأسه .. ونام .. والصورة تحت  
شفتيه ..

وقام في الصباح التالي مصدعاً .. ينظر الى الصورة الراقدة معه تحت شفتيه .. ويتعجب من نفسه .. لابد انه جن ..

خير له ان يترك هذه الغرفة .. وهذا الفندق .. انه لا يستطيع فيها ان يحس بحرينه .. لا يستطيع ان يتحرر من خياله .. من جانبتي ..

ولكنه لم يترك الغرفة .. عاد يقرأ الخطابات .. ثم فكر : لماذا لا يكتب لها خطانا هو الآخر .. سيكتب .. وامسك بورقة وقلم .. وكتب : « جانبتي .. شيرى » .

« هل تتعجبين وانا اناديك : شيرى .. لا تتعجبى .. الى اعرفك .. واحبك كما احبك فيليب .. وكما احبك ارمان .. احبك بقدر حب الاثنين .. انى اعرف كل شئ عنك .. عشت في كل لحظة من حياتك .. عشت معك فى عمك وفى فرائك .. واعرف كيف تتكلم عينك .. واعرف طعم قبلاقتك .. منذ بدأت تتعودين القبل ..

ان قبيلتك وانت فى الخامسة والعشرين اطعم منها وانت فى السادسة عشرة .. اما انا فقد ذقت القبليتين .. عشت فيهما .. صدقيني .. لقد احسست بكل قبلاقتك فوق شفتى .. وقد كنت تغضبين من فيليب لانه لا يفكر فى مستقبله .. انه يفكر فقط فى كتابة الشعر ..

رغم انك تحبين الشعر .. وكنت تغضبين من ارمان لانه لا يتذوق كل الجمال انها يعطى كل نفسه لعله فى البنك .. اما انا .. فلن تغضبى متى .. الانى مثلك .. احب البنوك واحب الشعر فى وقت واحد .. هل تعلمين كيف قضيت بيلتى السابقة .. معك .. و .. وتوقف عن الكتابة .. القى القلم ..

ماذا يفعل هذا المجنون .. باى حق يكتب لها .. وما هذا الهراء الذى يكتبه ؟ .

ورغم ذلك فهو لا يستطيع ان يصد جنونه .. ويخرج من العرش .. واطل من فوق حاجز السلم وصاح فى المونلف :

— ارسل لى زجاجة بييد .. زجائتين !

وشرب .. والخمر تطلق خياله اكثر .. انه يريد اها .. يريد

جانيت .. هاتوا لى جانيت ..

وقام يدور فى الغرفة كالمجنون .. ثم هجم على الدولاب وفتحه واخرج منه كل قطع الثياب الداخلية النسائية .. كل القطع الصغيرة

الانيقة .. واخذ يرصها على السرير .. ثم اخذ يطوحها فى الهواء .. ثم مزق قطعة منها بيديه .. وافاق .. انه لن يقاوم مرة

اخرى .. سينتظر جانيت الى ان تعود .

سينتظرها فى هدوء .. انه يحس انها له .. يحس ان ما يحدث له هو تدبير من القدر ليجمعه بالمرأة التى يهبها حياته ..

ورتب قطع الثياب الداخلية فى الدولاب .. ثم نزل واشترى مجموعة اخرى من الثياب الداخلية النسائية .. مقاس جانيت بدلا

من القطعة التى مزقتها ..

وانتظر .. وفى اليوم الرابع لم يسافر .. بقى فى الغرفة .. انه لن يسافر الا بعد ان تعود جانيت .. وهو يخرج فى الصباح

ويعود بعد الظور .. ويخرج فى المساء ويعود هادئا .. لا يشرب .. ولا ينطلق .. كائى زوج بخلص وصورة جانيت مسندة الى

المرأة .

وذهب فى اليوم السادس الى شارع الشانزليزيه ، وجلس فى مقهى الفوكيه .. وفجأة .. رآها تمر امامه .. جانيت .. وهب

من فوق مقعده بجري وراءها ، وهو يصيح : جانيت .. جانيت .. وما كادت تلتفت اليه حتى اخذها بين ذراعيه .. وقبلها ..

وقبلها .. وهى تصرخ .. وهو لا يسمع صراخها .. والناس يتجمعون ، وهو لا يرى الناس . ورفعت كتفها وصفعته .. وانته

.. ورفعت حقيبة يدها ، وضربته فوق رأسه .. وانتبه اكثر .. افاق .. ! ونظر اليها نظرة سريعة ، وقال بصوت خافت :

— بردون ،

ثم أسرع وركب سيارة اجرة ، وعاد الى الفندق .. وجمع ثيابه بسرعة ، ودفع حسابه ، وخرج .. دون أن ينظر الى صورة جاهليت ..

\*\*\*

وفى المطار .. أرسل برقية الى مركز المؤسسة فى القاهرة .. « انى متعب .. منحت نفسى اجازة عشرة ايام .. اجلت كل .. واعد العمل » .

وقضى العشرة الايام فى سويسرا على شاطئ بحيرة لوزان .. ثم عاد يطير من بلد الى بلد ، ويقابل المديرين ، ويناقش اللجان ، ويتناول الطعام على موائد السفراء ..

## بنت تبحث عن زوج

عزيزى احسان :

كنت دائما اعرف ما اريد .. وكانت لى الارادة لاحقق ما اريد .  
وقد اردت ان احصل على شهادة جامعية .. وحصلت عليها وارادت ان اعلم .. وعملت .. التحقت بوظيفة فى احدى الشركات .. ثم اردت ان اكبر وظيفتى .. وكبرت .. اصبح مرتبى اكثر من خمسين جنيها .. واصبح عمرى ثلاثين عاما .. وقد فعلت كل ذلك دون ان يعاونتنى احد .. ابى مات وانا فى السادسة عشرة .. وامى لم تكن تريد لى ان اتعلم او اشتغل .. كانت تريد ان تزوجنى كما زوجت اختى الاصغر منى .. ولكنى لم اكن كأختى .. اختى انسانة ضعيفة تتشعث بذيل امها .. وتحتاج دائما الى من يدلها ، ومن يرعاها ، ومن يفكر لها ويحدد لها طريق حياتها .. اما انا .. فلست من هذا الصنف الضعيف ، ولست فى حاجة الى من يدللى او يرعانى .. انا انسانة قوية .. لا اؤمن بانى لكى اكون امراة يجب ان اكون ضعيفة ..

ولم تكف امى عن الالاح على بان اتزوج .. وكنت اعلم انى فى حاجة الى الزواج .. على الاقل من الناحية الصحية .. ولكنى لم اكن اريد ان اتزوج اى رجل .. كانت هناك صورة معينة فى راسى للرجل الذى اريده .. وكان على ان انتظر الى ان اجده .. كما وجدت الشهادة الجامعية .. وكما وجدت الوظيفة

.. وليس معنى هذا انى لست عاطفية . بالعكس .. انا عاطفية جدا .. ولكنى لا اسمح ابدا لعاطفتى ان تغلب عقلى .. وعقلى يحدد لى ما اريده وعلى عاطفتى ان تنتظر .. وقد تعذبت كثيرا حتى اقتنع عاطفتى بالانتظار .. ومرت على ليالى كثيرة كنت اشعر فيها بوحدة قاتلة .. وحدة تكاد تدفعنى الى احضان اى شاب يصادفنى .. ليبدد وحدتى ولو لمدة ساعة .. ليهدىء من عواطفى المشتعلة ، وجسدى المحجوم ... ولكن .. لا .. عقلى دائما اقوى من عاطفتى .. مهما تعذبت ومهما تاسيت عقلى دائما .. معى .

وعقلى يدير لى حياتى .. بكل تفاصيل حياتى .. حتى الميزانية التى اصرف على اساسها مرتبى ، احسبها بالليم ، وافكر فى كل ليم كئى افكر فى عشرة جنيهات . وليس معنى هذا انى بخيلة .. ابدا انى احب الثياب الانيقة ، واحب الذهاب الى السينما ، واحب ان ارتقص .. احب ان اتمتع بالحياة .. وادفع ثمن متعتى .. ولكنى لست عبيطة .. لا ادفع فى شىء اكثر مما يستحقه .. ثم انى مقتنعة تماما بالتحويش منذ ان كان مرتبى خمسة عشر جنيها وانا احوش .. وارتفع رصيدى فى البنك . وكنت مقتنعة بان هذا الرصيد هو ضمان حريتى .. فان الفقر يسلب الحرية .. اعدى اعداء الحرية هو الفقر .. فاذا اردت ان اعيش حرة — كما لنا الآن فيجب ان يكون لى رصيد فى البنك .. ومن رصيدى اشتريت سيارة صغيرة .. ومن رصيدى استطعت ان اوثث شقة صغيرة اسكن فيها .. وحدى ..

وكان لهذه الشقة قصة ..

فقد توغيت ايمى بعد ان تخرجت فى الجامعة بسنتين .. وانتقلت انا واخى الصغير لنعيش فى بيت خالتى .. وبدأت خالتى تتدخل فى حياتى .. تسألنى عن كل كبيرة وصغيرة .. ثم بدأت تلقى

الى اوامرها .. لا تتأخرى عن الساعة الثامنة مساء .. لا تتحدثى كثيرا فى التليفون .. و .. وتحتلها سنتين ، لم يتسع عقلى خلالهما لاتصور انى استطيع ان اعيش وحيدة .. ولم استطع ان اقتنع خالتى خلالهما بان تعبرنى كئى اعيش معها فى بنسيون . ما دمت اشاركها فى دفع الايجار وفى مصاريف البيت والطعام .. ثم بدأت اتساءل : لماذا لا اقيم وحدى .. انا واخى الصغير .. انا حرة .. انا توية .. انا اكسب عيشى .. انا لا اعتمد على احد .. واقتنع عقلى اخيرا .. اقتنع بسخافة التقاليد التى تحرم غناة قادرة من ان تسكن فى شقة وحدها .. واقتنع بان من حتى ان اسكن وحدى .. وسكنت وحدى .. انا واخى الصغير .. وفى بيتى راديو ، وبيك آب ، وتليفون .. بيتى مريح ، انيق ، دمه خفيف ..

ولم يؤثر سكتاى وحدى فى حياتى .. انا كما انا .. وعقلى دائما معى ..

ولكنى لم ابدا قصتى بعد .. ان قصتى تبدأ عندما سافرت منذ عامين الى الاسكندرية لافضى خمسة عشر يوما من اجازتى .. وازددت ، فى الاسكندرية احساسا بوحدى .. هذا الاحساس الذى يعذبنى ، ويكوى عاطفتى المحرومة ..

وفى يوم لم اطق المكث فى انبسيون الذى اقيم فيه ، وخرجت فى الساعة الرابعة بعد الظهر الى الشاطيء وانا ازفر انفاسى .. والناس على الشاطيء يلعبون ، ويضحكون ، ويتبادلون الغزل .. وزفرات انفاسى تتمد .. ثم تذكرت ان لى صديقة احتفظ برتم تليفونها .. لعلها تستطيع ان تبدد وحدتى .. وسرت على الشاطيء ، ابحث عن تليفون .. ورفعت راسى الى اول شاب صادفتنى اسأله :  
— من فضلك .. ما غيش تليفون هنا !

ورد في هذوء :

— تعالى .

وسار بجانبى .. ونظرت اليه مرة أخرى .. ان وجهه نحيل  
وشفتاه وفتحتان .. وعيناه تملان وجهه .. وشعره اسود يطير  
مع الهواء .. انه جميل .. وقد كنت في حالة تجعلنى اتعمد البحث  
عن الجمال في وجوه الرجال ..  
وقال لى وهو يسير بجانبى :

— دلوقت حتلاقى طابور ، واقف قدام التليفون .. انها  
ولا يهيك ..

وسار بى الى كشك الاسعاف .. ووجدت الطابور الطويل  
فعلا .. ولكنه اخذ منى نمرة التليفون .. ثم وجدته يدخل الى  
الكشك ويحدث رجل الاسعاف واخذ رجل الاسعاف السماعه من  
يد آخر المتحدثين ، وطلب لى نمرة ..  
النمرة لا ترد ..

وعاد الى محمود .. عاد يسير بجانبى .. ولم اعترض ..  
سرت معه على الشاطىء وبدانا نتحدث .. وانا اسائل عقلى الى اى  
حد استطيع ان استمر فى الحديث .. وعقلى لا يجيب .. عقلى  
مجهد ، تعب .. عقلى فى اجازة ..  
ودعانى محمود لتناول الشاى ..  
صرخ كالطفل :

— نروح ناخذ الشاى فى المنتزه ..

ووافقت .. وتركننا الشاطىء الى حيث تقف سيارتى .. ورايت  
عيني محمود تزدادان اتساعا وهو ينظر الى السيارة وقال كانه  
يشهق :

— انتى عندك عربيه ؟

وجلس بجانبى وهو يتحسس اجزاء السيارة ، ويعبث

مفاتيحها ، ويسألنى عنها .. تكام ؟ ومين ؟ وبتاخذ كام جالون ؟  
و .. و .. وانا سعيدة بفرحته بسيارتى .. خيل لى انى لم افرح  
بهذه السيارة الا عندما فرح بها محمود ..

وتركنى محمود بعد ان تناولنا الشاى .. وبعد ان تواعدنا على  
المقاء فى اليوم القالى .. تركنى وانا نادمة ..

لماذا لم ادعه ياخذنى لتناول العشاء سويا ..

لماذا لم ادعه يقبلنى .. لماذا افرض على نفسى هذه الوحدة ..  
هذا العذاب .. هذا الحرمان .. على الأقل يجب ان اراعى  
صحتى ..

وقد عرفت فيما بعد ان محمود لم يدعنى يونها الى العشاء لانه  
لم يكن يملك ثمن العشاء .. انه فقير .. موظف فى بنك ..

وفقره لم يمنعنى من ان استمر معه .. وان اتمادى .. ولم  
يخن محمود اول شاب يقبلنى .. لقد جريت شفتاى القبلات من  
قبل .. فى حدود معقولة .. فقط لاحافظ على حالتى الصحية  
ولكنى لم اكن اسمح بأن تنتهى بى هذه القبلات الى الارتباط بعلاقة  
مستديمة منظمه .. لم اكن اسمح لنفسى ابدا بالارتباط الا بالرجل  
الذى اريد ان اتزوجه .. والذين مروا فى حياتى لم يكن بينهم رجل  
اريد زوجا .. ما عدا محمود ..

لقد ارتبطت به .. تطورت ملاقتنا بسرعة عجيبة .. ورايت فى  
مضى فتاة لم اكن اعرفها .. واذكر فى هذه الفترة حادثة صغيرة  
دل على مدى التغيير الذى اصابى ..

كنا ما زلنا فى الاسكندرية .. فى الاسابيع الاولى من علاقتنا  
.. ووقفنا بسيارتى ذات مساء فى شارع قريب من حديقة النزهة  
سيادلتنا القبلات .. ثم اتفقنا ان نذهب لتناول العشاء فى مطعم  
" باستروودس " .. وكل منا يدفع حسابه ..

وعندما خرجنا الى الشوارع المضيئة .. رايت وجه محمود  
« ملغبط » باحمر شفتي .. ولم اتكلم .. لم الفت نظره .. احساست  
بزهو عجيب وأنا ارى بصمات شفتي فوق هذا الوجه الجميل ..  
ودخلنا المطعم .. واحسست بزهو اكبر وانا ارى الناس كلها  
تنطلع فى وجه محمود .. ثم تنطلع الى .. وتبتسم .. كنت كانى  
اصرخ فى الناس فخورا .. هذه بصمات شفتي .. وهذا الوجه  
كلت اقبله ، وكان يقبلنى ! ..

وهمس محمود :

— الناس بتبص كده ليه ؟

واجبته وانا اخفى ضحكى :

— وشك كله روج !

واخرج مندبله ومسح آثار شفتي بسرعة وارتيباك ..

الى هذا الحد فقدت عقلى .. ولكن .. هل اتزوجه .. هي

اتزوج محمود ؟ لا ...

عقلى يقول لى : لا ، ويصر .. لا .. انه ليس الرجل الذى  
أريده .. ليس الرجل الذى وضعت فى ميزانية حياتى التى حددتها  
من صغرى .. انه فقير .. ولا يحمل الا شهادة متوسطة .. وهى  
اصغر منى بسنه .. ولا يطيق حمل المسؤولية .. انه حتى لا يحمل  
مسئولية نفسه .. لا يفكر فى مستقبله ، ولا يريد ان يكبر .. انه  
فقط شاب جميل .. مسل .. محبوب !

ومضى عابان وعلاقتنا مستمرة .. ولم اعترف بينى وبين نفسى  
خلال هذين العامين ان ما بينى وبين محمود هو حب .. ابدا ..  
انها مجرد علاقة مريحة .. صحية !

اثنان .. يرتاح احدهما الى الآخر .. ويحتاج كل منهما الى  
الآخر ..

وقد تحدثنا فى الزواج عدة مرات خلال هذين العامين ..

وكنت احس ان محمود يريد ان يصل بالحديث الى ان يعرض على  
الزواج .. ولكنى كنت افوت عليه هدفه .. وكنت استطيع دائما  
ان اتنعه بان طريقنا هو ان يكبر كل منا فى عمله .. وان نحتفظ  
بعلاقتنا كما هى .. مريحة ، وصحية ! .. وكنت اشعر بتوع من  
التسوة وأنا اصد امله .. ولكن ماذا افعل ؟ انه ليس الرجل الذى  
أريده زوجا .

ثم ... سافرت مع بعض موظفى الشركة فى بعثة تدريبية الى  
المانيا ، مدتها ثلاثة شهور ... كنت فرحة .. فرحة لائى مسافرة  
... وفرحة لان هذا السفر سيعطينى فرصة لاجدد علاقتى بمحمود  
.. اعود اليه بتفكير جديد ، واحساس جديد .

وعدت .. عدت وشوقى الى محمود يكاد يقذفنى من  
الطائرة ..

ولكن محمود تغير .. وقال لى ان امه ماتت ..

ولكن .. كان فيه شىء آخر اكثر من حزنه على امه .. انه  
اصبح فائرا .. واصبحت مواعيد لقائه متباعدة .. بل اصبح  
متأخر فى مواعده .. ثم .. لم يعد فرحا بسيارتى .. حرت فيه ..

وذات يوم حدثنى عن ابنة خالته .. حديثا عابرا مبتورا ..  
ولم يكن قد حدثنى عنها من قبل .. ثم تكرر حديثه عن ابنة  
خالته ، دون ان القى بالا الى حديثه عنها .. وحيرتى فيه تشدد ..  
وحاجتى اليه تزداد ..

انه لم يعد مريحا .. ولا صحيا .. انه يتركنى اتعذب .. انى  
امام نوما قلقتا .. واذهب الى على شاردة .. هل احبه ؟ .. انى  
ارغض ان اعترف بهذا الحب .. انه ليس الرجل الذى يجب ان احبه  
.. ان الرجل الذى يجب ان احبه ، هو الرجل الذى يجب ان اتزوجه  
وانا لا اريد ان اتزوج محمود .. عقلى لا يرضى ان اتزوجه ..



ولكنى فقدت عقلى .. وقلت ، وأنا احس لأول مرة بضعفى ..  
ضعف ارادتى :

— محمود .. تعال نتجوز ! ..

• وكنت اعتقد ان هذا هو آخر المطاف .. انى سلمت بكل شىء

.. وستعود حياتى بعد ذلك مريحة .. وصحية ! ..

ولكن محمود نكس راسه ، وقال فى صوت خافت :

— انا خطبت يا منى ! ؟

وشهقت .. وشهقتى تخرج من عينى :

— خطبت مين ؟

وقال فى همس :

— بنت خالتى !!

— مش ممكن .. مستحيل .. ما تقدرش .. انت خاين ..

لازم تتجوزنى انا .. انا ..

وبرت صرختى .. ولم انتظر جوابه .. جريت من امامه ..

وركبت سيارتى التى اشتريتها من رصيدي .. وذهبت الى بيتى

الابيق الذى ائنته من رصيدي ..

وجلست ابكى ! .. هل تدرى كيف اصبحت ؟ ! كما كنت ..

افكر بعقلى .. وارسم حياتى بارادتى .. ورصيدي يرتفع فى

البنك .. وابحث عن الزوج الذى اريده .. وسأجده .. لقد حققت

كل ما اردته .. فلماذا لا احقق هذا الزواج الذى اريده .. كل ما

هنالك انى اصبحت فى الثلاثين من عمرى .. وشىء جاف كعود

الخشب ينغز فى صدرى .. ولا ابتسم كثيرا ..

لا ادرى لماذا لا ابتسم كثيرا .. لا يهم .. عقلى لا يزال معى !!

## زوجة تبحث عن عمل

لم يكن صديقى راسماليا ، ولا اشتراكيا ..

انه لم يشغل نفسه ابدا بتفسير المجتمع الذى يعيش فيه ..

ولا بتفسير نوع العمل الذى يقوم به .. بل انه لم يكن يقرأ المقالات،

والبحوث السياسية والاجتماعية التى تنشرها الصحف .. كان

لا يطبق المقالات الطويلة الجادة .. ويكتفى عندما يقرأ بالموضوعات

الخفيفة .. انه يقرأ ليستريح .. ليتسلى .. لا ليدرس ..

وكان الشىء الوحيد الذى يؤمن به ، هو .. العمل .. العمل ..

.. الشريف ..

وكان مطمئنا دائما الى المستقبل ، لأنه يستطيع دائما ان يعمل

.. ولأنه يؤمن بكفاءته فى عمله .. والرجل الكفاء لا يعجز عن

العمل مهما تغيرت صورة المجتمع من حوله .. وقد بدأ صغيرا ..

دخله لا يزيد عن خمسة عشر جنيها .. ثم بدأ يكبر .. بعمله

.. ارتفع دخله الى خمسين جنيها .. الى مائة .. الى مائتين ..

الى ثلاثمائة ..

ولم يتوقف لحظة ليتساءل : لماذا ارتفع دخله ؟ هل ارتفع لأنه

يعمل فى مجتمع راسمالي ؟ .. وهل لو تغيرت صورة المجتمع

يستمر زيادة دخله ؟

لم تكن هذه الاسئلة تخطر على باله ..

لقد ارتفع دخله لأنه يعمل .. هذا هو كل شىء ..

و .. وفوجيء بالقوانين الاشتراكية الجديدة ..

واكتشف أن دخله قد نقص .. وصل الى مائة وعشرين جنيها ..  
خالص الضريبة .

وتنبه .. تنبه الى أن صورة المجتمع قد تغيرت .. وتنبه الى أن دخله كان يرتفع لا لجرد أنه يعمل ، بل لأنه كان يعمل في مجتمع له صورة معينة .. مجتمع رأسمالي .. وبما أن الصورة قد تغيرت ، فإن عمله لن يؤدي الى نفس الزيادة في الدخل ..

### \*\*\*

ورغم هذا فإن هناك شيئا لم يتغير في الصورتين ، وهو العمل ..

مبدأ العمل .. العمل الشريف .. ولم يخف ..

ظل مطمئنا كما كان ، يستمد اطمئنانه من ثقته في كفاءته ، ومن قدرته على العمل .. ولكنه كان يعلم أن شيئا يجب أن يتغير في حياته .. يجب أن ينظم حياته في حدود دخله الجديد ..

وابتسم عندما تذكر أنه بدأ حياته ودخله لا يزيد عن خمسة عشر جنيها .. لقد كان أيامها متزوجا ، وأنجب ابنته الكبيرة ، ثم أنجب ابنته الثانية بعد أن ارتفع دخله الى ثلاثين جنيها ، وأنجب ولده ودخله خمسون جنيها .. وكان أيامها سعيدا .. لم يكن ينقصه أو ينقص زوجته وأولاده شيء ..

ولم تزد مسؤولياته الخاصة أو العائلية بعد ذلك شيئا ..

انه الى الآن زوج وأب لثلاثة اولاد .. ولكنه أصبح ينفق أكثر من ثلاثمائة جنيه في الشهر .. على بيته وعائلته ..

أين تذهب هذه الزيادة الكبيرة في النفقات ؟

لقد انتقل الى شقة كبيرة .. إيجارها مرتفع .. كان يسكن في شقة بسبعة جنيهات ، والآن يسكن في شقة إيجارها خمسة وثلاثون جنيها !

ولكن الزيادة في إيجار الشقة لا تستغرق هذه الزيادة الكبيرة في مصروفه الشهري .. ربما كان الغلاء .. أن مستوى الأسعار ارتفع عما كان عليه منذ خمسة عشر عاما .. ولكن .. لا يمكن أن يصل نسبة زيادة الأسعار ، الى نسبة الزيادة في مصروفه !

### \*\*\*

وبدا يراجع كل قرش يصرفه .. واكتشف شيئا هاما ..

اكتشف أن معظم مصروفه يصعب في أشياء صغيرة .. أن هذه الأشياء الصغيرة هي سر الزيادة الكبيرة من نفقاته الخاصة .. سيارة الأولاد مثلا ..

ما حاجته الى سيارتين .. سيارة له .. وسيارة لزوجته والأولاد .. أن هذه السيارة الثانية تكلفه حوالي أربعين جنيها في الشهر .. مرتب السائق وإيجار الجارح ، وثمان البنزين .. أنه يستطيع أن يوفر هذا المبلغ .. ومن صالح الأولاد أن يتعودوا على ركوب الأتوبيس والترولي باص .. أن المجتمع الجديد لا يحتمل الأولاد المدللين .. ثم هو نفسه نشأ وكبر ونجح ، دون أن يكون له سيارة تنقله من البيت الى المدرسة ، وتذهب به الى السينما .. وربما كان هذا هو أحد دوافع نجاحه .. ولكن زوجته تخاف على الأولاد من الطريق ، رغم أنهم كبروا .. أكبرهم في الثانية عشرة من عمره .. لماذا الخوف .. هي نفسها لم يكن أبوها يخاف عليها من الطريق .. وهو نفسه كان يجري في الشوارع منذ أن كان في السادسة من عمره .. فلماذا الخوف ؟ !

وتأدى زوجته وأولاده ، وأعلنهم أنه قرر الاستغناء عن السيارة الثانية .. السيارة الكبيرة .. وسيكتفى بالسيارة الصغيرة .. وسوقها بنفسه .

وفرح الأولاد .. انهم سيترحرون .. وابتسمت الزوجة ..

عقته ، ولا يهدد الولائم التي يقيمها .. لن يكون الرجل الذي يركب  
سيارة « كاديلاك » أكثر نجاحا — في نظر المجتمع الجديد — من  
الرجل الذي يركب سيارة « فيات » ..

وازداد اطمئنانا ، وثقة بنفسه ، وبمستقبله .

واستطاع في الشهر الأول أن يوفر نصف نفقاته ؛ دون أن  
يستغنى عن شيء أساسي في حياته .. ودون أن يحرم الأولاد من  
الذهاب الى السينما كل أسبوع ..

ثم .. حدث شيء آخر .. نالت له زوجته وهي تتبسم :

— قررت أن اشترى ..

ودهش ..

\*\*\*

لقد مضى على زواجهما ثلاثة عشر عاما ، لم تحاول زوجته  
خلالها أن تبحث لنفسها عن عمل .. لم تفكر في العمل .. لم  
يناقشا أبدا هذا الموضوع ..

والآن .. تريد أن تعمل ! وانظر ان يحسن بالثورة على اقتراح

زوجته ..

ولكنه لم يحسن بهانة ، ولا بذل .. اكتشف ان اقتراح زوجته  
ليس له علاقة بكرامته ، ولا بشرفته ، ولا بمكانته .. واستقبله  
بهدهوء ..

وناقش نفسه .. واكتشف حقيقة كانت غائبة عنه .

اكتشف ان زوجته كانت دائما تعمل ..

عند بدء زواجهما كانت تتولى بنفسها أعمال البيت .. كانت  
هي التي تطبخ .. وهي التي تكتسب .. وهي التي تربي الأولاد ..  
وبعد أن نجح .. واغتنى .. واستطاع ان يستخدم طباطبا  
و « سفرجى » ومربية أطفال .. أصبح لزوجته عمل آخر ..

ثم أخذ يراجع بقية المصروف .. عدد القمصان التي يشتريها  
.. وحساب الملابس التي تشتريها زوجته .. وقسط التأمين ..

لقد أمن على حياته لصالح اولاده بمبلغ كبير .. انه يستطيع ان  
يختصر نصف هذا المبلغ ، دون أن يحدث شيء .. و .. و ..  
واعجب شيء اكتشفه أنه يدفع من الشهر ثلاثة جنيهات ونصف ثمنا  
للكولونيا التي يستعملها بعد حلالة ذقنه .. انه يستعمل كولونيا  
فرنسية ، ثم الزجاجة منها سبعة جنيهات ، والزجاجة تكفيه  
شهرين .. وابنسم .. ضحك من نفسه ، وقرر ان يستعمل كولونيا  
بحلية ..

\*\*\*

وتعجب وهو يكتشف كل هذه النفقات التي تضيق على أشياء  
صغيرة ..

تساءل : كيف انتقاد الى هذا التبخير .. انها المظاهر ..

والمجتمع الذي كان يعيش فيه ، كان يؤمن بالمظاهر .. كان  
الرجل الذي يضع فوق صدره كرافته « سولكا » له قيمة غير قيمة  
الرجل الذي يضع على صدره كرافته « ماركة الشماعة » .. لا لشيء  
الا لأن الأول يضع كرافته « سولكا » .. والرجل الذي يسهر في  
سميراميس له قيمة غير قيمة الرجل الذي يسهر في بيته ..  
والرجل الذي يركب سيارة كاديلاك قيمته أعلى من الرجل الذي  
يركب سيارة فيات .. وكانت هذه المظاهر هي بطاقات الوصول ..  
هي الطريق الى الجاه والتمصب والسلطان .

وقد انتقاد لها دون أن يدري . انتقاد لها تحت تأثير المجتمع  
الذي يحيط به ..

ولكن .. لا شك ان المجتمع الجديد لن يتأثر بهذه المظاهر ..  
انه مجتمع يؤمن بالعمل .. ويقبض الرجل بعمله .. لا بنوع رباط

وأصبحت جزءاً من المظهر الذى يتطلبه المجتمع الذى كان يعيش فيه .. كانت تصحبه الى المآذب التى يقيمها .. و .. و ..  
والآن .. البيت ليس فى حاجة الى كل وقتها .. كبر الأولاد ، ولا يزال يستطيع أن يدفع مرتب الطباخ والسفرجى .. كما أن المجتمع لم يعد فى حاجة الى هذه المظاهر التى تشترك فيها الزوجات .. انه يستطيع أن يعمل دون حاجة الى أن يصحب زوجته الى المآذب ، ودون حاجة الى أن تقيم له المآذب ..  
ان من حقتها ان تبحث عن عمل آخر .. ولكن .. هل كان يسمح لها بالعمل لو لم تتغير صورة المجتمع ؟  
بل .. هل كانت زوجته تفكر فى ان تعمل ؟ .. لا يدري ..

\*\*\*

ولكنه يحس ان شيئاً تغير فى منطقته .. وفى احساسه .. ربما لو ظل المجتمع كما كان لاعتبر خروج زوجته الى العمل اهانة تمس كرامته .. فضيحة .. جريمة خلقية .. ولكنه الآن لا يحس بشئ من هذا .. تغيرت تقاليد .. تغير منطقته .. اتخذت الكرامة والعزة والشرف معانى جديدة .. ربما كان السبب اقتصاديا .. فقد كان من قبل يكسب ما يكفى لكل ما تريده زوجته ، أما الآن فليس كل ما تريده زوجته يستطيع أن يشتريه لها .. لقد اتفق معها على ان تشتري ثوبين فقط فى الصيف .. لو ارادت ثوباً ثالثاً لما استطاع ان يشتريه لها ..  
— لا .. ليس السبب الاقتصادى هو كل شئ .. انه تأثير المجتمع الجديد ..  
انها التقاليد الجديدة ، تنطلق مع القوانين الجديدة ..  
انه يحس من حديث زوجته انها تريد ان تتباهى بانها امرأة عاملة .. تماماً كما كانت تتباهى من قبل بانها بنت ذوات ..

وابتسم راضياً .. وسألها فى حنان :  
— حـا تشتغلى ايه ؟  
قالت فى مرح :  
— أى حاجة .. سكرتيره .. بياغه .. فى مصنع .. فى شركة .. أى حاجة .. ما تنساش انى واخده التوجيهيه ..  
قال وابتسامته تتسع :  
— مش حاتخدى أكثر من خمستاشر جنيه ..  
قالت كأنها عادت طفلة ، كأنها تبدأ الحياة من جديد :  
— وباله .. ينفعوا .  
قال :  
— ينفعوا فى ايه ؟  
قالت :

— أشتري بيهم شوية حاجات صغيره ..  
وضحك ..  
ان المرأة لا تستطيع ابدا ان تستغنى عن الأشياء الصغيرة ..

\*\*\*

وجاءتنى الزوجة فى الاسبوع الماضى ..  
لأساعدها فى البحث عن عمل ..

اروا خبر التأميم — فى طريقهم الى بيته ليضربوه بالطوب ..  
اسهبوا تحفه .. ليقتلوه ..

وجرى كالمجنون فى اتجاه انبيت ، يفلق النوافذ والابواب ..  
ثم ارتمى على مقعد كبير يلهث .. وراسه الضخم الاشيب بين  
يديه .. وكركشه العريض ملقى فوق ساقية .. وورعدة الخوف  
تسرى فى عروقه وتشل تفكيره ..

ومضى اليوم ..

وبوم آخر ..

العمال لم يأتوا .. لم يضربوا البيت بالطوب .. حتى هتافاتهم  
التي يسمعونها فى الراديو لا تطالب براسه ، ولا تنادى بالانتقام منه  
.. وهذا قليلا ..

طبعا .. ماذا يهم العمال منه انيوم .. ماذا يصنعون براسه  
ليطالبوا بها .. لقد أخذوا ما هو أهم من رأسه .. أخذوا كل شيء !  
وشبه ..

انه لا يملك شيئا .. كل منهم وضعه فى المصنع استولت عليه  
الدولة .. أخذوا كل شيء .. ولم يفكر لأول وهلة فى طريقه  
لاستعادة ملاليمة .. ملايينه .. ولكنه فكر فى كيف يعيش .. من  
اين يصرف .. من اين يدفع اجر الطباخ والسفرجى ، ومربية  
الاطفال السويسرية .. ان الحكومة اعلنت انها ستترد امواله فى  
سندات لها ارباح .. ولكن هناك اجراءات معقدة ووقت طويل قبل  
ان تقدر ممتلكات الشركة ، ويذسلم السندات ويقبض الأرباح ..  
من اين يعيش الى ان يقبض ..

وايتسم ابتسامة مسكينة .. الحمد لله ..

ان لزوجته رصيذا خاصا فى البنك ..

## رجل يبحث عن سيارة

كان يضع كل قرش فى الشركة الصناعية الكبرى التي يملكها  
فى الاسكندرية حتى سياراته .. المخصصة له .. والسيارة  
المخصصة لاولاده .. والسيارة المخصصة لزوجته .. والسيارة  
المخصصة لأمه .. كل هذه السيارات كانت مسجلة باسم الشركة .

وصدر قانون التأميم .. اهدت الشركة .. وأهم المصنع ..

وعندما بلغه الخبر ، شعر بخوف مفاجيء .. خوف كبير ..  
لم يفكر فى امراله .. ولم يفكر فى مستقبله .. لم يفكر ابدا ..  
الخوف اشعل تفكيره .. وورعدة خفيفة تسرى فى اعصابه ، وتهز  
قلبه .

م يخاف .. انه لا يدري .. لعله يخاف من العمال .. عمال  
مصنعه .. لقد كان دائما عزيزنا مع عماله .. كان يأخذ منهم  
ما يريد .. ويعطيهم ما يريد .. كان هو الارادة المسيطرة على  
حياتهم .. ولم يستطع واحدهم ان يفلت من ارادته .. لم يستطع  
واحد منهم ان يأخذ حقا يطالب به ، او حقا يكفله له القانون ..  
لقد كان هو الحق الوحيد داخل المصنع .. وكان دائما أقوى من  
القانون .. وفى خلال السنوات الطويلة ثار العمال ضده عدة  
مرات ، ولكنه كان دائما يستطيع ان يخضع ثورتهم ويشرئد  
زعمائهم ، ويعيدهم كالنعاج ليصطفوا امام الآلة .

لعل عمال المصنع ينتقمون منه انيوم .. لعلهم الآن — بعد ان

ولوت الزوجة شفيتها في سخط .. نعم سنصرف من رصيدي الخاص !!

واتسعت عيناه فجأة .. لقد تذكر شيئا آخر .. السيارة .. السيارات ..

انها كلها مسجلة باسم المصنع .. كلها شملها التأمين واستولت عليها الدولة .. وهو لا يستطيع ان يعيش بلا سيارة .. لا يستطيع ان يسير في الشارع على قدميه ، ويتشعلق في الاثوبيسات وعربات الترام .. ان السيارة هي قدماه !  
واغرورت عيناه بالدموع .

واحس بشيء يتلوى في صدره .. لقد سجل كل السيارات باسم المصنع ، لا حيا في المصنع ؛ ولكن تهربا من الضرائب .. فنفقات السيارة واستهلاكها كانت تقيد ضمن ميزانية المصنع ؛ فتزيد النفقات ، وتقل الضرائب .. ولو كان يعلم .. لو كان يعلم ان هذا اليوم سيأتي .. لما حاول التهرب من الضرائب .. واحتفظ بالسيارة .. وهو يريد سيارة .. الآن ..

★★★

وتذكر انه منذ شهور قليلة اشترى سيارة واهداها لمدير مصنعه .. لقد عاشى هذا المدير معه سنوات طويلة .. التقطه من بين صفار الموظفين ونفخ فيه .. نذل ينفخ فيه حتى جعل منه مديرا للمصنع .. وقد كان دائما ساعده الايمن .. لا .. كان لدولاه .. وكان الاداة التي ينفذ بها اوامره .. الاداة التي يتحايل بها على قوانين الضرائب ، وقوانين العمال ، وقوانين الاستيراد والتصدير .  
ورفع سماعة التليفون ليتحدث مع المدير .. ووضع بين شفيتها ضحكة كبيرة كان شيئا لا يهيمه .. وضغط على نبرات صوته حتى

لا يبدو برتمعشا .. وتكلم بلهجته القديمة ، كأنه لا يزال صاحب المصنع :

— وحياتك تبعت لى العربيه بتاعتك يومين ، لغاية ما نشوف الجماعه ناويين يمهلوا ايه ..

ورد المدير في صوت جاف .. صوت جديد لم يتعود سماعه :  
— حاضر ..

وانهى المدير الحادثة بسرعة .. كأنه يهرب .. وانتظر الرجل ان تأتي له سيارة المدير .. مضى اليوم ولم تأت .. وحاول ان يتصل به مرة اخرى .. مش موجود ..

ومرة ثانية .. وثالثة .. مش موجود .. واقنع الرجل نفسه ان المدير لابد ان يكون مشغولا .. هذه القوانين الجديدة تشغل أى مدير ..

ثم .. عشر عليه أخيرا .. وحادثه بصوت أكثر رقة ..  
— يعنى ما بعتش العربيه يا محمد بيه !

ورد المدير في صوت خشن :

— والله أنا ما اقدرش استغنى عن العربيه ..  
والقى سماعة التليفون بعنف ..

★★★

وذهل الرجل .. وارتفع في صدره صراخ حاد .. هذا المسائل .. هذا المنحط .. كيف ينسى نعمتى عليه .. كيف ينسى انى انا الذى اشقريت له السيارة .. من مالى .. انا الذى علمته كيف يركب سيارة .. علمته كيف يكون بنى آدم .. انا الذى خلقته .. ولكنه مسافل .. منحط .. نمرود .. وقح ..  
وكاد ان يجهش بالبكاء ولكنه تمالك نفسه ..  
هذا هو حال مثل هؤلاء الرجال .. المنافقين .. لقد كان

ينافقه ، وكان ينحني أمامه .. ولابد انه ينافق الآن السيد  
الجديد ، وينحني أمامه .. ولقد كان دائما يعلم انه منافق ، فلماذا  
ينظر منه أن يكون شهيا .. وان يكون رجلا .. مثل هؤلاء  
المنافقين ، لا يمكن أبدا أن يكونوا رجلا ..

وأسودت الدنيا فى عينيهِ .. خيل اليه ان كل الناس  
منافقون ..

خيل اليه انه أصبح وحده .. لا صديق .. ولا معين ..  
لا شيء .. لقد كان يساوى بقدر ما يملكه من مال .. وعندما فقد  
ماله لم يعد يساوى شيئا ..

وتهدلت وجنتاه .. وتهدلت جفونه .. ونقص وزنه بسرعة  
مخيفة .. ورقبته أصبحت رفيعة ، تترنح وسط ياقة قميصه .. ولم  
يعد يخرج من بيته .. الا عند الغروب .. يخرج ليسير فى شارع  
الكورنيش ساعة .. يسير منزويا ، محطما .. لا يريد أن يراه  
أحد .. ولا أن يرى أحدا ..

\*\*\*

وكان يسير يوما .. وفجأة وقفت سيارة صغيرة قديمة ، نزل  
منها صاحبها وأقبل عليه .. ورفع عينيهِ المكدودتين يتطلع بهما الى  
القادم .. ثم انطلقت منها نظرة خوف .. هلع .. انه الأسطى  
محمود .. لقد كان يعمل عنده فى المصنع .. وكان يتزعم العمال ..  
وحاول كثيرا أن يأخذه الى جانبهِ .. رفع يوميته .. ثم خصص له  
راتبا يصل الى سبعين جنيها فى الشهر .. ولكن محمود رغم هذا  
ظل دائما مع العمال ، يطالب بحقوقهم .. فاضطر أن يحاربه  
وان يضطهده .. واستطاع بمعاونة مدير المصنع أن يطرده ..  
ويشرده ..

لأبد أن محمود مقبل عليه الآن نبتنم منه ، ليضربه .. ليقتله ،  
وترجع .. والهلع يعصر قلبه .. تراجع حتى أسند ظهره الى  
الحائط .. ومحمود مقبل عليه .. انه يبتسم .. ابتسامة قوية  
طيبة .. ويهد يده كأنه يريد أن يصفحه ..

وقدم له يدا مرتعشة ، صافحها محمود فى حرارة :  
— أراى سيادتك دلوقت .. شد حيك !

وقال الرجل فى صوت مرتعش :

— كويس والحمد لله .. أزيك انت يا أسطى محمود !

وقال محمود وهو يحيط الرجل المنكوب بعينين حانتين :  
— تسمح أوصلك يا أفندم ..

وتردد الرجل .. ولكن محمود ألح .. وركب بجانيهِ .. جلس  
فى مقعد السيارة وهو يتنهد فى راحة .. كأنه يستريح بعد مشوار  
طويل شاق .. لقد مضى عليه أكثر من أسبوعين لم يركب فيهما  
سيارة ، وخيل اليه انه قضى هذين الأسبوعين واقفا على قدميه  
.. وقال الرجل فى رجاء كأنه طفل صغير مسكين :

— فسحنى شويه يا محمود ..

وقال محمود من خلال ابتسامته الحنان .. ابتسامته الرجل  
القوى الذى لا يجمل حدقا :

— حاضر يا أفندم ..

وأخذ محمود يقود السيارة فى شارع الكورنيش .. ويحدث  
الرجل المنكوب عن كل شيء .. عن حال المصنع .. وعن حال  
العمال .. وعن الانتاج الجديد .. والرجل يهدأ شيئا فشيئا .. بدأ  
بحس كأنه كان سجيناً وقضى مدة عقوبته .. ومن حقه أن يبدأ  
الحياة من جديد .. اذا كان قد 'خطأ' ، فقد عوقب بما فيه الكفاية

.. ومن حقه الآن ان يكون مواطنا كباقي المواطنين .. غاملا ككل  
العبال .. يعمل ويكسب بشرف .. ويضحك .. ويستبشر ..

\*\*\*

ونظر الى محمود قائلاً وهو يتنهّد:

— تعرف أنا نفسى فى ايه يا محمود .. نفسى اشتغل ..  
أى شغلانه !

وقال محمود فى بشر :

— وماله يا افندم .. برضه سيادتك تفهم فى النسيج كويس  
ممكن تفيد المصنع بخبرتك .

وسرح الرجل المنكوب بخياله .. هل يستطيع حقا ان يعمل ..  
ان يكون مستشارا فنيا للمصنع .. مثلا .. أو حتى واحدا من  
الموظفين . ربما كان عليه ان ينسى أولا انه كان صاحب مصنع ..  
ان ينسى حتى لا يظل أسيرا لتلف أعصابه وعقده النفسية .  
ونظر الى محمود وقال كأنه يخاطب الثورة كلها :

— يا ريت يا محمود ..

وأوصله الأوسطى محمود حتى باب البيت ، وقال له فى ادب  
وتواضع :

— أنا عارف ان عربية سيادتك دخلت فى التأميم .. ولغاية  
ما تتصنى الشركة وتقدر سيادتك تشتري عربيه .. عربيتي تحت  
امرك ..

\*\*\*

ونظر الرجل الى السيارة الصغيرة القديمة ، وأحس أنها أغلى  
سيارة فى العالم :

ونظر الى محمود فى امتنان .. وهو يتساءل : لماذا لم يؤمن  
بمثل هؤلاء الرجال منذ بدء حياته .. لماذا لم يقف بجانبهم .. لماذا

ان يناصرهم ليناصروه .. لماذا لم يخس بهم ويجعل من نفسه واحدا  
منهم .. وقال وهو يضغط على يد الأوسطى محمود :

— متشكر يا ابنى .. متشكر قوى .. انت علمتني فى نصف  
ساعة حاجات ما تعلمتهاش طون حياتي .. ربنا معاك .. ربنا  
معاكم ..

هذه الحكاية حدث جزء منها فى الاسكندرية فى الأسبوع  
الماضى .. والباقي خيال .. ابحثوا فيها عن الجزء الواقعى ..  
وعن الخيال ..



ولا يدري كيف اتصل الحديث بينهما .. انها لا تتكلم العربية .. فقط  
اللغة اليوغسلافية والاطالية ، ويضع كلمات انجليزية .. وكانت  
هذه الكلمات الانجليزية كافية ليستمر الحديث بينهما طول الليل ،  
ثم بدعواها الى زيارة مرسمه ، فى اليوم التالى ، ثم بدعواها الى  
الغداء ..

و .. وخطبها .. واحتفل اصدقاؤه بخطبتهما .. كلهم  
مفاتيح .. وكل منهم دفع جنيها ليشترك فى الحفل الذى اقاموه  
الهما ..

ومضت :بما الأيام .. أسعد فتى وفتاة فى القاهرة .. عائشا  
فى حلم .. لم يكن يفيق منه الا عندما لا يجد فى جيبه نقودا ..  
يقترض من صديق .. لأول مرة يقترض .. ثم بدأ يطالب الجريدة  
بزيادة مرتبه .. لأول مرة يفكر فى زيادة مرتبه .. ثم يعود الى  
حلمه .. لا شئ يخلقه .. لا ديون اصدقائه ، ولا رفض الجريدة  
زيادة مرتبه ..

ثم .. كان يجب ان تسافر الفتاة لتعمل فى جزيرة قبرص ..  
ووعده ان تعود .. بعد اسبوعين ..

وكتبت له .. انها لن تستطيع ان تعود بعد اسبوعين .. بعد  
ثلاثة !

ثم كتبت له .. لن تعود بعد ثلاثة اسابيع .. اربعة !!  
والحياة من حوله لم يعد فيها شئ .. القاهرة تخنق أنفاسه  
وهو لم يعد يستطيع ان يرسم الا صورتها فقط .. ولكن صورتها  
لم تعد تكفيه .. شوقه اصبح اكبر من فنه .. انه لم يعد يستطيع  
ان يرسم حتى صورتها ..

وفجأة .. فى يوم واحد ، قرر ان يذهب اليها ..  
لم يرسل لها برقية بحضوره .. خيل اليه انها فى انتظاره ..

## اين حبيبتي

عرفها فى القاهرة .. كان رساما يعمل فى احدى الصحف ..  
طويلا .. نحيفا ، كهود القصب .. يطلق لحية سوداء داكنة ،  
وشاربيا خشنا عريضا له اطراف مرفوعة ، وعينان واسعتان  
تبرقان دائما .. ووجه اسمر ، يبدو وفوقه اللحية والشارب ،  
كورقة من كراسه قديمة ملغطة بالحبر ..

وكانت مغنية يوغسلافية تعمل فى احد الملاهى .. شغراء ،  
بشرتها فى لون اللبن المخلوط بشراب الورد .. وعيناها خضراوان  
.. وقوامها متسق .. لم تكن رافضة .. ليس فيها اخلاق  
الراقصات .. كانت مغنية تغنى الاغاني الايطالية الحاله ..  
وتعيش فى حلم تحميه بشخصية قوية ، وكرامة حساسة تثور لأقل  
خدش .. تثور اذا تكلم أحد من رواد الملهى وهى تغنى .. تثور  
اذا اصطدمت بنظرة رجل لا تترنح اليها .. تثور .. تثور ..

والتقى بها فى الملهى .. مصرى ويوغسلافية .. وتعلقت عيناه  
بها .. ولم تثر .. ارتاحت لعينيه .. ثم وجد نفسه يخرج ورقة  
وقلموا ويأخذ فى رسم صورتها .. كان كل ما يستطيع ان يفعله  
عندما تتعلق عيناه بامرأة ، هو ان يرسم صورتها .. لم يكن له ابداء  
مغامرات مع النساء .. انه وحيد ، منطو خلف لحيته الداكنة  
وشاربه المرفوع .. كل مغامراته صور يرسمها ..

وجاءت بجانبه لتفرج على الصورة التى يرسمها لها ..

لا بد أنها فى انتظاره فى كل لحظة كما هو فى انتظارها فى كل لحظة ..

وإتم إجراءات السفر .. وركب الباخرة الى قبرص .. وفى جيبه ثمانية جنيهات .. وفى حقيبته بجانب ثيابه عشر بيضات « مسلوقه » وضعتها له أمه ..

والباخرة بطيئة .. لو أنه ذهب سابحا لسبقها ..  
والليل كثيف ، يخيل إليه أنه يريد أن يشقه بمطوأة ، ليصل من ورائه الى الفجر .. الى النور .. الى حبيبته ..

ونزل فى ميناء « ليماسول » .. وفى جيبه ثمانية جنيهات .. وفى حقيبته عشر بيضات .. وتحت إبطه خرطوشة من علب سجائر « لاكى سترايك » اشترأها من فوق الباخرة ، بشمن أرخص ..

وأسرع الى أقرب نليفون ، واتصل بالبيت الذى تقيم فيه .. تحدث بالانجليزية ، وردت عليه صاحبة البيت بالانجليزية .. قالت له انها غير موجودة .. سافرت الى مدينة « فاما جوستا » ولم يسمع .. لا يريد أن يسمع .. ان هذه المرأة لا تتكلم الانجليزية .. وركب سيارة أجرة .. وذهب إليها .. ماذا تقولين ؟ سافرت .. مش معقول ! وأين « فاما جوستا » هذه ؟ على بعد ثلاثمائة كيلومتر .. ياه ! ..

ولم يقل لها شكرا .. وأخذ عنوان خطيبته الجديد وعاد الى السيارة الأجرة : الى « فاما جوستا » يا اسطى ..

وسار به السائق اليونانى .. وفى جيبه ثمانية جنيهات .. وفى حقيبته عشر بيضات .. وتحت إبطه خرطوشة سجائر !

وعندما وصل الى « فاما جوستا » نقص ما فى جيبه أربعة جنيهات ونصف جنيه .. دفعها للسائق .. ونقصت سجائره .. علبتين ..

وفكر قليلا .. لا يصح أن يذهب الى حبيبته وهو بهذا الشكل .. انه معفر ملخبط .. وذهب الى فندق ، وحجز غرفة ، صعد إليها واستحم ، وغير ثيابه ، ومشط شعره .. ثم نزل الى بهو الفندق ، واتصل بالتليفون بالبيت الذى تقيم فيه حبيبته .. وردت صاحبة البيت :

— ليست هنا ..

— ماذا تقولين ؟

— ليست هنا .. سافرت .. الى أين ؟ .. لا ادرى ..

وارتج .. ازدادت عيناه لمعانا .. لا يمكن .. مستحيل .. ساجدها .. وصعد الى غرفته لباتى بسترته .. ولكنه وجد نفسه يجلس على السرير .. ثم غاب .. نام .. لقد مضت ليلتان لم ينم نهبا ..

وصحان من نومه .. انه اهدأ قليلا .. وبدأ يتذكر كل شيء .. انه سيبدأ البحث عن خطيبته .. وليس فى جيبه سوى ثلاثة جنيهات ونصف .. وقد حوّل أربعين جنيهها من القاهرة الى بنك « ليماسول » ولكنه لا يستطيع أن يعود الى « ليماسول » .. وعليه أن يدفع أجر الفندق الذى يقيم فيه .. إذن .. ليختصر الطعام .. انه لن يأكل الا بعد أن يجد حبيبته .. وأخرج بيضتين من حقيبته .. اذابها .. بلا عيش .. ونزل يبحث عنها ..

طاف بكل ملاهى المدينة ولم يجدها .. وسأل ..

كان يسأل اى واحد يصادفه .. ويخيل إليه ان كل واحد فهمرس يعرفها وتعرفه ..

ثم .. قال له أصحاب الملاهى :

— هل أنت من مصر ؟

— نعم .. خطيبها .. كيف عرفت ؟

— لقد كانت تتحدث دائما عنك .. وتعرض علينا صورتك ..

وقفز قلبه فرحاً .. انها تتحدث عنه .. كل من يعرفها يعرفه ..  
انها تحبه .. انها تريد به قدر ما يريد لها .. تعانى ما يعانىه  
من شوق .. واحس بقوة .. قوة عجيبة .. انه سيجدها ..  
وابتسم من خلال اعيانه .

— اين هي فى نيقوسيا ..

وذهب الى الفندق .. وأكل ببضتين آخرين .. فى صحة  
حبيته .. ثم حمل حقيقته .. وذهب الى نيقوسيا ..

لم يعد يحمل فى حقيقته سوى ست بيضات .. وفى جيبه جنيه  
واحد .. وعلبتي سجائر .. وسأل عنها فى نيقوسيا ..

يومان وهو يسأل عنها .. لا ينام .. ليس فى جيبه أجر المبيت  
فى الفندق ..

ويأكل البيض .. وانتهى البيض .. وانتهت السجائر ..  
وابن هي ؟ ..

— سافرت .. الى اين ؟ الى بيروت .. وتسكن فى شارع  
الحمراء ..

وجرى الى البنك يسأل عن نقوده التى حولها من القاهرة  
الى فرع البنك فى ليماسول .. انها لم تصل بعد ..

وذهب الى السفارة العربية يشكو لها .. اعطونى ثمن تذكرة  
سفر الى بيروت واخصمها من نقودى ..

وابتسم السفير فى اشفاق قائلاً :

— آسف .. الاجراءات لا تسمح ..

وخرج من دار السفارة .. لا ييأس .. انه سيذهب وراءها  
الى بيروت ، ولو اضطر ان يعبر البحر سباحة .. انه سيجدها  
ولو حفر الجبل بأظافره .. انه لا يشعر بالجوع .. ولا يشعر  
بالاعياء .. انه يشعر بقوة .. قوة عجيبة .. قوة تقربه من

حبيبته .. انه يكاد براها وليس بينه وبينها سوى خطوة واحدة ..  
خطوة واحدة ويصل اليها ..

وذهب الى شركة الطيران .. اعطونى تذكرة الى بيروت  
وسأدفع لكم ثمنها بعد ان اصل ..

وابتسم موظف الشركة فى اشفاق وقال :

— هل تعرف احدا فى بيروت يضمنك ؟ ..

واخذ يهذى بأسماء كل الناس الذين يعرفهم .. أسماء اصدقائه  
فى القاهرة . ثم .. هدى الله لسانه فنطق اسم شخصية لبنانية  
معروفة ..

وابتسامة الاشفاق لا تزال بين شفطي موظف الشركة .. ان  
عليه أن يرسل برقية الى هذه الشخصية فى بيروت ، فاذا قبلت  
فسمانه ، اعطوه التذكرة .. ولكن عليه ان يدفع ثمن البرقية ..

ووضع يده فى ، وأخرج كل ما فيه .. ربع جنيه ..

واخذ الموظف النقود .. صامتا .. كأنه يحس بمأساته ..  
— تعال غدا ..

وطاف على قدميه .. ثم ارتقى على مقعد فى حديقة عامة ،  
حتى الغد .. لم ينم .. لا يريد ان ينام .. لا يريد ان ياكل ..  
فقط يريد ان يذهب الى حبيبته ..

وفى الغد ، وقيل ان يذهب الى مقر شركة الطيران ، مر  
بالبنك ، ووقف امام الموظف المختص ، يصرخ :

— اريد نقودى .. ان نقودى عنديكم .. لا تسرقوا نقودى ..  
اريدها الآن .. الآن ..

وقلب الموظف فى الأوراق التى اياهه .. واجاب فى هدوء :

— نقد وصلت نقودك ..

واستند على شبك البنك حتى لا يسقط على الأرض .. وابتلع  
بفه كأنه ارتوى بعد ظمأ شديداً ..

وخطف النقود ، وجرى بها الى شركة الطيران .. وركب الطائرة ..

انه ساهم .. عيناه تزدادان بريقا .. لا ينام .. ولا يريد ان يأكل حتى بعد ان اصبح فى جيبه نقود .. وبعد ساعة كان فى بيروت ..

وجرى .. جرى فى الشوارع كالمجنون .. تاكسى .. تاكسى .. وركب سيارة اجرة ، وذهب الى عنوان البيت .. وصعد مباشرة .. وطرق الباب ..

و .. ووجدها امامه .. وعيناه بترقان ..

وصرخت ، وهى ترى هزاله :

— ناجى .. انت .. ماذا جرى لك ؟

ولم يرد .. ارتمى بين ذراعيها .. مضى عليه ..

وحملته الى فراشه .. انه مريض .. يرتعش .. انها

الحمى ..

وبقى معها اربعة ايام مريضا بالحمى ، وعندما افاق كان يجب ان يعود الى القاهرة ، فليس معه فيزا للاقامة فى لبنان .. يجب ان يعود اليوم ..

ولكنه كان سعيدا ..

لقد وجدها ..

اخيرا وجد حبيبته ..

وقبلها .. وضع كل جبهه فى قبلة ..

واقالت هابسة :

— سأعود اليك فى القاهرة .. بعد اسبوعين !

## خواطر فتاة متحررة

انا فى التاسعة والعشرين من عمري ..

ومنذ كنت فى السادسة عشرة والعمرسان يترددون على بابى .. وكنت أرفضهم .. وكنت أرفض المبدأ نفسه .. مبدأ الزواج ..

كنت قد سألت نفسى : ما هو الزواج ؟

وانتهيت الى الجواب ..

الزواج هو وظيفة .. بنت توظف عند رجل .. تشرف له على بيته .. وتطبخ له طعامه .. وتغسل له ثيابه .. وتمتع رجولته .. وبجانب هذا تقوم بوظيفة عامة ، وهى انجاب الأطفال .. وذلك نظير مرتب ثابت يشمل : الاكل والسكن ، والملبس ، والعلاج .. ومصروف اليد !!

وشروط الزواج هى نفس شروط وظيفة اخرى .. المركز الملائم .. والدخل الملائم .. والمظهر الملائم .. ثم .. المؤخر ، والنفقة ، يساويان المكافأة ، والمعاش ، فى حالة الاستقالة من اى وظيفة اخرى ..

ولا شك ان المجتمع يحتاج الى هذه الوظيفة .. وظيفة الزوجية .. ولكن حاجته اليها ليست اكثر من حاجته الى الوظائف الاخرى .. حاجة المجتمع الى الزوجات ليست اكثر من حاجته الى عمال المساع ، او الى موظفى ادارة المعاشات ، او مديرى الشركات .. وهذه الضجة التى تقوم حول زواج البنات ، ليس سببها ان وظيفة الزوجات اهم من الوظائف الاخرى ، بل سببها ان البنات لم يكن

## الزواج .. وظيفة !

وبما أن البنت الآن تستطيع أن تعمل في أكثر من وظيفة ، فبني ليست مضطرة الى وظيفة الزواج .. او على الأقل من حقها أن تختار .. اما أن تكون زوجة ، أو سكرتيرة ، أو مهندسة ، أو طبيبة ..

وأنا لا أريد أن أكون زوجة .. لا أريد أن أتوظف عند رجل .. ان وظائف الشركات أضمن ، ومريحة أكثر .. وتوظفت .. أصبحت مضيعة في إحدى شركات الطيران .. ومرة السنون .. وأصبحت في التاسعة والعشرين من عمري ولم اعتبر نفسي عانسا ..

لا .. العانس ، معناها عتاة عاطلة ، لا تؤدي خدمة للمجتمع . وأنا لست عاطلة .. أنا موظفة .. أؤدي خدمة للمجتمع .. خدمة كبيرة ، وربما كان المجتمع في حاجة إليها أكثر من حاجته الى وظيفتي كزوجة ..

ان وضعي الآن ، هو وضع أي رجل يعمل ، وليس متزوجا .. اعزب .. نفس الوضع .. كلانا يقوم بواجبه نحو المجتمع .. ولكن .. خلال هذه السنوات ، كنت أفكر في الحب .. ماذا يحدث لو أحببت رجلا .. هل أتزوجه ؟

لماذا ؟ ! ما نخل الحب بالزواج .. ان الحب عاطفة .. والزواج وظيفة .. وأستطيع دائما أن احتفظ بعواظي .. دون حاجة الى وظيفة .. فعندي وظيفة أخرى افضلها على وظيفة الزوجة !

والبنت التي تحب وتصر على الزواج من حبيبها .. بنت أدانية .. ينقلب حبها الى غريزة التملك .. انها تريد أن تملك الرجل الذي تحبه ، وهي ليست واثقة من انها تستطيع أن تملكه بعواطفها ، فتضطر أن تملكه بعقد .. شرعي .. تماما كما تملك قطعة أرض بعقد عقارى .. ان الزواج في هذه الحالة هو دليل عدم

لبن وضيعة أخرى غير الزواج .. فان لم يتزوجن ، أصبحن يمثلن مشكلة بطالة في المجتمع .. تماما كمشكلة البطالة بين خريجي كلية الحقوق والآداب !

فالمشكلة ليست متعلقة بمبدأ الزواج .. ولكنها متعلقة بمبدأ البطالة ..

وكانت البنت التي لا تجد وظيفة تسمى : عانس !

والشاب الذي لا يجد وظيفة يسمى عاطل !

وقد اعتبر المجتمع سن السادسة عشرة ، هو سن التخرج بالنسبة للبنت .. لأنها في هذه السن يكتمل استعدادها لأداء وظيفتها كزوجة .. تماما كما يعتبر نيل الشهادة الجامعية شرط التخرج بالنسبة للشباب الذي يريد أن يشتغل مهندسا ..

وابتداء من السادسة عشرة ، يبدأ الأهل في البحث عن وظيفة للبنت .. أي البحث عن زوج !!

وهم يبحثون عن وظيفة زوجة للبنت بنفس الاهتمام الذي يبحثون به عن وظيفة للولد بعد تخرجه .. بل باهتمام أقل .. فان وضع الولد العاقل في البيت ، وبالنسبة للمجتمع ، أقسى وأخطر ، من وضع البنت العانس ..

والوسائل التي يلجأ إليها المجتمع للتغلب على أزمة الزواج البنات .. هي نفس الوسائل التي يلجأ إليها للتغلب على أزمة العاطلين ..

نظام « الخاطبة » هو نفس نظام مكاتب الترخيم .. واعلانات الزواج التي كانت تنشرها « روز اليوسف » .. هي نفسها اعلانات طلب الوظائف التي تنشر في جريدة « الأهرام » ..

والدعوة الى التخفيض من قيمة المهر .. هي نفس المشروعات التي يضعها ديوان الموظفين للتخفيف من قيود التوظيف .. وهذا هو رأيي ..

الثقة في النفس .. وعدم الثقة في الحب .. دليل على اهتزاز الشخصية أمام الناس .. فتلجأ البنت الى تسجيل حبها في قلم التسجيلات ، حتى لا يضيع منها ..

وانا واثقة من نفسي .. انا لست في حاجة الى امتلاك حبيبي يوم اُحب .. انها سيكون حبي خاليا من الانانية .. سيكون كل منا حرا .. طليقا .. لكل منا وظيفته وحياته ، ولا تجعلنا عواطفنا ..

واعتقد ان هذا هو نفس شعور الرجل ..

ان الرجال عادة لا يقبلون على الزواج الا مضطرين .. تحت الحاح الحرمان ، او تحت الحاح التقاليد الاجتماعية التي لا تعترف بالحب بلا زواج .. ولكنه دائما — اي الرجل — يفضل الف مرة ان يجد البنت التي يحبها ولا يتزوجها .. لماذا ؟ لان له وظيفة اخرى غير وظيفته كزوج .. لانه اذا لم يتزوج ، لن يعتبره الناس . ولن يعتبر نفسه عاطلا .. وانا ايضا — كالرجل — لن يعتبرني احد عاطلة اذا لم اتزوج .. الى ان قابلت محمود ..

واذكر مناقشة حادة دارت بيني وبين محمود في اول لقائنا ..

قال لي :

— هل عرفت رجلا قبلي ؟

قلت :

— وانت .. هل عرفت بنات قبلي ؟

قال :

— انا رجل .. لن يضيرني ان عرفت بنات قبلك !

قلت :

— وانا .. ماذا يضيرني لو عرفت رجلا قبلك !

قال :

— انت بنت .. والبنت يجب ان تحافظ على نفسها .. على طهارتها .. الى ان تجد الرجل الذي تحبه ..

قلت :

— والرجل .. لماذا لا يحافظ على طهارته الى ان يجد البنت التي يحبها ؟

وقال محمود وهو يطل على في دهشة :

— لان البنت بنت .. والرجل رجل ! ..

قلت :

— ماذا يعني هذا ؟

قال :

— ان الرجل يستطيع ان يعرف مائة غناة دون ان يخسر شيئا .. والبنت .. و ..

وقاطعته قائلة :

— وماذا تخسر البنت ؟

قال :

— تخسر سمعتها ..

قلت :

— ولماذا لا يخسر الرجل سمعته ؟

قال :

— ان التكوين الجسماني للبنت من طبيعته ان يجعلها اما مجرد لقائنا بأول رجل .. بل ان عواطف البنت واحاسيسها منبثقة كلها من طبيعتها كام ..

قلت :

— والرجل .. ان طبيعة تكوينه الجسماني يجعله ابا بمجرد لقائه بأي بنت .. فلماذا لا يحترم ان الرجل ابوته ويفرض على المرأة احترام امومتها ..

قال :

— أن الرجل لا يحمل ابناءه فى بطنه ..

قلت : والبنات أيضا .. انها تستطيع الا تحمل .. الطب تم تقدم .. والحكومات تبني الآن وسائل منع الحمل .. والبنات لا تكبرن اما الا اذا ارادت .. وكذلك الرجل لا يكون ابا الا اذا اراد .. لا تفرق يا عزيزى .. وكل الفروق فروق مفتعلة فرضها الرجل على المرأة عندما كان يستعبدها .. وعندما كانت ترضخ لهذا الاستعباد ، لأنها كانت تعيش عائلة عليه .. وانا لا اعيش عائلة عليك .. انا موظفة مثلك .. فلا تفرق !

قال :

— انى لا استطيع ان احبك ، وانا اتصورك كل يوم مع رجل .

قلت :

— هل ستكون انت كل يوم مع امرأة ؟

قال :

— لا ..

قلت :

— لماذا لا تذهب كل يوم الى امرأة ؟

قال :

— لانى احبك !

قلت :

— وانا ايضا .. لانى احبك ، فسأكون لك وحدك .. ولانك

تجنينى ستكون لى وحدى !

قال :

— اتعنين الزواج ؟

قلت :

— لا .. ان الاخلاص ليس فرضا يفرضه عقد مكتوب ..

انه رغبة تابعة من العاطفة .. رغبة تغنى البنت عن كل الرجال الا رجلا واحدا ، وتغنى الرجل عن كل البنات الابنات واحدة .. انى لن اخلص لك غصبا عنى ، او رغما عن ارادتى ، ولا حتى احتراما لك .. ولا اريدك ان تخلص لى مجاملة لى او حرصا على شعورى .. لا .. سأخلص لك ، من اجل نفسى لانى لا اريد شيئا آخر .. وانت ايضا ، اذا احسست انك تريد شيئا آخر ، فلا تخلص لى .. هل تفهمين .. ان اخلاصى ليس حقا لك ، ولكنه حق لى .. واخذصك لى ليس حقا لى ، ولكنه حق لك ..

قال :

— هذه مبادئ خطيرة ..

قلت :

— كل تطور يبدو خطيرا فى اوله .. ان السعى الى الحرية والمساواة ، يعتبر ثورة !!

و .. لم تنته مناقشاتنا ..

ولكنى احببت محمود .. وازدددت حبا .. كل عام يمر احبه اكثر ..

وبدات احس باحساس جديد يطغى على حبنى .. انى اريد ان اكون اما .. اريد طفلا من محمود .. كأن كل هذا الحب لم يعد بكفينى ، وأصبحت اريد ان احمل من محمود فى داخلى .. لم اكن احس انى اريد طفل محمود بل اريد ان احمل محمود نفسه . وحاولت ان اطرد هذا الاحساس ..

ان الأمومة وظيفة اخرى ، كوظيفة الزوجة ، ووظيفة مذيبة لشركة الطيران ..

وقد رفضت وظيفة الزوجة .. ويجب ايضا ان ارفض وظيفة الام .. ولكنى لم استطع .. حبنى يلح على .. حبنى كبر حتى اصبح أمومة .. هل استطيع ان اكون اما بلا زواج ؟ ! وبدات افكر

بأسلوب جديد .. أسلوب كنت اعتقد انى كُفرت به ، وازحته من راسى .. انى لا افكر فى نفسى ..

ولكنى افكر فى الطفل الذى اريده ان يجعلنى اما ..

انى لا أستطيع ان انجب طفلا يواجه المجتمع بأم ليست زوجة ولا أستطيع ان أسأله اذا كان يرضى بهذا الوضع أو لا يرضى .. ربما نشأ طفلا متحررا لا يؤمن بتقاليد المجتمع .. ولكنى لا اعرف رايه .. ولا أستطيع ان أسأله !!

وقلت لحمود :

— محمود .. لتزوج !

ونظر الى محمود دهشا .. ثم ابتسم ساخرا ، وقال :

— لا .. لماذا تريدان الزواج .. ان الزواج وظيفة ، وانت لا تنفصل الوظيفة !

قلت :

— اريد ان اكون اما ..

قال :

— الامومة وظيفة ايضا .. ثم ما حاجتك الى ان تكونى اما ؟  
— لانى اجك !

وبدأنا نناقش من جديد .. و ..

وبدا محمود يبلى شروطه عني .. احسنت كانه يذلنى ..

انه يريدنى ان استقيل من عملى ، وان اتفرغ للبيت .. ويريدنى ان اتعلم طهو البامية لانه يحب البامية .. ويريدنى ان اقرا له كتب الادب ، وانا اكره كتب الادب .. وحاولت ان اقاوم ..

ولكن لهمنى لكى اكون اما غلبتنى .. واستسلمت .. و ..

اننا لن نتحرر ابدا .. لاننا نريد ان نكون امهات ..

ولان الرجال هم الذين يصنعون منا امهات !!

## بلا كلام

كنت فى برشلونه .. وفجأة قررت ان اذهب الى جزيرة

مايوركا ..

ولا ادرى ما الذى اغرانى بالذهاب الى مايوركا .. كل ما اعلمه عنها انها جزيرة اسبانية فى البحر الابيض .. وانها هادئة ، رائعة .. يذهب اليها العرسان لقضاء شهر العسل ، ويذهب اليها العجائز .. عجائز الانجليز والامريكان .. ليستلقوا فى الشمس ، ويغضبوا عيونهم على الماضى انسعيد ..

وانا لست فى شهر عسل .. ولست عجوزا .. انى شاب

وحيد ..

ومايوركا — بجمالها — تعذب الانسان الوحيد .. تزيد احساسه برحته وحرمانه .. ورغم ذلك فقد كان فى مايوركا آثار قصة قديمة عشت فيها طويلا بين صفحات كتاب .. قصة حب .. حب شويان ، وجورج صاند ..

وانا اعشق موسيقى شويان .. ورغم انى لم اقرا شيئا للكاتبه جورج صاند ، الا انى احب قصتها مع شويان .. لقد احبت جورج صاند حبا عجبيا .. حبا يمتزج فيه حنان الام ، بانانية المرأة العاشقة .. وقد رعته فى مرضه وفنه كام ، و ارادت ان تستأثر به .. ثم غلبت انانية المرأة حنان الام .. فمات شويان ..

وقد قضى جورج صاند وشويان ثلاثة شهور فى جزيرة مايوركا



.. منذ مائة سنة .. وعاشا ابائنا فى نعيم .. وايمانا يكافحون  
معها السنة السل الذى يزحف على صدر شوبان ثم السنة اهالى  
الجزيرة .. اعد وامر من السنة السل .. لقد عرف الاهالى انها  
ليسا زوجين .. وعرفوا ان شوبان مريض بالسل ، وكان ابائنا  
مرضا مخيفا يهدد بالعدوى .. ثم ثاروا على جورج صائد عندها  
كانت تخرج الى الشارع فى ازياء الرجال .

وبدا العاشقان يهربان من الاهالى .. ومن السل .. انتقلا من  
بيت الى بيت .. ومن قرية الى قرية .. ولا يلبث صاحب البيت ان  
يطردهما .. ثم لا تلبث القرية كلها ان تتذفها بالطوب .. واضطر  
الانسان الى الهروب من مايوركا كلها ..

ومرت السنون .. واحفاد هؤلاء الفلاحين ، اتابوا لشوبان  
وجورج مساند تمثالا .. وصنعا من البيت الذى كانا يقيمان فيه  
متحنا .. وآلاف السواح ينفقون آلاف الجنيهات كل عام ، لزيارة  
عش الغرام الذى عاش فيه شوبان وجورج .. والجزيرة كلها ليس  
فيها ما تفخر به الا انها شهدت يوما غرام شوبان وجورج ..

ومن اجل شوبان وجورج .. اردت ان اذهب الى مايوركا ..  
ان اعيش لحظات فى البيت الذى عاش فيه .. ان اشهد بعيني  
اهالى مايوركا وهم يبيعون صور شوبان وجورج صائد ، بعد ان كانوا  
يقذفونها بالطوب .. وان اشميت .. اشميت فى المجتمع الظالم  
الانسانى الذى يصر على ان ينزل الفنان الى مستوى الرجل العادى  
.. ثم يقيم له تمثالا بعد ان يموت ! ؟ وحملتني الباخرة الكبيرة من  
ميناء برشلونة .. وسارت تشق بى الليل الى مايوركا .. وعلى  
ظهر الباخرة اكثر من خمسين فتاة اسبانية .. فى سن السابعة  
عشرة والعشرين .. يبلان الأروقة بالضجيج والمرح .. ثم يجتمعن  
على سطح الباخرة فى حلقة كبيرة .. وواحدة منهن تعزف الجيتار

وتغنى فى صوت حزين اغنية اسبانية لا افهم من كلماتها شيئا ..  
ثم فجأة تنتقل الى لحن مرح صاخب .. ويعنى الجميع معها ..  
لابد انها اغنية هزلية ، لان البنات يضحكن فى مرح وهن يغنين ..  
وفتاة اخرى تنتفض واقفة وترقص رقصة اسبانية .. ثم فجأة  
تنشد فتاة اخرى وترقص معها ، تشانسا ..  
وفريق من الركاب اجتمع حول الحلقة الكبيرة يتفرج على مرح  
البنات .

وانا جالس على درجة سلم ، ابتمس فى وحدثى ..  
واخذ البنات يداعبن الركاب .. مداعبات بريئة حلوة  
والضحكات تطفى على صوت الموج الذى يتطاير حول الباخرة ..  
وجاءت واحدة الى ، وتكلمت كلاما كثيرا لم افهم منه شيئا ..  
انها تتحدث بالاسبانية ..

\*\*\*

وحاولت ان احدثها بالانجليزية او الفرنسية .. ولكنها  
لا تعرف منهما كلمة واحدة .. كل ما فهمته منها انها تسألنى عن  
بلدى .. وقلت لها الكلمة الاسبانية الوحيدة التى اعرفها :

— اخبيتوا .. اى : مصر ..

وتتطرق بالخاء .. انى لا احب اسم « مصر » بترجم  
بالاسبانية !!

وصاحت الدنت : اخبيتو .. ثم نادى فريقا من زميلاتها ،  
التفنن حولى ، وكلهن يتحدثن فى وقت واحد .. كلام كثير ..  
لا افهم منه شيئا !!

لقد اكتشفت ساعتها تعريفا جديدا للانسان .. الانسان :  
لغة ..

وعندما يفقد الانسان عنصر اللغة ، يفقد اداة التفاهم ..

وعندما يفقد أداة التفاهم يصبح مجرد شيء .. شيء موجود ...  
له شكل .. ولكنه ليس انسانا .. ليس مخلوقا يتفاهم كبنى  
الانسان ..

واكتشفت البنات - وكلهن لا يتحدثن الا الاسبانية - انى شيء  
.. مجرد شيء .. فتركنتى وعدن الى موسيقاهن ورقصهن ..  
وظللت جالسا على درجة السلم ، أنفج .. وتعلقت عيناي  
بواحدة منهن ..

انها فتاة اشبه بالولد .. تسير فى خطوات قوية اشبه بخطوات  
الأولاد .. خطوات رعاة البقر الأمريكان .. وذراعاهما مبتعدتان  
دائما عن جنبها ، كأنها ولد يتأهى بضللاته .. ووجهها جميل ،  
ولكنه خال من المساحيق ، ونظراتها قوية كنظرات ولد شقى ..  
ويبدو انها متهرجة المدرسة .. انها اكثر البنات حركة ، وضجيجا  
واكثرهن شقاوة ، وجرأة على اتركاب .. ويبدو أن لها سيطرة  
على بقية زميلاتها .. سيطرة فيها نوع من الزعامة .. وتتبعها  
بعينى ..

### ★★★

ولاحظت انها ترقص ، وتغنى ، وتضحك .. ثم فجأة تتجه الى  
زميلة لها جالسة فى ركن منزو تريب منى .. وتجلس بجانبها ،  
وتضع ذراعها فوق كتفها ، ثم تأخذ فى التحدث اليها ، حتى تضحك  
الزميلة .. كأنها تتعمد تسليتها .. كأنها تخصصها بنوع خاص من  
اهتمامها .. ثم تقوم من جانبها وتعود ترقص وتغنى ، وتطلق  
نكاتهما .. الى ان تعود الى زميلتها مرة أخرى ..

ان زميلتها جميلة .. رقيقة .. فيها ضعف .. وخفر .. وهى  
لا ترقص ولا تغنى .. انها فقط تبتمسم .. ثم تنطلق من عينها  
نظرات شاردة كأنها تهيم بهما وراء شيء فى أعماق الليل ..

وفجأة .. لمحت شابا اسبانيا يتسلل من خلف صفوف الركاب ..  
ويقف قبالة الفتاة الرقيقة .. وسمعته يتحدث اليها .. حديثا لم  
أفهم منه شيئا .. لم أفهم كلمة واحدة .. ولكنى رايت نظرات الفتاة  
تضطرب ، وتلغظت حو اليها ، ثم تحمر وجنتاهما ..

وجلس الشاب بجانبها ، وبين شفقيه ابتسامه رائقة ..  
واستمر فى حديثه معها .. ورايت الفتاة تحنى رأسها ، وتنظر بين  
يديها ، وترد عليه بكلمات قليلة .. وأحيانا تبتمسم ، ابتسامات  
مربعة تشق الليل كشعاع من القمر ..

وكانت الفتاة الأخرى - الفتاة الولد - ترقص .. منهكة فى  
الرقص .. وفجأة توقفت عن الرقص .. واتجهت فى خطواتها  
القوية .. خطوات راعى البقر .. الى حيث تجلس زميلتها مع  
الشباب .. ووقفت قبالتها ، ويدها فى خاضرتها .. وأخذت  
تنظر اليها واله .. ثم قالت كلاما .. ورفعت الفتاة الرقيقة عينها  
وخيل الى أن فى عينها خوفا .. وقالت كلاما قليلا فى صوت ضعيف  
.. وهزت « الفتاة الولد » كتفها .. وابتعدت .. وعادت ترقص  
.. ولكنها لم تعد ترقص كما كانت .. انها تبدو كأنها ترتعش ..  
وبين كل خطوة وأخرى تنظر الى زميلتها الجالسة فى الركن  
المنزوى ..

والشاب لا يزال بجانب الفتاة .. يتحدثان ..

### ★★★

وكفت « الفتاة الولد » عن الرقص مرة أخرى ، واتجهت نحو  
زميلتها وصديقها ، وقالت نكتة .. عرفت انها نكتة لأنها اعقبتها  
بضحكة كبيرة .. ولكن الزميلة والصديق استقبلا النكتة فى برود ،  
وابتسامات مفتعلة .. فاطلقت لهما نكتة أخرى ، استقبلها ببرود  
أشد .. وابتلعت الفتاة ضحكتها .. ونقلت نظراتها بينهما فى

امتغاض .. ثم ابتعدت .. وجلست على مقعد بين بعض زميلاتها  
وهي تزفر .. وخيل الى ان في زفراتها غيظا .. ولا تزال تنظف  
بعينين غاضبتين الى زميلتها الجالسة مع الشاب .. ثم لم تعد  
تطبق .. قامت ومشيت نحوهما ، ووقفت قبالتها .. واخذت  
تتحدث الى زميلتها .. وكان صوتها في هذه المرة محتدا .. كأنها  
تؤنبها .. تحذرها ..

وردت عليها زميلتها في ضعف .. كأنها ترجوها .. تتوسل  
اليها .. وابتعدت « الفتاة الولد » وهي تزفر ، وتضرب الهواء  
بكفيها ، وتخبط أرض الباخرة بقدميها .. وعاد الشاب يحدث  
الفتاة .. حديثا يبدو ناعما .. والفتاة الرقيقة تحنى رأسها في  
الخفر .. وابتسامتها تتسع ، وتهدأ بين شفطتها .. ومرت فترة ..  
ربع ساعة أو يزيد .. ثم فجأة رايت الفتاة الأخرى ، تندفع اليهما  
.. وفي هذه المرة أخذت توجه كلامها الى الشاب .. كلام في صوت  
مرتفع حاد .. يبدو أنها تشتبه .. تتهمه .. تلعنه ..

ورايت الفتاة الرقيقة تقوم واقفة ، وترد على زميلتها .. يبدو  
أنها تدافع عن الشاب ، وعن نفسها .. ثم جذبت الشاب من يده  
وسارت به بعيدا ، وهي تنفض في غضب .. ثم وقفت به عند سور  
الباخرة ..

\*\*\*

وجلست الفتاة الأخرى — الفتاة الولد — على المقعد الذي كانا  
يجلسان عليه .. جلست كأنها وقعت منهارة .. ووضعت رأسها  
بين يديها .. واصابعها تشد شعر رأسها في غيظ وغل .. ثم قامت  
واتجهت الى حيث تقف زميلتها مع الشاب .. وسمعتها تتحدث  
اليها .. أنها تتحدث اليها في توسل .. وتشير بيديها كأنها  
تستحلفها .. ثم .. ثم بكت .. بكت الفتاة الولد .. ورايت

الفتاة الأخرى تقف ذاهلة .. ثم تنهمر دموعها على خديها في  
سمت .. ثم ..

ثم تحتضن زميلتها ويكيان معا .. بكيتا كثيرا ..  
ثم رفعت الفتاة الرقيقة رأسها ، ونظرت الى الشاب الذي  
عنها ، وسمعتها تقول له  
— يونانوثشى .. اى : مساء الخير ..

ثم ابتسمت له ابتسامة مسكينة .. اضعف من ان تبقى معه ..  
و .. ووضعت ذراعها في ذراع زميلتها وعادتا معا الى حلبة  
الرقص والغناء .. و « الفتاة الولد » تنظر الى زميلتها كأنها  
تقبلها .. تقبل كل قطعة من وجهها ..

\*\*\*

ورغم انى لا أفهم الأسبانية .. ولم أفهم كلمة واحدة من كل  
الكلام الذي سمعته .. الا اننى فهمت ما بين الفتاتين .. وعرفت  
القصة ..

هل فهمتم أيضا انتم ؟ ان الانسان ليس لغة ..  
انه يستطيع ان يفهم ، حتى بلا لغة .. والباخرة تشق بي  
الليل نحو مايوركا ..

## حائز بين الحلال والحرام

انه رسام ..

والناس لا تعرفه .. الناس تعرف ممثلى السينما والمطربين ،  
والكتائب ، ولكنها لا تعرف الرسامين .. وليس هذا ذنب الرسامين ،  
انه ذنب الناس .. الناس عندما لا يزال ذوقهم الفنى يلبدا ، خمولا ،  
لا يتحرك لفن الرسم ..

وقد عرفته منذ بدا يخط خطوطه الاولى على الورق .. وكان  
تقيرا ..

ورغم فقره رفض ، بعد ان تخرج فى كلية الفنون الجميلة ، ان  
يشغل مدرسا .. كان يعتقد انه لا يستطيع ان يعمل شيئا الا ان  
يرسم .. وكان يضحك وهو يتصور نفسه واقفا بين التلاميذ يعلمهم  
الرسم ، ويقول بصوته الذى ينطلق دائما كأنه لا يعتمد ان يسمعه  
احد :

— باه ده معقول .. مش لنا اتعلم انا الاول !

وكان يدور على الدكاكين الصغيرة .. دكاكين البقالة  
والخردوات .. ويكتب اليانطات او يرسم بعض الزخارف ، وياخذ  
اجره ليشتري الالوان والفرشاة التى يرسم بها ، وقطع القماش  
الذى يرسم عليها .. ثم يذهب الى غرفته الصغيرة فى حى  
« العطارين » ويرسم .. يقضى الليل كله وهو يرسم ويصبح عليه  
المسباح وهو يرسم ولم اكن ادرى متى ينام ؟ ومتى يأكل ؟ انه

لا ينام الا اذا سقط من التعب . ولا كيل الا اذا شعر بالهم فى معدته  
بذكر انه يجب ان يأكل ..

وكان يعيش فى ازمة نفسية حادة .. ولم يكن فقره هو سر  
ازمته .. انه لم يشعر ابدا بفقره ، ولم يشعر ان هناك شيئا يريد  
ولا يستطيع ان يحصل عليه . كان سر ازمته هو حيرته .. حيرة  
عجيبة .. كان حائرا بين الحلال والحرام .. ما هو الحلال ؟ ..  
وما هو الحرام ؟ .. ولماذا الحلال ؟ .. ولماذا الحرام ؟ ..

وكان وهو صبى صغير يصلى .. عليه ابوه الصلاة ، وملاى  
له امة راسه بقصص الملائكة والانبيا .. فكان يقبل على الصلاة  
كأنه يخطو الى عالم رائع جميل .. فيه جنة ، وفيه ملائكة ، وفيه  
شيوخ انقياء يتسمون من خلال ذقون جليلة بيضاء .. وكان يقبل  
على هذا العالم فى شوق .. ويقبل عليه وهو منتعش انعشته  
خياله ، وانعشه الماء الذى توحأ به .. ولم يكن يسأل ..

ولم يكن قد عرف بعد كلمة : لماذا .. كانت امه تحتم عليه  
ان يلبس جوربا اسود طويلا عندما يقف للصلاة ، حتى يغطى  
ركبتيه من تحت بنطلونه القصير .. فلا يسألها لماذا ؟ وكان ابوه  
يحتم عليه ان يغطى راسه بالطرش وهو يصلى ، فيضع الطربوش  
على راسه دون ان يسأل : لماذا ؟ وكانوا يأخذونه الى زيارة  
الأضرحة ، فيمسح بيده الصغيرة على شبك الضريح ؛ ويقرا  
الفاتحة .. ويفعل كما تفعل امه فيدور حول القبر الكريم سبع مرات  
.. ويرفع كفيه ويدعو ، ثم يمسح وجهه بكفيه .. ولا يسأل : لماذا ؟  
لماذا كل هذه الطقوس الغريبة ؟

ولم يكن فى عقله حرام وحلال .. كان ما يفعله .. يفعله لأنه  
يجب ان يفعله .. وما لا يفعله .. لا يفعله لأنه لا يجب ان يفعله ..

ولم يكن يسأل نفسه : لماذا يجب ؟ .. ولما لا يجب ؟ ..

والعالم كله فى عينيه ، عالم صبيان اطهار ، يحبون امهاتهم ،  
ويحبون آباءهم ، ويحبون الله .. ويصلون .. ويلعبون ! ولكنة  
بدأ يكبر .. وشىء فى راسه بدأ يكبر ايضا .. وبدأ يفاجا بكلمة :  
« لماذا ! » تقف فى وجهه !

كان فى الرابعة عشرة من عمره عندما سأل نفسه : لماذا تصر  
امى على ان تلبسنى هذا الجورب الطويل السخيف كلما وقتت  
للصلاة ؟

— لاغطى به ركبتى ..

— ولكن لماذا يجب ان اغطى ركبتى ؟

— لانها عورة ..

— ولكن ما هى العورة ؟

— العورة هى كل ما يثير مرآة نفوس الناس ..

— ولكن ركبتى لا تثيران نفوس الناس ، بدليل انى البس بنطلونا  
قصيرا يكشف عنهما .. و ..

وتستمر المناقشة بينه وبين نفسه .. مناقشة يشدها من ناحية  
عقله المنطوق ، وبشدها من ناحية اخرى عقل ابيه وامه وما وضعاه  
فى قلبه من احساس دينية ..

الى ان انتهت المناقشة بثورة .. ووقف صلى دون ان يلبس  
جوربا طويلا ، ودون ان يضع الطربوش على راسه .. ولم تكن  
ثورته على الله ولا على الدين .. ولكن ثورته كانت على هذه  
الطقوس التى لا يستطيع عقله ان يهضمها ..

ورغم ثورته فهو خائف .. خائف ان يكون على خطأ ..  
ويدفعه خوفه احيانا الى ان يعود ويلبس الجورب الطويل ، ثم تعود  
ثورته وتدفعه الى ان يخلع الجورب الطويل ..

وبدأت كلمة « لماذا » تكبر اكثر .. واكثر .. والمناقشات بينه

وبين نفسه لا تهدأ .. انه يناقش كل شىء .. ولا يستطيع ان ينتهى  
الى قرار فى أى شىء .. وتعب .. وادى به التعب الى ان اقلع عن  
المسلاة .. لا لانه كفر بالله .. ولكن فقط لانه تعب من مناقشة  
بمواضيع لا يستطيع عقله الصغير ان يصل اليها .. انه يحاول ان  
الهرب .. يهرب من المناقشة .. ولكن الله فى قلبه .. يؤمن به ..  
ويخافه .. ويلجأ اليه .. والنقاش النفسى لا يكف عنه رغم انه لم  
يعد يصلى ..

واحساسه الفنى يشفه العذاب .. عذاب الحيرة .. وبدأ  
النقاش يتخذ اتجاها جديدا :

ما هو الحلال ؟ .. وما هو الحرام ؟ .. هل الكذب حرام ؟ ..

ان والده يكذب .. كذبات صغيرة بيضاء ، لا تؤذى احدا ..  
فهل يدخل والده النار لانه يكذب ؟ لا .. انه لا يوافق على ان  
يدخل والده النار .. والله لا يمكن ان يحكم على والده بالنار ..  
ربما لم يكن الكذب حراما .. ان الحرام هو اذاء الناس ..

فاذا كذبت ولم تؤذ احدا فالكذب ليس حراما .. بل ربما  
او كذبت لتريح الناس وتسعدهم ، لاصبح الكذب حلالا ..

وما هى الفنون ؟ انها الكذب .. والفنانون ليسوا سوى قوم  
يرعوا فى الكذب .. الممثل هو رجل يقف امامك ويكذب عليك وينتلك  
الى حياة يصورها فى قصة .. و .. هل يدخل الفنانون ايضا  
النار لانهم يكذبون ليسعدوا الناس .. كذبهم حلال ! ولكن .. هل  
هذا صحيح ؟

من يحدد اذا كانت هذه الكذبة تؤذى ، او لا تؤذى ؟

ليس هناك مقياس ..

هل نترك لكل فرد ان يحدد مدى حقه فى الكذب ؟

هذه فوضى .. ان القائل يعتقد ان من حقه ان يقتل ..

والسارق يعتقد أن من حقه أن يسرق .. فلو اعترفنا للناس بحق الكذب لتمادوا فيه ..

ربما كان من الأفضل أن نعتبر الكذب — كل أنواع الكذب — حراما .

ولكن .. و ..

وتستمر المناقشة .. وتشتت حيرته بين الحرام والحلال .. ويتعذب ..

وقد ظهرت هذه الحيرة في كل لوحاته التي رسمها ..

انه يرسم مسجدا كبيرا فيه مصلون خاشعون .. وفي آخر اللوحة — بعيدا — يرسم يافطة مكتوب عليها بألوان النيون كلمة « كباييه » .. ويسمى اللوحة « نور » ! ويرسم مومسا في حى البغايا واقفة في الانتظار .. وفي ركن بعيد من اللوحة يرسم مئذنة مسجد .. ويسمى اللوحة « يارب » !

ويرسم خمارة في حى شعبي مزدحمة بالسكاري ، وعلى بابها شيخ أعمى يبيع مصاحف القرآن والسبح .. ويسمى لوحته « مزة !! » .

ولا تشعر في كل هذه اللوحات انه يبدي رأيا ، او ينتقد .. لا .. انه حائر .. مجرد حائر تعذبه وتقلقه حيرته !  
وبلغ قمة العذاب عندما احب .. احب امرأة متزوجة .. واحبته ..

ويدأ يسأل نفسه ، هل حبه حرام أم حلال ؟

ولم يكن يناقش موضوع العلاقة الجنسية .. ان العلاقة الجنسية في نظره انه من أن تناقض .. ولكنه كان يناقش العادلة .. عاطفته .. حبه .. هل هو حرام أم حلال ؟

انه حرام .. كل الناس يقولون انه حرام .. ثم انه يعتدي

الى حق رجل آخر ، والاعتداء على حقوق الغير حرام .. لأن فيه اذاه ..

— ولكن ما هو حق الغير الذي اعتدى عليه ؟

— ان هذه المرأة ملك لرجل آخر ..

— كيف تكون المرأة ملكا لرجل .. انها ليست متاعا .. انها شخصية كاملة مستقلة .. وقد تزوجت بلا حب .. بل لم تختار زوجها .. اختاروه لها .. وتزوجت لأنها كان يجب أن تزوج .. مما كما يلتحق الشاب بوظيفة .. والوظيفة لا تمنعها من الحب .. ان الوظيفة عندما تحب لا تعتبر انها خانت مدير الشركة .. ولا يعتبر حبيبها معتديا على حقوق الشركة .. وهذا الزواج ليس سوى شركة .. شركة لتربية الأولاد ، وللسعى في الحياة .. وهذا الزوج ليس سوى مدير الشركة !! و .. ويخاف هذا المنطق .. ويرفع عينيه الى السماء كأنه يبحث عن جواب لحيرته .. ويطن بصوت في أذنيه كالصراخ :

— لا .. الزواج ليس وظيفة .. انه ليس مجرد شركة .. انه يرب شخصين في كيان اجتماعي واحد .. وانت لا تعتدي بحق الى الزوج لوحده ، انك تعتدي على المجتمع ..

ويشتد خوفه .. فيهرب من حبه .. يهرب من حبيبته .. ثم لا يلبث أن يغلبه حبه ، فيعود اليها .. ثم يهرب مرة أخرى .. الحلال يشده من ناحية والحرام يشده من ناحية أخرى .. وهو ياتر .. ولم يعد يحتمل حيرته .. مرض .. أصيب بالسل .. يترك السل يسعى في رئتيه حتى أشرف على الموت ..

وذهبت الى زيارته وهو راقد في فراشه ..

وقال لي وعلى شفثيه ابتسامة ضعيفة تطل على وجهه الأصفر :

— اتعلم ما هي الفترات السعيدة التي عشتها .. انها الفترات

التي كف خلالها عقلى عن النقاش ، وخلصت روحى الى الله ..  
فاستكانت ، وهدأت .. يبدو أننا يجب أن نلقى عقولنا حتى نتمتع  
براحة الايمان ..

قلت وأنا أشفق عليه :

— ان الذين يضعون العقل فى خدمة الروح يصلون الى الايمان  
.. والذين يضعون الروح فى خدمة العقل ، يحتارون . ويتعبون .

قال :

— ماذا تقصد ؟ !

قلت :

— ان الايمان راحة للنفس . يجب ان تسلم به قبل ان تفكر  
.. ثم بعد ذلك تفكر فى حدود هذا الايمان .. ان الايمان كالدواء  
الذى يكتبه لك الطبيب .. والطبيب هنا هو الله .. وانت لا تناقش  
الدواء قبل ان تتناوله .. لا تسأل عن مركباته وكيفية صنعه ..  
ولو سألت .. تعبت ، واحترت .. انك لست كيميائيا .. وربما  
ادى بك السؤال ، الى رفض الدواء ، وعز عليك الشفاء ..

وتظن الى كانه لم يفهمنى ، ثم قبض على يدي بيده الهزيلة  
المعروقة ، وقال وعيناه تلمعان :

— كيف تفرق بين الحلال والحرام ؟

قلت :

— ان التعاليم التى تتلقاها والتى تفرق بين الحلال والحرام  
وضعت لتنظيم المجتمع .. انها كقوانين المرور .. انهم يحتمون  
علينا ان نسير على اليمين ، مع ان السير على الشمال ليس  
مستحيلا .. ولكننا نسمع الكلام ونسير على اليمين حتى لا يصطدم  
بعضنا ببعض .. انه مجرد تنظيم لتحركات المجتمع .. اما من  
ناحية الفرد .. فان كل آدمى فيه لمسة من الله تسمى الضمير ..  
وهذا الضمير هو الذى يفرق بين الحلال والحرام .. الحلال هو

لا يؤذى نفسك او غيرك ، وانحرام هو ما يؤذى غيرك  
والضمير هو مقياس حساس لما تسببه تصرفاتك من اذى ..

قال وهو يرتعش :

— هناك افراد بلا ضمير ..

قلت :

— هؤلاء قد تخلى عنهم الله .. فلم تعد لهم مشكلة ..

وسكت طويلا وانفاسه الضعيفة تتمزق على شفثيه . ثم برقت  
نوراه كأنه رأى امامه نورا ، وقال كأنه لا يعتمد ان يسبعه احد :

— هناك حقيقة واحدة لا تحتل النقاش ..

قلت :

— ما هي ؟

قال وظل ابتسامة يكسو وجهه النحيل :

— الموت !! ..

ثم التفت الى مرة واحدة ، وعاد يقبض يدي بعنف ، قائلا :

— انى اريد الموت .. اتدرى لماذا ؟

قلت وأنا اربت على يده واحاول ان ارغه عنه بابتسامتى :

— لماذا ؟

قال :

— لانى بعد الموت سأعرف ما هو الحلال والحرام .. و ..

وسكنت برهة .. ثم ازداد اتساع عينيه واشتد بريقتها ، وصرخ :

— هل سأعرف .. هل هناك بعد الموت .. و ..

وقاطعته بسرعة :

— نعم .. ستعرف .. ستعرف ..

والقى رأسه على الوسادة فى اعياء ، وتمتم :

— لا أدرى ..

## لا .. ليس جسديك

كان ذلك فى عام ١٩٤٧ ..

وكنت لا ازال وكيل نيابة بندر السويس ..

وجاءتنى اشارة بأن امرأة اقلت بنفسها من الدور الثانى من مبنى قسم البوليس ، قاصدة الانتحار ، وذلك اثناء اخذ اقولها بمعرفة الضابط النوبتشى ..

وانتقلت فوراً الى قسم البوليس ، ودخلت الى غرفة المأمور .. وكنت اعرفه .. انه رجل يحاول ان يطلق شكاربه على الطراز الانجليزى ، ويدخن البايب ، ويشرب الويسكى ، ويلوى لسانه عندما يتكلم .. وكان بحكم عمه فى السويس متصلاً بالضباط الانجليز .. ضباط الاحتلال .. وزاده اتصاله بهم تقليدا لهم .. واستقبلنى المأمور مرتبكا .. وأنواع ان كل ضباط وجنود قسم البوليس كانوا مرتبكين ، فان محاولة امرأة للانتحار اثناء اخذ اقولها ، معناه الذى يتبادر الى الذهن ، انها تعرضت للتعذيب والاعتداء عليها .. وهى تهمة خطيرة يمكن ان تسبب ارقاً لرجال البوليس ، اذا وصلت الى رجال النيابة ..

وكان اشد الجميع ارتباكاً هو الضابط الذى كان يتولى استجواب الفتاة قبل ان تلقى بنفسها من النافذة .. وهو ضابط من خريجي كلية الحقوق ، لا كلية البوليس .. وكان ضباط الحقوق متهمين من زملائهم بانهم تنقصهم الروح العسكرية ، واصول

السيطر والربط ، وانهم يخافون القانون الى حد ان يعجزوا عن اللعاب به ، فلا يستطيعون ان يحولوا الجنابة الى جنحة ، والجنحة الى مخالفة ، كما كانت عادة رجال البوليس عندما يحاولون اقناع الناس باستتباب الأمن ، فيشطبون الجنابات من ذواتهم ..

وانطلق الضابط فوراً ، وقبل ان اسأله ، يقسم لى ان الفتاة لم تعرض للتعذيب ، وأن احداً لم يمد يده عليها ، وأنه كان يحرر لها محضر تشرد عندما فوجيء بها تقفز من امام مكتبه ، وتلقى بنفسها من النافذة ..

وانتقلت الى المستشفى الذى نقلت اليه المنتحرة ، وجاء معى المأمور وضابط القسم . ولدهشتى الشديدة وجدت الفتاة سليمة ، لم تصب الا خدوش بسيطة ، وعلبت انها سقطت من النافذة ، جالسة على كوخ من نشارة الخشب ، فنجت من الموت وسألتها لماذا حاولت الانتحار ، فرفضت ان تجيب ، واكتفت بأن قالت :

— أبدا يا سيدى .. زهقانه من دنيتى !

قلت فى الحاح :

— زهقانه من ايه ؟

قالت وهى تردد :

— من عيشتى ..

قلت :

— بعد ضربك ؟

قالت وهى تدبر رأسها :

— أبدا .. ما حدش ضربنى !

قلت :

— ما حدش ضايقتك فى قسم البوليس ؟

قالت :



وهنا استراح وجه المأمور وضباطه ، واعتبروا الموضوع قد انتهى بالنسبة لهم ، وانصرفوا ، وبقيت وحدي مع الفتاة ابلق في وجهها كآني احاول أن التقط سرها من عينيها .. وجه أصفر نحيل .. وعينان عميقتان ، سوادهما داكن ، وبياضهما ناصع ، يختلط فيهما الخوف بالتحدي ..

ولم أكن في حاجة لأن يقول لي احد انها مومس .. مومس محترفة رخيصة .. ان كل ما فيها يدل على حرفتها .. وقد كنت دائما اشعر بالعطف على المومسات واعتبرهن ظاهرة من ظواهر فساد المجتمع .. وكانت مومسات منطقة القتال في تلك الايام يجترن حالة ضنك .. فقد كانت هناك ثورة على الانجليز ، واصدرت القيادة امرا بعدم دخول الجنود الى مدينة السويس والبقاء داخل المعسكرات خوفا من الاحتكاك بالاهالي .. وكسدت سوق المومسات .. تعرضن للجوع ، واليؤس ، الى حد ان علمت ان المرأة منهن كانت تسير بقدميها الى المعسكرات وتقيم في خيام الجنود اسبوعا او اسبوعين .. وحدها بين عشرين جنديا .. ثم تخرج بما تجمعها منهم من نقود .. ان البغاء يسير دائما في اقدام الاحتلال ..

واثارت هذه الفتاة مزيدا من عطفى ..

كان في عينيها العميقتين ، وعلى وجهها النحيل ، من انفاس اليؤس والشقاء ، ما اثار انسانيتي وحفزني الى انقاذها ..

واخذتها معى الى مكتبى ، وبدات اسألها من جديد .. ويبدو انها اطمأنت بعد ان انصرف المأمور وضباطه ، وبعد ان لاحظت انى اعاملها برقة واحترام ، فبدات تتكلم .. قالت لى ان هناك ثلاثة من رجال البوليس السرى يطاردونها ، وكلما راوها فرضوا عليها

سراة .. نصف ريال .. ريال .. وأحيانا كثيرة لا يكون معها نقود ، ولكنهم لا يصدقونها ، فيقبضون عليها ، ويوجهون اليها تهمة التشرد .. ويلقون بها فى السجن اسبوعا او اسبوعين .. ولا تكاد تخرج حتى يلاحقونها مرة ثانية .. وكانت هذه هى المرة العاشرة التى يقبضون عليها فيها .. فلم تطلق .. وقررت ان يخلص من حياتها ، فالقمت بنفسها من النافذة ..

وشرت .. وقررت ان انتخذ هذه الفتاة من جنود البوليس الذين يطاردونها .. وكنت اعلم ان ليس من حق رجال البوليس ان وجهوا تهمة التشرد الى امراة .. فالنشرده تهمة توجه الى من كان لا عمل له .. وقد حكمت محكمة النقض بأن امراة لا عمل لها امسلا ، فلا تكون ابدا موضعا للانهام بالتشرد .. ولكن البوليس ان يكن يتتبع احكام محكمة النقض .. وحتى لو كان يتبعها ، فلو لن يخسرسينا اذا سجن الفتاة الى ان تقدم الى المحاكمة .. فمرا !

انى لن انتخذ الفتاة فحسب .. بل سأنتخذ ايضا احكام محكمة النقض ..

وسجلت افوالها ، ثم طلبت منها ان تسمى شاهدين .. يمكن ان يشهدا على ان رجال البوليس تعودوا ان يأخذوا منها رشوة ..

وعينت شاهدين .. ولكنهما كانا من نفس بيتها .. ليس لهما عنوان ثابت ، وكان يجب ان الجأ الى البوليس لاستدعائهما ، والبوليس يعلم انهما سيكونان شاهدين ضده ، فلن ينفذ طلبات النيابة .. ومرت الايام ، ومضرت التحقيق مفتوح الى حين استدعاء الشاهدين ..

وفى خلال هذه الايام كانت نفطومة تتردد على مكتبى .. كانت استقبلها دائما ببشاشة .. واحترام ، واسألها عن حالها ..

وأطمئنتها الى حمايتي لها .. ونشأ بيني وبينها نوع من الالفة ..  
أو من الصداقة ، لا تقوم أبدا بين هذا النوع من النساء ووكيل نيابة  
مثلئى .. حتى ان عسكري البوليس المعين على بابى كان يدهش  
لسماحى لها بالدخول الى مكتبى .. وكان فى كل مرة يحاول ان  
يمنعها ، وفى كل مرة انهره وأمره ان يسمح لها بالدخول .. ثم  
فقد مرة اعصابه عندما رآها تلتقط عليه الكبريت من على مكتبى  
وتشعل لى سيجارتى ، فهب فى وجهها فجأة كأنه العاصفة ، ولم  
ينقذها منه الا ان حلت بينه وبينها ..

ولم اغضب من العسكري الواقف على بابى ، فقد قدرت فيه  
غيرته على هيبة رجال النيابة .. ولم اغضب من الفتاة عندما  
حاولت ان تشعل لى سيجارتى ، فقد كنت أحاول ان اعاملها كسيدة ،  
العلى أعيد اليها احترامها لنفسها ..

ثم فجأة اخفت فطومة .. لا ادرى اين ذهبت .. ولكنها  
اختلفت .. لم تعد تتردد على مكتبى .. ومع الأيام نسيتها ..  
نسيت انقاذ البشرية ..

ونسيت انقاذ احكام محكمة النقض ، واختلطت حياتى بعشرات  
من الجرائم والحوادث الجديدة ومئات من المتهمين والتهمة .

ثم ، وبعد أربعة شهور .. فقط أربعة شهور .. توجهت الى  
دار المحكمة ذات صباح ، ودخلت وانا لا اتلفت حولى حرصا على  
هيبة رجال النيابة .. ولكنى وان لم اكن اتلفت حولى ، فقد كنت  
أرى ما حولى .. اراه بخيالى .. أرى المتهمين مكومين تحت سلم  
الحكمة فى انتظار الجلسة واستدعائهم .. وأرى بوفيه المحكمة  
على الناحية الشمال .. وأرى مكاتب الكتبة العموميين .. و .. و ..

وصعدت السلم فى هيبة ووقار .. ثم فجأة سمعت صوتا نائحا  
يصيح :

— يا سعادة البيه .. يا سعادة البيه ..

والنفت .. ورايت امرأة تجرى نحوى ، وعسكري البوليس  
يحاول ان يمنعها .. واعتقدت انها امرأة تحمل مظلمة تريد ان  
ترفعها الى فوقت فى أعلى السلم منتصبا ، كتمثال العدالة ..  
وعندما رأتى العسكري ، وقد توقفت ، ترك المرأة تجرى نحوى ..  
فصعدت الدرجات الى .. ، وهى لا تزال تصيح :

— يا سعادة البيه .. يا سعادة البيه ..

ونظرت فى وجهها ، وانا لا ازال انتظر المظلمة التى ترفعها  
الى ..

ونظرت الى .. وقالت فى حياء وتردد :

— ازيك يا سعادة البيه ..

وتذكرتها .. انها فطومة ..

وابتسمت ابتسامة خفيفة سريعة ، لا تكاد تخرج من بين  
شفتى ! ..

ومدت فطومة يدها الى .. لتصافحنى وهى تردد :

— ازيك يا سعادة البيه ..

وهيمت ان ابد لها يدى .. وفجأة دفعتى احساس اقوى منى  
الى ان اتلفت حولى .. ورايت المتهمين المكومين تحت السلم  
يتطلعون الى .. فى نظرات عجيبة .. ورجال البوليس يتطلعون  
الى .. وعامل البوفيه واقف فاغرا فاه ، يتطلع الى .. والكتبة  
العموميون يتطلعون الى .. وأفراد من الجمهور يتطلعون الى ..  
كلهم يتطلعون .. كأنهم ينتظرون شيئا كبيرا رهيبا .. وخفت ..  
لا ادرى مم خفت ..

وكانت يدي فى منتصف الطريق نحو يد فطومة لتصافحها ..

وفجأة .. سحبتها .. سحبت يدي .. لم أصافح فطومة ..  
وأدرت لها ظهري .. وصعدت ..

\*\*\*

لقد مرت على هذه الحادثة الآن ، أكثر من عشر سنوات ، وكلاهما  
تذكرتها أحسست بشيء يتلوى في صدري .. أحسست بجرح ينفتح  
في قلبي وينزف دما ..  
لماذا لم أصافح فطومة .. لماذا ، أيها الجبان .. ؟  
وأحاول أن أقتنع نفسي بأنى لم أصافحها حرصا على هيبته  
النيابة .. ولكنى لا زلت أشعر بالشيء الذى يتلوى في صدري ،  
والجرح الذى ينفتح وينزف دما ..  
لا زلت أشعر بأنى جبان ..

## بلا قانون

الأسطى خليل .. يعمل فى مصنع صغير لسباكة المعادن ..  
يصنع الملاعق والشوك والأواني المعدنية .. وهو يعمل بنظام  
المقاوله .. أى يقدم لصاحب المصنع كمية معينة من الانتاج ، نظير  
مبلغ معين .. وهذا المبلغ لا يعتبر اجرا ، ولا مرتبا .. ولكنه  
يعتبر ربحا ..

وكان الأسطى خليل يستخدم — من وطنه — عددا معينا من  
العمال ، وهو الذى يختارهم ، وهو الذى يدفع لهم أجورهم من قيمة  
المقاوله .. ويختار دائما عمالا من صغار السن ويدفع دائما أجورا  
مُسئِلة ، وكان الأسطى خليل يضرب عماله ..

ويخصم من أجورهم .. ويطردهم بلا انذار ..

لم يكن يهبه قانون . وواقع أنه لم يكن يعرف القانون .. ولم  
يقراه .. ولم يضطر يوما أن يذهب الى وزارة الشؤون أو الى أى  
جهة تطالبه بأن يعرف القانون .. ولم يكن الأسطى خليل يحس  
بقسوته على عماله .. لم يكن يعتقد أنه قاس .. بالعكس .. كان  
يحب العمال .. بحبهم فعلا .. وكان يعتقد أنه يضربهم لأنه يحبهم  
ويخصم من مرتباتهم لأنه يحبهم .. ويطردهم لأنه يحبهم ، أنه  
يحبهم ، كما كان رئيسه يحبه وهو عامل صغير .. وكان رئيسه  
يضربه ، ويخصم من أجره ، وكان يراه يطرده العامل الكسول  
المهمل ليحمى بقية العمال من كسله واهماله .. وقد أصبح الأسطى

خليل عاملا كبيرا .. امهر عمال صناعته .. واصبح يعمل بالمقابلة ، ويستأجر من باطنه عددا من العمال .. وهو لا يزال يعتقد ان سر تجارحه هو الصفعات والشلايت التي كانت تنهال عليه وهو عامل صغير .. ثم خوفه من خصم جزء من اجره .. وخوفه من ان يطرد .. هذا الخوف هو الذى جعل منه عاملا ماهرا .. وهو يريد كل عماله ان يخافوه .. ان يخافوا الضرب ، والخصم ، والطرد ، حتى يصبحوا مثله عمالا مهرة ..

وكان العمال يخافون الأسطى خليل فعلا .. وكانوا يحبونه .. حبا يغلب عليه الاحترام ..

والأسطى خليل واثق من حب عماله له .. هذا الحب الذى يغلب عليه الاحترام .. لأنه هو أيضا — وهو عامل صغير — كان يحب رئيسه ويحترمه ..

ثم .. صدرت القوانين العمالية الجديدة ..

وامتت الشركة التى تملك مصنع سبائك المعادن ..

ولم يفهم الأسطى القوانين الجديدة فهما عاما .. ظل فى حيرة منها ، كان بينه وبينها ضبابا .. ولم يكتشف الأسطى خليل لماذا لم يستطع فهم هذه القوانين .. ان كل العمال يفهمونها ويهللون لها .. وهو عامل .. طول عمره عامل .. فلماذا لا يفهمها ، ولماذا لا يفرح بها .

لم يستطع الأسطى خليل ان يقدر انه ليس مجرد عامل .. انه أسطى .. والأسطوات يمثلون طبقة خاصة داخل مجتمع العمال . وهو أيضا ليس مجرد أسطى ، ولكنه أسطى مقاول .. فهو يمثل طبقة اخرى فى مجتمع الأسطوات .. وانه لهذا .. لم يستطع ان يفهم القوانين العمالية الجديدة فهما تماما ، ولم يستطع ان يفرح كما يفرح كل العمال ، كما انه لم يستطع ان يسخط عليها كما

يسخط اصحاب الشركات .. انه يعيش وقدماه فى ارض العمال ، وراسه تطل من نافذة راس المال ..

وكل ما فهمه الأسطى خليل ان المدير الجديد للشركة — بعد ان امت — باده ، وعرض عليه ان يعمل بمرتب شهرى ، بدل ان كان يعمل بالمقابلة ..

وابتسم الأسطى خليل ..

ان اصحاب الشركة السابقين عرضوا عليه مثل هذا العرض ورفضه .. رفضه بشدة .. انه نوقبل العمل بمرتب فمعنى هذا ان العمال الذين يعملون معه يصبحون تابعين للشركة .. ويصبح من حق مدير الشركة ان يتدخل فى شؤونهم ، وان يشرف عليهم .. كما يصبح من حق المدير ان يشرف على العمل نفسه ومعنى هذا انه — اى الأسطى خليل — يشدد من قبضة الشركة على عنقه ، ويسلبها اسرار العمل ، فتستطيع ان تتحكم فيه .. وان تستغنى عنه يوما .. لا .. انه لا يقبل ان يفقد حريته فى عمله الى هذا الحد .. ولا يقبل ان يصبح اكثر حاجة الى الشركة ، من حاجة الشركة اليه .. ولا يقبل بعد هذا العمر الطويل والشقاء الطويل ، ان يعود لينذل كلما احتاج الى علاوة او اجازة ..

كان هذا هو موقف الأسطى خليل قبل التأميم ..

ولكنه يحس الآن وهو يحدث المدير الجديد بشئ تغير .. ليست القوانين التى تغيرت .. ولكن وضع المدير الذى يحدثه . ان هذا المدير الجديد لا يمكن ان يكون له مصلحة خاصة فى العرض الذى يعرضه عليه .. كما انه لم يعد هناك اصحاب للشركة يمكن ان يتعمدوا السيطرة عليه ، واستغلاله .. انه يحس بان العرض الذى يعرضه عليه المدير الجديد له مفهوم جديد ، ورنه جديدة .. لا تثيره ، ولا تجعله يخاف على مستقبله ..

وكان هذا هو اول ما فهمه الأسطى خليل من الوضع الجديد  
وقبل العرض ..

ولكن .. المرتب لا يجب ان يقل عن الربح الذى كان يخرج ..  
من نظام المزاولة .. هذا حقه .. لقد وصل الى مستوى معين ،  
بقرته وكده .. ويجب ان يبقى فى هذا المستوى .. ان القوانين  
الجديدة والأوضاع الجديدة لا يمكن ان تأخذ منه شيئاً .. لا يمكن  
ان تتسبب فى الهبوط بمستواه .. لانه ليس انقطاعياً ، ولا راسمالياً  
.. انه عامل يعمل ببديه مع بقية عماله .. كل قرش يكسبه بجهده .  
واخذ يساوم المدير على مرتبه .. فى حدة ..

وقدر له المدير قيمة المرتب ، واخذ يعدد له المزايا التى تمنحها  
له القوانين الجديدة .. تخفيض ساعات العمل .. الاشتراك فى  
الربح .. التأمينات الاجتماعية .. العلاوات .. و .. وفهم الأسطى  
خليل القوانين أكثر .. واتفق على المرتب .

وعندما عاد الى عماله .. أحس انه قريب منهم أكثر .. أحس  
بفرحتهم .. وفرح معهم .. ولكن .. المدير الجديد يصمم على  
الاستغناء عن العمال الصغار الذين تقل اعمارهم عن خمسة عشر  
عاماً .. لماذا ؟ القانون ..

ولكن كيف تخلق العمال المهنيين اذا لم نبدأ فى تدريبهم منذ  
سن السابعة .. انه هو نفسه بدأ العمل وهو فى السابعة .. بدأ  
يكسب بلاط المصنع .. والأسطى يضربه على قفاه .. ثم ارتفع  
درجة فبدأ يقف بجانب الأسطى يناوله معدات العمل ، وينقل القطع  
المصنوعة من مكان الى مكان .. والأسطى يضربه ايضا على قفاه  
و .. و .. وهكذا أصبح عاملاً ماهراً ..

ولكن ، يا أسطى خليل .. ان العمال الصغار صحتهم لا تحتل  
.. ثم انهم يأخذون رزق عمال كبار احوج منهم الى الرزق ..

وصرخ الأسطى خليل :

— العمال صحتهم زى البهب .. ذول بياكلوا الحديد .. والكبار  
لأمدن شغل والحمد لله .. المهم اننا نطلع عمال جداد .. حيطلعوا  
الراى اذا ما اتعلموش من صغرهم .

وابتسم المدير :

— يتعلموا فى المدارس .. وفى مراكز التدريب .

وهز الأسطى خليل كتفيه :

— ابقى قابلنى ..

ولم يقتنع الأسطى خليل تماماً ، بعدم تشغيل الاطفال .. لم  
يقنع بأن المدارس ومراكز التدريب يمكن ان تخرج عاملاً فالحاً ..  
ولكن .. أما نشوف !  
وعاد الى عمله ..

وشىء لم يفقده ابداً الأسطى خليل .. غيرته على العمل ..  
ان العمل بالنسبة له هو كرامته ، وهو شرفه ، وهو متعته .. وهو  
بعد التأميم ، كما كان قبل التأميم لا يهدأ .. لا يضيع دقيقة واحدة  
من وقت العمل فى غير العمل .. وهو يريد من كل عامل معه أن  
يكون مثله .. ولكن العمال يتهاونون .. ويتكاسلون .. ويتحركون  
بأنهم يتمشون فى شارع ٢٣ يوليو ..

ويصرخ الأسطى خليل :

— يا واد اتحرك .. ده انا لما كنت فى سنك كنت باخد ثلاثة  
ساع فى اليوم .. وانت دلوقت بتطلع بعشرين قرش .. اتحرك ..  
ويسمع العمال صوته فيتحركون ، ثم لا يلبث كل منهم أن يعود  
الى تهاونه وتكاسله .. وفى مرة رفع الأسطى خليل كفه ليصفع  
احد العمال ، وأمسك العامل باليد التى تحاول أن تصفعه ، وقال  
فى هدوء :

— بلائى الحاجات دى يا اسطى .. ما يصحش ..

وجن الاسطى .. وصرخ فى العامل :

— اطلع بره .. انت مالكش شغل معايا ..

ولكن ..

ممنوع الرفت .. وممنوع الضرب ايضا ..

وصرخ الاسطى :

— امال حانشغلهم ازاي .. دول حراميه .. بيسرقوا مالى

الحكومه .. اللى ما يشتغلش ويقبض يوميته ، يبقى حرامى ..

يبقى بيسرق .. لازم يتربى .

وجاء الرد :

— بالقانون !

وبدا الاسطى خليل يدرس القانون ..

ولم يقبل على فهم القوانين ليعاقب بها العمال .. ولكن لانه

خشى على نفسه .. خشى ان يستمر تهاون العمال دون ان يكون

هنالك رادع لتهاونهم فتكون النتيجة ان يبأس من تشغيلهم .. ويبأس

من العمل نفسه ، فيشاركهم فى تهاونهم .. يصيح هو الآخر عاملا

متهاونا .. ويفقد شرفه وكرامته .. ويفقد ايضا متعته الكبرى ..

متعته التى يعيش بها ولها .. متعة العمل .. ووجد الاسطى خليل

فى القانون علاجا لكل حالة .. القانون يعالج العامل المتهاون ..

يعالجه بالخصم من مرتبه .. وبالطرد .. و .. و .. وقرر

الاسطى خليل ان يطبق القانون .. وطبقه فعلا .. وعرف بقسوته

بين العمال ..

وقد كان دائما معروفا بقسوته ، ولكنه كان يحس بان العمال

يجبونه رغم قسوته .. ولكنه الآن لا يحس بحبهم .. انه يحس

كانهم يكرهونه .. ويدسون له عند المدير .. ويكتبون ضده

التقارير .. و .. و .. لا يهم .

ليكرهه العمال .. المهم ..

هو الا يتستر على تهاونهم ، ولا يشاركهم فيه .. ولكن ..

القانون يبيح ايضا منح المكافآت للعامل الجاد المنتج ..

وبدا الاسطى خليل يطلب مكافآت للعمال المجددين .. ولكنه

كان خشيئا .. وكان لا يترك لعواطفه ان تقوده وهو يطلب مكافأة

احد العمال .. عواطفه ليس لها دخل فى عمله وليس لعواطفه ان

تقوده وهو يطلب مكافأة لاحد العمال عامل منتج وعامل غير منتج .

وهو لا يزال يحس ان العمال يكرهونه ..

وانتهى به هذا الاحساس الى ان يصبح انسانا كثيرا .. فقد

انسانته .. وفقد ضحكته العالية .. وفقد مرحه .. اصبح وهو

فى العمل متعطب الحاجبين دائما ، فاذا عاد الى بيته احس انه

انسان وحيد وصدره ضيق ، واعصابه متوترة .. يشخط نوى

روحته ، ويشخط فى اولاده ، ثم يحس برغبة فى البكاء .. واحتس

كل هذا ..

وكل ما يعرضه ، هو ان انتاج القسم الذى يشرف عليه ، هو

الذى انتاج بين جميع الأقسام وان عماله معروفون فى جميع

المؤسسات بأنهم اكثر العمال نظاما ودقة فى الانتاج ..

ومر عام .. وجرت انتخابات داخل المصنع ، لانتخاب مندوب

العمال فى مجلس الادارة . ولم يرشح الاسطى خليل نفسه .

انه يعرف ان العمال لا يحبونه ، ولا يريدون اسطى مثله يمثلهم

فى مجلس الادارة . انهم يريدون اسطى يتستر على تهاونهم .

يخضع لتزواتهم ولا يحاسبهم على انتاجهم .

وجاءه بعض العمال يرجونه ان يرشح نفسه ..

لا .. هؤلاء المنافقون ، انهم يحاولون التقرب اليه حتى يتهاون

بهم ، او لعلهم يريدون ان يخدموه .. ان يكيدوا له .. يرجونه

ان يرشح نفسه حتى اذا قيل تخلوا عنه وتركوه يسقط ليفضوه  
امام بقية الاسطوات وامام مديري الشركة .  
لا .. انه اعقل واكثر حذرا مما يظنون ..  
وجرت الانتخابات .. و ..  
غاز الاسطى خليل .. فاز رغم انه لم يرشح نفسه .. ولم  
يصدق ..

والتف حولة العمال يهنئونه .. ويتسمون .. انهم يحيونه .  
لم يكن يعلم انهم يجبونه الى هذا الحد .. واغرورقت عيننا  
الاسطى خليل بالدموع .. وابتسم .. لقد اوحشته ابنته ..

## النافقة

كانت تروح وتجيء فى غرفتها بقميص النوم ، وشعرها  
مهل فوق جبينها ، وحاجباها معقدان فوق عينها وشفتاها  
مزمومتان ، وتضغط بأصابعها فوق ذراعيها ، كأنها تحاول ان  
تخفق الدم فى عروقها ..

ثم فجأة توقفت .. وبحدث فى دولابها عن ورق وقلم ، وجلست  
فوق سريرها وأسندت ظهرها الى الحائط ، ثم جذبت الكتاب  
الموضوع تحت الوسادة ، وأسندته الى ركبتيها ، ووضعت فوقه  
الورقة ، وبدأت تكتب .. بلا تردد ، ودون ان تتوقف لتختار  
الكلمات .. ان الكلمات تتدفق من تحت طرف القلم ، كأنها كانت  
تخترنها من زمن طويل .. تخترنها لهذه اللحظة ..

« عزيزى .. »

« مضى على اسبوع وانا لا اخرج من غرفتى .. وأفكر .. وأفكر ..  
.. ولم اكن افكر فيك ، انما كنت افكر فى نفسى .. ربما لأنك لسيت  
مشكلتى .. ولكن مشكلتى هى نفسى .. نفسى التى احببتك .. هل  
حقيقة احببتك ؟ .. كل هذه السفالة واحبك ؟ ! كل هذا الخداع  
واحبك ؟ ! كل هذه الأثانية والنذالة والكذب .. واحبك ؟ . »

« مستحيل .. مستحيل ان احب انسانا مثلك .. وقد اكون  
معدومة فى حبنى ، لو لم اكن اعرف أنك سافل ، كذاب ، مجرم ..  
ولكنى اعرف .. فما هى عذرى .. كيف ابرر هذا الحب امام

نفسى .. هل الومك .. هل اعابيك .. لا .. انك لا نستحق لوما  
ولا عتابا .. بل ليس من حقى ان الومك .. انت حر .. حر فى  
سفالنك .. انما من يستحق اللوم هو انا .. نفسى .. نفسى التى  
احبك ..

« ولكنى لا استطيع ان اصدق انى احببتك .. انى دهشة ..  
صدقنى ، ان كل ما احس به هو الدهشة وقد قادتنى الدهشة الى  
ان ابحث فى اعماق نفسى عن سر هذا الحب .. حبنى لك ..  
واكتشفت فى نفسى اشياء زادتنى دهشة ..

« لقد رايت نفسى وانا فى الرابعة عشرة من عمرى طالبة فى  
مدرسة اللبسيه . وقد بدأت فى هذا العمر ارسم احلامي .. وكانت  
احلامي دائما تدور حول شاب طويل ، اسمر ، يركب سياره  
« ثندربيرد » بيضاء .. يقودها بسرعة مائة وعشرين كيلو فى  
الساعة .. وانا جالسة بجانبه ، وشعرى يطير فى الهواء ..  
ويأخذنى الى قصر فى شارع الهم ، او فى المعادى ..  
ويعرفنى بامه .. سيده رائعه بيضاء .. ولا ادرى لماذا كنت اصر  
على ان يكون ابنها اسمر .. وكنت اراها فى احلامي ترتدى دائما  
ثوبا اسود ، وحول عنقها عقد من اللؤلؤ خمسه افرع ، وفى  
اصبعها ثلاثة خواتم .. فى كل منها فص كبير من الماس .. واتقدم  
اليها .. فتأخذنى فى احضانها وتقبلنى ، ثم تلخع من اصبعها احد  
الخواتم الثلاثة ، وتضعه فى اصبعى .. ثم انسحب من امامها ..  
ويأخذنى الشاب الطويل فى سيارته « الثندربيرد » ، لتتناول  
الشاي فى نادى الجزيرة .. وينظر بنات النادى الى الخاتم فى  
اصبعى ، والى الشاب الذى يصحبنى ، ويشبهن .. لم اكن احلم  
بنظرات الرجال ، ولكنى كنت احلم بنظرات البنات .. وارى  
الشهقة والحسد فى عيونهن ، فافرح بحلمى ..

« وقد عاشى معى هذا الحلم حتى بلغت السادسة عشرة ،  
ورايته .. انت .. الشاب الطويل الذى يملك سياره « ثندربيرد »  
.. نساء ! ..

« واحببتك !!

« لم اتردد .. ولم يكلفنى حبك سوى نظرة واحدة اليك ، والى  
سيارتك .. وانددت معك .. اندفعت لارسم بقية حلمى ..  
لتعرفنى بأمك حتى تضع فى اصبعى خاتمها الماسى .. ولكن أمك  
كانت فى آخر طريق طويل .. طريق مزروع بسفالنك ، وبكذبك ،  
وخداك .. طريق لا استطيع ان اسمى فيه اكثر مما مشيت ..

« وبدأت اتعذب .. اتعذب بحبك .. ثم بدأت اسائل نفسى عن  
سر هذا الحب .. وابحت فى اعماقى عن جذوره ..

« وأخيرا عرفت .. عرفت انى لا احبك .. ولم احبك ابدا ..

« لقد كنت احب سيارتك .. وكنت احب اسم عائلتك .. وكنت  
احب ثراك .. واحب المجتمع الذى تعيش فيه ..

« انى لا احبك انت .. لو لم تكن تهلك سياره لما احببتك ..  
ولو كان اسمك احمد محمد ، لا حسام شرف الدين ، لما احببتك ..  
ولو لم تكن من اعضاء نادى الجزيرة لما احببتك .. ولم يكن حبنى  
اك الا نفاقا ..

« لم اتفكك انت .. ولكنى كنت اتوافق نفسى .. فانى لم اكن  
استطيع ان اواجه نفسى بانى احب السيارات او انى احب الثراء ..  
واتفككت نفسى بانى احبك انت .. احب فيك الانسان .. لا السيارة  
ولا الثراء .. وصممت على هذه الكذبة الكبرى ، حتى صدقتها ..  
واقنتعت بها .. وآمنت فعلا بانى احبك .. وتعذبت ..

« هل فهمتتى .. لقد اسميت طموحى ، حبا ..



وفجأة خرجت من تفكيرها ، ومزقت الخطاب الذى كتبته ، ثم  
تفحزت من فوق السرير ، واندفعت نحو التليفون ، وادارت رقبا ،  
ثم قالت فى صوت رقيق وهى ترسم ابتسامة فوق شفيتها :  
— حسام موجود من فضلك !!

« اسميت الجشع ، حبا .. اسميت التظاهر ، حبا ..  
« وأنا التى خدعتك .. خدعتك عندما خدعت نفسى .. انا  
السافلة ، المجرمة .. المناقطة !

« انى اعترف لك الآن بانى لا احبك .. ولم احبك ..

« وهو اعتراف يريحنى .. اعتراف ليس لك فحسب ، ولكنه  
أولا اعتراف أمام نفسى .. انى أستطيع الآن أن انام مطمئنة وأنا  
واثقة من أن نفسى لا يمكن أن تحب انسانا سافلا مثلك .. نفسى  
ليست من الضعف والمهانة الى هذا الحد .. كل ما هنالك انى  
ضحكت عليها .. ضحكت على نفسى ، وخدعتها ، يوم اقنعتها بانى  
احبك .. لا .. انى أستطيع الآن أن اضربك بالثلوث .. أن  
أخرجك من حياتى بكل بساطة .. وان كنت أريد سيارة ، فأصحاب  
السيارات كثيرون .. على قفا من يشيل .. وان كنت أريد اسما  
كبيرا ، فأصحاب الأسماء الكبيرة أصبحوا يباعون فى سوق  
الكانتو .. وان كنت أريد عضوا فى نادى الجزيرة ، فأعضاء  
النادى متطوعون كثيرون كالأحذية فى فترينات شارع قصر النيل ،  
لا يكلفنى الواحد منهم الا أن أقسمه على قدمه ..

« وداعا .. وداعا أيها السافل .. والحمد لله ..

انى قد أكون خسرت صفقة تجارية ولكنى لم أخسر قلبى ..

.. و

\*\*\*

وتوقفت عن الكتابة ..

وأعدت ما قرأته ..

وتعقد حاجباها مرة ثانية ، وزمت شفيتها ، وأخذت تنظر  
بالقلم والورق نقرات عصبية ، وراحت فى تفكير عميق ..

## رجل أعلن إسلامه

إن فى القاهرة ثلاثة ملايين قصة .. وأكثر .. إن كل انسان يمر بك هو قصة .. قصة تختفى خلف وجه .. فاذا ما استطعت أن تظل خلف هذا الوجه ، رأيت حياة عجيبة .. حياة لا تخطر بالبال .. حياة لم تكن تعتقد أنها تعيش فى القاهرة .. وتذهل ! . وأنا اذهل كلها سمعت قصة عجيبة تعيش فى المدينة التى أعيش فيها .. ويبدو انى سأقضى عمرى كله مدهولا .. فانى مهما عشت لن أستطيع أن استمع الى خمسة ملايين قصة .. ستبقى دائما قصة لم اسمعها بعد ..

وهذه قصة جاءتنى فى خطاب من الدانمرك ..

صاحب الخطاب جندى من جنود البوليس الدولى .. والفتاة التى تشاركه قصته عرفها .. ولكنى لم أكن أعرف أبدا — ولا أتخيل — انها تخفى خلف وجهها هذه الحياة ..

واقراوا معى هذا الخطاب ..

أحببت القاهرة .. انها مدينة تأخذ القلب .. وقد عشت فيها -وقلبى مأخوذ ، أسير فى أحيائها كانى أسير فى مدينة مسحورة بنيت فوق السحاب .. كل أيامى فيها كانت أشبه بالخيال .. ثم افقت من خيالى يوما لاكتشف أن قلبى سقط منى .. سقط فى يد فتاة من القاهرة ..

ولم يكن حبنى مجرد خيال انسقت فيه .. أحببتها .. لم احبها

سناح .. لم احبها كمغامر .. لم اخضع لنزوة اثارها الجو الشرقى المثير الذى احاطتنى به القاهرة .. لا لقد احببتها بعقلنى .. بكامل وعيى .. احببتها كاتى عشت معها العبر كله ، كأنها فتاة من الدانمرك ، أو كاتى شئب من القاهرة ..

وتسلل الحب فى بساطة .. دون أن أدرى انه الحب ..

التقينا فى حفلة ، وقدمها انى زميلى فى فرقتى ، كانت له صديقة يعرفها .. وقضينا المساء كله نتحدث .. حديثا عاديا مبهذا .. ثم التقينا نحن الأربعة — زميلى وصديقه ، وهى وأنا — فى اليوم التالى .. وفى اليوم الذى يليه التقينا وحدنا ، ورحنا نطوف بمعالم القاهرة ، والحديث بيننا لا ينقطع .. حديث طويل يمكن أن يستمر العمر كله .. ولا أذكر عما كنا نتحدث ولكنها مقفنة .. أكثر ثقافة من أى بنت فى الدانمرك .. وكان حديثا كله ثقافة ..

وقضينا بعد ذلك اسبوعا نلتقى فيه كل يوم .. وقدمتنى الى عائلتها .. عائلة بسيطة طيبة .. كنت اشعر وأنا جالس بين افرادها كان الدنيا كلها حلوة آمنة ، ليس فيها مشاكل ، ولا حروب .. ثم ..

انتهت اجازتى وعدت الى فرقتى المعسكرة فى غزة .. وتركت حبيبتى .. تركتها دون أن نبادل كلمة حب .. بل دون أن انتبه الى انى احبها ..

وهناك .. وسط الجنود ، ووسط الصحراء .. بدأت استعيد ايامى معها ، ثم وجدت نفسى أسير هذه الايام .. لا أستطيع أن اتحرر منها ، ولا أستطيع أن أفكر فى غيرها .. لم يعد لى يوم أذكره وأعيش فيه الا يوم قضيته معها ..

وحاولت أن أنسى .. حاولت أن اقتنع نفسى انه لم يكن بينى

وبينها سوى صداقة دفعيتى اليها غربتى عن بلدى وعن اهلى .. .  
جاولت كثيرا .. ولكنى لم استطع .. وعرفت .. عرفت انى  
احبها ..

وبلغت بى لهفة الحب الى حد ان فررت من فرقتى .. فررت  
من واجبى كجندى .. وعدت الى القاهرة .. اليها ..

ولم احاول الاختفاء فى القاهرة .. بل انى لم احس باحساس  
الجندى الهارب حتى اخفى .. كل ما كنت احس به انى اريد ان  
اراه ، وان ابقى معها ..

والتقينا .. وبدأ حديثنا الطويل ينقطع ، وكل منا ينظر الى  
الآخر ، كأنه حائر فيه .. حائر فى عواطفه نحوه ..

وبدأت يدى تلمس يدها لمسات سريعة ، فتنفض يدها فى  
يدى ، ويكتسى وجهها بلون الورد ..

هل هى تحببى ؟

لا ادرى .. لا ادرى ولا استطيع ان اعيش معها العمر كله ،  
وانا لا ادرى .. فكان يجب ان اسألها .. ولكن اخاف ان اسألها ..  
اخاف من جوابها ..

وبدأت احدثها عن حياتى الخاصة ، التى لم اكن قد حدثتها بها  
من قبل ..

قلت لها انى متزوج .. فلم يبد على وجهها الذعر ولا الهلع .  
وقلت لها انى اب لاربعة اولاد اكبرهم فى العاشرة من عمره .  
فابتسمت فى حنان ..

وقلت لها انى منفصل عن زوجتى رغم اننا لم نطلق ..  
فدهشت .. ولكنى شرحت لها حياتنا فى الدانمرك .. ان كثيرين  
من الأزواج منفصلون عن زوجاتهم دون طلاق .. كل منهم له حياته  
الخاصة ..

وصدقنى .. ثم قلت لها انى احبها ..

وترددت قليلا ، ثم ابتسمت وقالت :

— انى سعيدة بحبك لى ..

ولم افهم ما تعنيه .. ولم تحاول هى ان تعيننى على الفهم ..  
واخيرا قلت لها :

— انى اريدك زوجة ..

وتعقد جبينها كأنها غضبت ، ثم قالت :

— انك لم تعلم مدى حاجتك الى الزواج بى ، الا بعد ان تطمئن  
على مصير اولادك من زوجتك ..

وسكنت .. سكنت دون ان ادرى اذا كانت موافقة على الزواج  
ام ليست موافقة .. وكل هذا حدث خلال شهرين عشتهما معها فى  
القاهرة ، هاربا من فرقتى .. ثم قررت ان اعود الى الفرقة لاسعى  
الى العودة الى بلدى ، حتى اقرر مصير زوجتى وأولادى ، ثم اعود  
الى حبيبتى ..

وسافرت الى غزة ..

وهناك اكتشفت ان فرقتى قد غادرت غزة ورحلت الى  
الدانمرك ..

واكتشفت اكثر من ذلك .

اكتشمت ان القيادة العسكرية ، بعد ان عجز البوليس الحربى  
عن العثور على ، اعتبرتنى مفقودا .. كأنى قتلت .. مت ..

وعندما اكتشفت القيادة انى لا زلت على قيد الحياة قبضوا  
على .. أدخلونى السجن باعتبارى جنديا هاربا ، ثم أرسلونى  
الى الدانمرك لاحكام هناك ..

وعندما وصلت الى بلدى ، عرفت ان زوجتى قد بدأت فى اتخاذ

اجراءات الطلاق باعتبارى مفقوداً ، وبدأت تطالب باسم اولادى ..  
بالمكافأة التى بصرفها الجيش للمفقودين من الجنود ..

وخاب اهل زوجتى عندما راتنى امامها .. لا زلت حيا ..  
ولكنى طمانتها ورجوتها ان تعتبرنى ميتا وساعدتها على اجراءات  
الطلاق ، وتعهدت لها بما يكفيها ، ويكفى اولادى العمر كله ..

وقدمت الى المحاكمة .. وحكم على بالسجن سنة .. انا  
الجندي الهارب ..

أتدرى ماذا قال المحامى دفاعا عنى وهو يلتبس الى البراءة  
.. قال انى وقعت اسير سحر القاهرة ، الى حد انى نسيت  
واجبى ..

المهم .. لقد قضيت العام فى السجن وأنا احاول ان أنسى  
حبيبتى .. وأنسى القاهرة .. لم أرسل لها اى خطاب خلال هذا  
العام .. ولكن .. أتدرى ماذا كنت افعل ، وأنا اظاهر بمحاولة  
النسيان ؟ كنت ادرس الدين الاسلامى !!

قرأت القرآن كله .. مترجماً .. وقرأت كل ما وصل الى يدي  
من شروح الاسلام .. وكنت احس وأنا ادرس الاسلام بانى اكتشف  
دنيا جديدة .. احسست كانى لم ابدأ حياتى بعد .. كانى اولد من  
جديد .. واحسست بقوة .. قوة الاقبال على حياة لم اعشها بعد  
.. حياة عريضة لامال كبار ..

وخرجت من السجن .. خرجت وأنا اكثر لهفة على حبيبتى ..  
اننى اريدها .. اريدها ليهدا قأبى بعد هذا القلق الطويل الذى  
عشت فيه .. اريدها لتقف بجانبى فى الدنيا الجديدة .. لتشاركنى  
آمالى الكبار ..

وأرسلت لها خطابا طويلا .. قلت لها انى مستعد ان اعترف  
الدين الاسلامى ، اذا وافقت على الزواج .. وقلت لها كل ما تريد  
فتاة ان تعرفه عن الرجل الذى تتزوجه .. عائلتى .. ووثوتى ..

وشهادتى .. ر .. و .. ثم قلت لها اننى بعد ان اعترف بالاسلام  
لن استطيع ان اعيش فى الدانمرك .. ان فى بلادى موجة من  
التعصب سنغلق فى وجهى ابواب الرزق .. ولكنى مستعد ان أترك  
بلدى واعيش معها مسلما فى اى مكان من الأرض .. وانتظرت  
ردها ..

أتدرى بماذا ردت على ؟ ..

قالت لى فى خطاب قصير : « الدين ايمان ، وليس مجرد اجراء  
من اجراءات الزواج » ! هذا كل ما قائلته لى ، وفسرته فى عدة  
سطور ..

لم تقل انها قبلت الزواج بى .. ولم تقل انها ترفض الزواج  
بى .. وجننت ..

انها دائيا هكذا .. غامضة غموض البرق .. تضع رأبها فى  
حمل فلسفية مبتورة كأنها تختبر ذكائى .. كانت تعذبنى ..

وأرسلت لها خطايا غاضبا ثائرا ، اطلبها فيه بأن تعلن رأبها  
بصراحة .. هل تريدنى زوجا ، أم لا تريدنى زوجا .. وجاء  
ردها ..

رد قصير .. اكثر صراحة ، ولكنه لا يخلو من أسلوبها  
الغامض ، وعقليتها المتفلسفة ..

قالت لى :

« ان اولادك الاربعة اولى بك منى ، واولى بك من نفسك » !!  
وفهمت انها ترفض .. وتملكنى ثورة عليها .. لكن ، لماذا  
ثورة عليها ؟

انها لم تخدعنى .. وفى كل احاديثنا الطويلة لم تقل لى مرة  
انها تحببى .. ولم تعطنى حقا تعطيه فتاة لحبيبها ..  
ربما كان كل خطئها انها تركتنى احبها ..

لا .. ليس لها ذنب .. انها فتاة رائعة .. فاضلة .. انها  
غير البنات ..

وكتبت ثورنى ، وأغلقت قلبي على حبها ..  
اتدرى ماذا فعلت بعد ذلك ؟

اعتنقت الاسلام .. اعتنقته بلا ثمن .. وبلا منفعة خاصة ..  
اعتنقته لا كاجراء شكلى ، ولكن كإيمان .. وهاجرت من بلدى ..  
أحمل اسلامى وأضرب فى الأرض .. ولكنى لن أعود الى  
القاهرة .

## بنت تكتب الخطابات

جاءنى هذا الأسبوع خطاب يحمل طابع بريد هولندية ..  
وأمسكت بالخطاب .. ونظرت الى الخط المكتوب به اسمى  
وعنوانى .. وابتسمت .. ثم القيته فى درج مكتبى دون أن  
أفتحه ..

وفى ادراج مكتبى أكثر من مائة خطاب كلها تحمل نفس طابع  
البريد .. وكلها تحمل نفس الخط .. كلها لم أفتحها ..

انى اعرف من أين تجيء هذه الخطابات ..

انها من فتاة هولندية اسمها « مونجى » .. والاسم له نطق ..  
غريب لا يحتمله الحروف العربية : وأقرب الحروف اليه هي  
« مونجى » !

وقد التقيت بها فى باريس عام ١٩٤٦ ، اى منذ خمسة عشر  
عاما .. وكنت ازور متحف اللوفر لأول مرة ، وأتف مشدوها أمام  
كل صورة وتمثال .. كانت المرة الأولى التى التقى فيها بهذه  
اللوحات والتمائيل العالمية التى عشت طويلا أسمع بها .. وكنت  
انحنى تحت كل لوحة أحاول أن اقرأ البيانات المكتوبة عنها ..  
ولكن لغتى الفرنسية كانت تخذلنى ، فلا أستطيع أن اقرأ شيئاً ..  
ووقفت أمام لوحة رائعة للرسم رمبراند .. ان لوحات  
رمبراند تأخذنى .. تأخذ كل أعصابى وتذيبها فى هذه الظلال  
الغامقة الداكنة التى اشتهر بها ..

وعرفت أن اللوحة للرسم رمبراند .. ولكنى لم أستطع أن

أقرأ اسم اللوحة .. وفتاة تقف بجانبى تتطلع الى لوحة اخرى ،  
شقراء .. شعرها يميل الى لون الفضة .. هذا اللون الذى تتميز  
به بنات الشمال .. وصغيرة .. ولها فى الثامنة عشرة من  
عمرها .. وليست جميلة .. وجهها اشبه بلوحة تنتقصها بضعة  
خطوط ، حتى تستكمل جمالها ..

التفت اليها وقلت بلهجة أمرة لم اتبعدها ، انما دفعنى اليها  
اعجابى بلوحة رمبراند :

— ما اسم هذه اللوحة يا آنسة ؟

وبسرعة اقتربت الفتاة منى ، واخذت تحدثنى عن اللوحة وعن  
رمبراند ، بلهجة انجليزية سليمة ، تكلمت كثيرا كأنها تلقى محاضرة  
حفظتها عن ظهر قلب .. واستفدت من المحاضرة التى ألقتها ..  
استفدت الى حد انى رجوتها ان تصحبنى فى الطواف ببقيّة  
معروضات المتحف .. وقبلت ..

ثم دعوتها لتناول العشاء .. فرفعت الحقيبة التى تناولها فى  
يدها أمام عينى ، وقالت :

— ان معى غدائى ..

وانتهت الى حقيبتها لأول مرة .. انها حقيبة غريبة من خيوط  
الشباك ، تستطيع ان ترى ما بداخلها .. وفى داخلها أشياء غريبة  
.. رغيف كبير من الخبز وحذاء أسود ، وكتاب ، ومعطف واى  
للمطر !

وقلت وأنا اضحك وأشير انى رغيف العيش :

— اذن .. ادعنى انت الى الغداء ..

ولم تضحك .. انها قالت بحزم :

— آسفة .. ان ما معى يكفينى وحدى !

قلت :

— اذن دعيتى اشترى غدائى .. ثم نجلس سويا .. كل هذا  
يتناول ما معه ..

وقبلت ..

وجلسنا فى مقهى صغير ، وطلبت لنفسها فنجالا من القهوة .  
أخرجت رغيف العيش من حقيبتها واخذت تقضم فيه ..

ولم يكن فى باريس فى ذلك العام — بعد انتهاء الحرب مباشرة  
السكر .. وكانت المقاهى تقدم مع فناجيل القهوة والشاي ، حبوب  
السكرين .. وكنت احب فى جيبى دائما قطعة من السكر احضرتها

من مصر .. فأخذت قطعة ، واستقطتها فى فنجالها ..  
ومرخت فى دهشة :

— سكر !

ثم أسرعت والتقطت بالمعلقة قطعة السكر التى استقطتها فى  
فنجالها ، وقالت :

— خسارة ان تذيبها مع القهوة ..

ثم رضيت قطعة السكر فى فمها ، واخذت تذيبها تحت  
لسانها ، وفى عينيها فرحة كفرحة الأطفال ، وعلى وجهها راحة  
التي التقت بحبيب كانت فى شوق اليه ..

ثم قالت وهى تنظر الى مبهورة كانى رجل عجيب :

— من اين جئت بهذا السكر ؟

قلت :

— من مصر ..

وسكنت قليلا ، ثم تقطب جبينها ، واكفهرت عيناها وقالت كأنها  
حدثت نفسها :

— انكم لم تدخلوا الحرب !

قلت : لقد شاهدناها عن قرب ..

قالت كأنها لم تسمعنى :

— لقد كنتم تاكلون السكر كل هذه السنوات ؟ !

قلت : اننا نزرع القصب ، والسكر يصنع محليا ، ولذلك لم  
تقطع عنا خلال الحرب ..

وسكنت ، وعيناها شاردتان ، وجبينها لا يزال مقطباً ، كأنها  
سرحت وراء ذكريات اليمية ..

وطال صمتها ، الى أن قلت لها فجأة :

— لماذا تحملين هذا الحذاء فى حقيبتك ؟

وابتسمت ابتسامة صغيرة ، وقالت :

— هذا حذاء للمسافات القصيرة .. وهذا — ورفعت قدمها —  
للمسافات الطويلة .

وقلت :

— فهبت .. انك فحاة مدبرة !

وهزت كتفيها وقالت بلا مبالاة :

— انى مضطرة ان اكون مدبرة ..

وعندما هممت بالانصراف ، أصرت على أن تدفع حسابها ..

ثم فنجال القهوة الذى شربته ..

وأصبحت أرى « مونجى » كل يوم .. نلتقى فى الصباح :  
ونفترق قبل أن تغيب الشمس .. وكانت قليلة الكلام عن نفسها  
كانت لا تتحدث كثيراً الا عندما تسرد معلوماتها عن معالم باريس  
ومتاحفها .. كأنها ترجمان يصحب سائحا .. وكانت معلوماتها  
غزيرة .. كانت مثقفة فعلا .. وكانت تتحدث بخمس لغات وتجيد  
قراعتها وكتابتها على الآلة الكاتبة ..

ولكنى كنت أريدها ان تتحدث عن نفسها .. كنت أريد أن  
أعرفها .. وبصعوبة قالت لى انها تركت بلدها هولندا فى طريقها  
الى سويسرا لتلتحق هناك باحدى الجامعات المتخصصة فى تخريج  
مربيات الأطفال ..

قلت فى الحاح :

— لماذا تريدان أن تكونى مربية أطفال ؟

قالت فى اختصار :

— لأنى أريد ان اكون مربية أطفال .. اليس هذا كافيا ؟

وسكنت ..

وشردت عيناها ، ثم عادت تقول فجأة بعد فترة صمت طويلة :

— ان الأطفال يتعذبون .. انهم يقتلونهم .. ما ذنب الأطفال .

وأن ذنبهم يا ربى .. لقد رايت طفلا فى شوارع امستردام تدوسه  
هياة .. وكان اخى الصغير .. و ..

وسكنت .. لم تتم حديثها .. وصحت فيها :

— ماذا عن اخيك الصغير .. ؟

قالت وهى سارحة :

— لا أريد ان اتحدث .. لا أريد ..

ولم الح عليها .. ولكنها عادت بعد قليل تتكلم ، كأنها تحادث  
الغيبا :

— كان اخى الصغير بين ذراعى ، عندما دخل الجندى النازى  
وام يكن يهمنى ما يفعله بى هذا النازى ، ولكن اخى الصغير وقع  
على الارض .. وكان يصرخ .. وكنت اصرخ فى وجه الجندى :  
اليس .. اخى .. اخى .. ولكن الجندى لم يرحم صراخى ولا  
صراخ اخى ..

والقت مونجى رأسها فوق كتفيها ، وقالت :

— ربما لا يجب ان اكون مربية أطفال .. انى سأربيهم لاراهم  
يتعذبون .. لا ادرى .. لا ..

وقطعت حديثها فجأة ، والتفت الى وهى تنفخ واقفة ،  
هائلة :

— تعال نشاهد سجن الباستيل ..

و .. وبقيت الح على « مونجى » ان تحدثنى عن نفسها ..

عن ابئها وأمها ، عن حبيبها .. عن .. عن .. كنت أريد أن أكتب  
عنيا قصة .. ولكنها كانت ترفض دائما أن تتحدث .. الى أن  
جاءت يوما والقت الى بخطاب ..

قلت :

— ما هذا ؟

قالت :

— لقد حدثت عن نفسي فى هذا الخطاب ..

فقلت فرحا :

— هل أترأه الآن ؟

قالت فى اهمال :

— اذا أردت ..

وفتحت الخطاب بأصابع ترتعش بلهفتى .. وحاولت أن

أقرأ ..

مستحيل .. انه مكتوب باللغة الانجليزية .. انى أستطيع أن  
أعرف ذلك من بضع كلمات .. ولكن الخط .. انه خط شنيع لا يقرأ  
.. مستحيل أن تقرأه .

وقلت لها :

— انى لا أستطيع أن أقرأ خطك ..

قالت فى اهمال :

— لا يهم ..

قلت كئيبى أمرخ :

— كيف لا يهم .. انك كتبت لى .. فعلى الأقل يجب أن تبيئنى  
على قراءته .

فقالت :

— لا .. لم أكتب لك .. كتبت لى .. لقد كتبت متضايقة

أولاً أمس ، فخطبت أكتب هذا الخطاب .. كئيبى أهدت نفسى  
وأسترحت بعد أن كتبت .. أسترحت كثيرا ..

قلت :

— ولكنى لست نفسك ! ؟

قالت :

— انى أرتاح اليك كما أرتاح الى نفسى .. أتدرى لماذا ؟  
لأنك عريب .. وقد اكتشفت أن الغرباء اقرب الى من الأقرباء ..  
انك عندما تتحدث الى غريب فكأنك تتحدث الى نفسك ..  
وعبئنا حاولت أن أقتنصها بأن تقرأ لى خطابها ، أو تعيننى على  
قراءته ..

وسافرت « مونجى » بعد ذلك الى سويسرا .. وجاءنى منها  
خطاب .. نفس الخط الذى لا يقرأ .. وكانت أحيانا تكتب لى  
خطابا كل اسبوع .. وأحيانا كل يوم .. وأحيانا يصلنى منها  
الألثة خطابات فى اليوم الواحد .. وكلها ، لا أستطيع أن أقرأها .  
ولكنى كنت أهكم على حائتها النفسية والعصبية من عدد  
خطاباتها ، وعدد صفحات كل خطاب اذا زاد عدد الخطابات وعدد  
الصفحات ، فمعنى ذلك انها فى حالة نفسية سيئة ، وفى حاجة  
الى أن تكتب لى ، تكتب الى نفسها .. لتستريح ..

\*\*\*

وعدت الى القاهرة ، وكتبت عن « مونجى » قصة خيالية نشرت  
فى مجموعة قصص « بائع الحب » .

ولم تنقطع خطاباتها عنى .. ودرت بهذه الخطابات على كثير  
من الأصدقاء ، لعل منهم من يستطيع قراءتها .. ولكن دون  
هدوى ..

وارسلت اليها أرجوها واتوسل اليها أن تكتب بخط واضح ،



أو تكتب على الآلة الكاتبة .. ولكن بلا جدوى .. خطاب واحد وصلنى منها عام ١٩٤٧ وفيه بضعة سطور مكتوبة بالآلة الكاتبة .. فقد قرأت فى الصحف أن وباء الكوليرا منتشر فى مصر ، وتريد أن تظلمن الى انى لم اصب بها ، وانى ما زلت حيا .. واجبتنا .. طمأنتها على نفسى ، وعدت اتوسل اليها أن تكتب لى خطابات تستطيع أن اقراها .. ولكن .. لا أمل ..

وقد مرت خمسة عشر عاما ، ولا اعرف عن « مونجى » شيئا ولكن خطاباتنا لا تزال تصلنى .. دون أن اقراها .. دون أن افتحها .. أو ارد عليها ..

ولكنى واثق انها سعيدة مرتاحة النفس ، هادئة الأعصاب ، لأن خطاباتنا أصبحت قليلة .. متباعدة ...

## بنت تحب أمها

عدت من الخارج لاجد فى انتظارى كومة كبيرة من الخطابات اخذت اقلب فيها دون أن افتحها .. انى — من كثرة تجاربى — استطيع أن اخمن ما يحمله كل خطاب .. هذا الخطاب يضم قصة يطلب صاحبها نشرها .. وهذا الخطاب يحمل تعليقا سياسيا ، وهذا يحمل مشكلة عاطفية .. وهذا يحمل شكوى عمالية .. و .. وكان بينها خطاب لونه نى لون الورد .. احمر باهت .. وكان قد مضى على سنين طويلة لم ار خطابات بهذا اللون .. منذ كنت اسكن فى حى العباسية ، وكانت لالوان الخطابات معان خاصة ..

واحسست أن الخطاب مرسل من العباسية فعلا .. ولكن صاحبه لا يقصد من اختيار لونه أى معنى ، انما يبدو انه وجد الظرف فى أحد ادراجة صدفه .. فالظرف يبدو قديما .. الورق عليه بقع من الصدا .. وعندما فتحته .. وجدت أن الخطاب مكتوب على ورق كراسه من كراسات الطلبة ..

وجرت عيناي الى الامضاء قبل أن ابدا فى قراءة الخطاب .. هدى .. « وبغية الاسم احتفظ به » ..

اننى اعرف هدى .. اعرفها منذ كنا نسكن معا فى حى العباسية ..

كانت أيامها فى العاشرة من عمرها .. وكنا نسمى بيتهم :

بيد البنات .. فلم يكن في البيت كله رجل .. كان الأب قد توفي ..  
.. وكهن أربع أخوات بنات ترعاهن أمهن .. وكانت هدى أصغر  
أخواتها وأجملهن .. ولكنها كانت منطوية .. كانت لا تشارك  
الأولاد في اللعب ..

إنها دائماً بجانب أمها .. ترى ماذا جرى لهدى .. ؟

وقرات الخطاب ..

عزيزي احسان ..

اسمح لي أن أصبح بعض وقتك في قراءة هذا الخطاب .. فإله  
وحده يعلم ما كان يمكن أن يحدث لي لو لم أكتب لك .. اني احترق  
.. كل يوم يمر بي ؛ أهرق فيه .. ولعلك تشم رائحة الدخان في  
مطوري .. انه دخان روحي .. دخان أعصابي .. ولعلك تسيبتي  
.. أنا هدى ..

هل تذكر هدى ؟ وشارع الجنزوري ..

لو تذكرت ، فملكك تذكر أننا كنا أربع بنات نعيش مع أمنا ..  
اليس معنا رجل .. لا أب ، ولا أخ .. ولذلك فقد نشأت وأنا أحب  
كل الرجال .. الصبيان ، والشبان ، والطلبة ، والعمال ، والوزراء  
.. و .. و .. كل الرجال .. إذا رايت أمّا تمنيته أمّا لي ..  
وإذا رايت أبا تمنيته أبا لي .. وإذا رايت زوجا تمنيته زوجا لي  
.. وإذا رايت رجلا تمنيته لنفسى حتى ولو لم يكن زوجا !

ولكن هذا الحب ظل منطويا في أعماقي ، لا أفضح عنه .. ولا  
أعبر عنه .. ولا يبدو في أي تصرف من تصرفاتي .. كان سرا  
الكتمة حتى عن أمي ..

هل نذكر أمي ؟ .. لقد كانت تدلّني وتجنّبني أكثر من بقية  
أخواتي .. ولكنه تدليل من نوع خاص .. تدليل يوضح بالاثانية  
والقسوة .. والإرهاب .. لقد كانت تخص أخواتي الثلاث بارهابها

وقسرتها .. أما أنا فكانت تكتفي مني بالخوف .. الخوف من أن  
يسببني منها ما يصيب أخواتي ..

وكنت أحبها .. ما زلت أحبها .. واجتمع الحب والخوف  
معلوياتي تحت شخصيتها .. أصبحت أسيرة لها .. عبدة ..

وكان أخواتي يتحدّين أمي .. كانت أحدها تحب ابن الجيران  
والأخت الثانية أحبت هي الأخرى ، ودام حبها ست سنوات ، ثم  
انتقلت إلى حب آخر .. وكنت أعلم أن الأختين تتحايلان للخروج  
ولقاء الحب .. بل إن أحدها استغلت مرة ثقة أمي بي ، وخرجت  
معي ، وإذا بي أفاجا بها تأخذني للقاء حبيبها .. وكنت أنور ..  
كأني .. كنت أحتقر هذه العلاقات لأن أمي تحتقرها .. ولأنني  
لا أريد أن تفقد ثقتها بي .. ولكنني كنت في قرارة نفسي أتلهل  
.. كنت أتمنى أن أتحرر من هذه الثقة التي تضعها في أمي .. أريد  
أن أذهب أنا الأخرى وأبحث عن حبيب .. ولكنني لم أستطع ..

الحب والخوف يطوياني تحت جناح أمي .. واستغلت أمي  
هذا الانطواء .. و .. قومي يا هدى اعلمي الشيء الغلاني ،  
وروحي يا هدى .. تعالى يا هدى .. و .. و .. وكنت أحيانا أهم  
بالثورة وأقول لها :

— اسمعني أنا ؟ .. ما تشتغل أختي شويه .. !

وتقول أمي :

— لا .. ما حدثش لي إلا أنتي .. أنتي الكويسة .. أنتي  
الغالحة .. ربنا يخليكي لي ..

ويضعف قلبي أمام هذا الشفاء اللثيم ، وأهضج لأمي ..  
وأطلقت كبتني في استذكار دروسى .. فكانت الأولى دائما ..  
وحصلت على مجانية التوفيق .. وأردت أن أستمّر في الدراسة حتى

التحق بالجامعة .. ولكن امي اصرت على ان التحق بالتعليم  
الفنى ..

وحاولت ان اعارض .. فلم استطع .. ودخلت التعليم الفنى  
والثورة فى قلبى تشدد .. ولا ادرى كيف اطلقها ، ولا اين اطلقها ،  
فأطلقتها فى رجه مدرسة الفرنساوى .. لا ادرى لماذا ؟ ولكنى كنت  
ارتاح عندما اثور عليها .. وعندما اتعارض حتى لا احضر دروسها  
.. كانت ثورتى على مدرسة الفرنساوى ، تعبيرا عن ثورتى  
على امي ..  
وكنت اغنى ..

كنت اتضى الساعات استمع الى ام كلثوم ، واغنى اغانيها ..  
ولكن ليس امام امي .. لا استطيع .. ان صوتى ينحبس اذا  
غاجتني اغنى .. بل انها طلبت منى مرة ان اغنى لها .. فرفضت  
.. خفت ان تخرج منى « آهة » ارق من اللازم ، تفصح عما فى  
نفسى .. فافقد ثقة امي ..  
وتخرجت ..

واردت ان اشتغل .. ولكن مستحيل .. امي ترفض ..  
بيكىت .. وتوسلت .. وفكرت فى الهرب .. ولكن امي ترفض ..  
وجلست عابا باكله فى البيت .. ثم غيرت امي رأيها .. لا ادرى  
لماذا .. ربما اشفتت على .. وسمحت لى بالاستغفال ..

ولم اكن استطيع ان احصل الا على وظيفة مدرسة فى احدى  
مدارس الاقاليم .. ولكن ، لا .. امي ترفض ان اسافر الى الاقاليم  
.. فاضطرت ان اشتغل فى احدى المدارس الحرة بالقاهرة ..  
و .. من البيت للمدرسة .. ومن المدرسة للبيت ..

والرجال ؟ .. الرجال الذين احبهم ! ؟  
لقد كان يخيل الى انى يجب ان اختار بين الرجال ، وبين  
الاحتفاظ بثقة امي .. واخترت .. ثقة امي !!

وانا الآن فى الثانية والثلاثين من عمري ، وليس لى رجل ..  
اخواتى الثلاث تزوجن ، وكل منهن لها بيت واولاد .. لانهم لم  
يحاولن يوما الاحتفاظ بثقة امي .. وانا .. انا وحدى بجانب  
امى ، محتفظة بثقتها !!

هل احكى لك عن الرجال فى حياتى ..  
عندما كنت فى السادسة عشرة من عمري .. كان يتردد علينا  
فى فترات بعيدة .. قريب لنا .. كان يكبرنى بأكثر من اثنى عشر  
عاما .. ولم يكن جميلا .. ليس فيه ما يعجب بنتا فى مثل عمري  
.. ورغم ذلك احببته .. واقمت له فى قلبى تمثالا اعيده واصلى  
له .. ربما لانه كان مجرد رجن .. وربما لانه كان ذكيا ، حلو  
الحديث ، وكان يبدى اهتماما كبيرا بى ..

واخفيت هذا الحب الكبير فى قلبى .. لم يحس به احد حتى  
ولا هو .. كنت الاحظ فى تودده معانى تخربش قلبى ، ولكنى لم  
اكن اجيب على معانيه .. كنت اخاف .. اخاف ان افقد ثقة امي ..  
وفجأة تحطم التمثال .. تزوج الرجل ..

وبيكىت وحدى .. لم ير احد دموعى .. لا اخواتى ، ولا امي ..  
ورجل آخر ..

قريب لزوج اختى .. كنت اللقاء عندما ازورها .. وكان مرحبا  
نحوكا .. ركان لا يخفى اعجابه بى .. واحببته واخفيت حبي ..  
اخفيه حتى عنه .. خوفا من ان تعلم امي ، فتمنعه عن زيارتنا ..  
وتمنعنى من رياره اختى .. وكنت اسمع كلمات اعجابه واخفظها  
فى ظهر قلب ، ولفنات عينيه .. ولكنى لا التقى معه فى نظرة ..  
ولا اشركه معى فى ابتسامه تخصنا وحدنا ، لا .. يجب ان احفظ  
ثقة امي .. وفجأة اختفى .. نقل الى بلد آخر ..

وبيكىت .. لقد كنت انتظره ليتقدم الى ويخطبنى .. ولكنه  
ساع .. وبقيت ثقة امي بى ..

وأعود إلى البيت .. وأدخّل حجرتي ، وأغلق بابها ورائي ..  
وأبكي !

والآن .. انى فى الثانية والثلاثين وليس لى رجل !  
انى كعمود الصطب الجاف .. ولكن نفسى لا تزال شابة ..  
ما زلت احن الى الحب .. حب الأولاد .. وحب الأزواج .. وحب  
الآباء .. وحب كل شىء ..

لقد تزوجت .. بكل ما فى الزواج من معان كثيرة ، وأفعال  
كبيرة ، ولكن فى الحلم .. لقد أحببت .. وزلت قدمى .. ولكن  
فى الحلم .. لقد ركبت سيارات الكاديلاك .. ورقصت التانجو ..  
وسرت مع حبيبى على شاطئ النيل .. فى الحلم .. انى سيده  
فى الحلم .. وأنسة فى الحقيقة .. !  
وانا اتعذب .. اتعذب بحرمانى .. وبثقة امى ..

وبعد أن اشتغلت بالتدريس .. دخل حياتى رجلان .. زميلان  
.. أحدهما ثقيل ، لحوح .. يتمنى ولو مجرد ابتسامة او حتى  
« سلام صباحى » .. ولم احبه .. ولكنه رجل .. وكفى انه رجل .  
ورغم ذلك لم أرد على الحاحه .. ولم أمنحه « السلام الصباحى » .  
انى لا أستطيع ان اضحى بثقة امى من اجله ..

والثانى ، رائع .. انه بسيط ، ظريف ، يضحك ويلقى بالنكات  
التي نضحك لها .. وكلها نكات مهذبة .. واحببته .. احببته  
بليلى ونهارى .. ولكنه جرىء .. جرىء جدا .. واخافتنى  
جرأته .. لم تخفى منه .. اخافتنى من امى .. صدقنى كنت كليا  
لمست تودده الجريء لى ، خفت من امى ، فاصبحت اتعبد اهيماله  
.. وصده .. حتى يئس منى .. وانصرف عنى .. وبقيت لى ثقة  
بامى ! ..

هؤلاء هم كل الرجال فى حياتى ..

ولم أستطع أن اتحرر من « ثقة امى » لأذهب الى واحد منهم ..  
بل انى لم أستطع أن اتحرر من ثقة امى الاذهب الى السينما ..  
صدقنى .. لقد طلبت منها مرة ان تسمح لى بالذهاب الى السينما  
مع زميلاتى ، فرفضت .. وشعرت يوما بالقدرة على الثورة ..  
غثرت .. وخرجت من البيت رغم ارادتها .. ولكنى لم اكذ ابعد  
خطوات حتى بدأ حبى لها وخوفى منها ، يظلبانى .. ورغم ذلك  
استمررت فى طريقي الى السينما ، وخطوة تشدنى ، وخطوة  
تدفعنى .. والتقيت بزميلاتى ودهشت عندما لحت وجوههن صافية  
ليس عليها اثر من المعركة التى تدور فى نفسى .

ان الذهاب الى السينما ليس شيئا بالنسبة لهن .. ولكنه شىء  
كبير جدا بالنسبة لى ، ويجب ان يكون كذلك بالنسبة لهن ايضا ..  
واحدسست كائى اثمهم كل زميلاتى بالفجور لأنهن يذهبن الى السينما  
.. ومفاجأة وجدت نفسى اعتذر لهن ثم ابعد .. ابعد عن السينما

وجه امرأة تير امامها صدفة ، فتطلق الرصاصة .. ويخسر  
أحد أبناء البلدة ثلاثة قروش !

واخذنى زملائى الى الحاج خليفة البقال ، لاستأجر منه شقة  
الهم فيها ..

والحاج خليفة رجل منتفخ .. كل شىء فيه منتفخ .. وجفناه  
.. بيناه .. شفتاه .. أصابع يديه .. وكرشه الذى ينسدل عليه  
هاداب ملوث ببقع الزيت .. وحتى عمامته التى تميزه عن أهالى  
بلدته الذين ليسوا بقالين ، تبدو منتفخة . وكان الحاج خليفة يملك  
بدا فى حارة ضيقة يقيم فيه ، ويقع فيه دكانه .. ويملك فى  
مواجهته بيتا آخر .. من الطين النيبى ، مطليا بالجير ، بيت  
صغير . حقير ، مكون من فناء صغير مترب ، تقع فوفه غرفتان ..  
واستأجرت هذا البيت الحقير ، بثلاثة جنيهات فى الشهر ..  
ومرحت به لأنه « بيت من بابة » . لا يشاركنى فيه أحد !

ومرت الأيام .. والوحدة تزداد ضغطا على أنفاسى ..  
وشبابى المحروم يزدحم فى صدرى ، ويشعل اعصابى .. وأنا  
حائف ..

أسير فى الشارع مطاطىء الرس حتى لا تلتقى عيناى —  
مسدفة — بوجه امرأة .. وافتح النافذة لأنتفخس هواء الصعيد ..  
هراء النار .. ثم لا أكاد أرى نافذة أخرى مفتوحة فى البيوت  
المواجهة حتى أغلق نافذتى .. وكفى الله المؤمنين شر البصيصة !

ثم .. ذات مساء .. عند الغروب .. كنت راقدًا فى فراشى  
أرفع أنفاسى المختنقة .. وسمعت صوت الماء ينهمر من الحنفية التى  
بمع فى الفناء الصغير ..

من يا ترى يأخذ الماء من حنفية بيتى ؟

وترددت قليلا ..

## موظف فى الصعيد

كنت موظفًا فى طنطا ..

والحياة فى طنطا ليست عسيرة على موظف أعزب فى الثلاثين  
من عمره .. الحياة هناك واسعة فيها كل ما يرضى شبابى وما  
يخفف من زحذتى .. وكل رجل بلا امرأة ، وحيد !!

وفجأة .. نقلت الى الصعيد .. ولن أصرح باسم البلدة التى  
نقلت إليها ، حتى أكون أكثر صراحة فى سرد قصتى .. وقد جزعت  
عندما بلغنى أمر النقل ..

جزعت على شبابى ، وجزعت من وحدتى ..

هناك — فى الصعيد — كل الأبواب مغلقة فى وجه موظف أعزب  
مثلى فى الثلاثين من عمره .. وخلف كل باب فوهة بندقية .. وفى  
البندقية رصاصة ثمنها ثلاثة قروش .. تنطلق دفاعا عن الشرف  
الرفيع . وأشرف بعدها بنشر اسمى على صفحات الصحف فى  
أعمدة الوفيات ..

مجرد أسماء .. بلا شباب .. بلا امرأة ..

بلا شىء من نعم الحياة الواسعة !!

وحملت حقيبتى وذهبت الى الصعيد .. والدموع فى عيني ..  
والخوف يقتلع قلبى ..

وسرت فى شوارع البلدة وأنا مطاطىء الرأس .. مسدلا  
الجفون .. أنظر الى قدمى .. أخاف أن أرفع عيني ، حتى لا تلتقيا

ثم قمت من الفراش ، وخرجت من الغرفة وانحنيت فوق حاجز السلم اطل على الفناء .. وكان صوت انهيار الماء من الحنفية قد سكت .

ولحيت ذيل ثوب نسائي يخرج من باب البيت .

«انها امرأة .. امرأة فى بيتى ..

بعد هذا العمر الطويل .. تدخل امرأة بيتى .. ثم لا اراها !!

كان كل ما اريده ان اراها ..

ارى اى امرأة !

ومصمت شفتى حسرة على شبابى المحروم .. شبابى الذى تواضع الى حد ان اصبحت كل احلامه تنحصر فى مجرد رؤية وجه امرأة !

وعدت الى غرفتى كسيرا وانا افكر : من تكون ؟

لعلها ابنة احد الجيران جاءت تملأ زلفتها .. لعلها زوجة .. لعلها خادمة .. لعلها عجوز .. لعلها صغيرة ..

ونمت والاهام تملأ راسى ، ومئات الوجوه تقفز امام هيبى .. وجوه نساء من مختلف الاشكال والاحجام والاعمار .. كلهن صعيديات .. ويتفزز بينهن وجه مارلين مونرو ، ووجه شيرلى ماكلين ، ووجه شادية ..

وبعد يومين ، وفى نفس الموعد ، سمعت صوت الماء ينهر مرة اخرى من الحنفية .. وخفت ..

صدقونى ، لقد خفت .. خفت من اوهامى ..

خيل الى انى لو حاولت ان اطل على الفتاة مرة اخرى .. فستطلق رصاصة تفرق عيني ..

وتجمدت فى غرفتى .. وكلى اذان تلتقط صوت انهيار الماء من الحنفية ، كأنها تلتقط همسات امرأة ..

وعندما سكت صوت انهيار الماء ، نظرت من خلف ضلفة فانذتى .. لطفى اراها .. ولكنى لم ار شيئا .. سوى الحارة المسيقة الساكنة التى تتداعى بيوتها بعضها فوق بعض ، كان كلا منها يبكى على كتف الآخر ..

وزفرت فى حدة .. فبدأت اعد لنفسى طعام العشاء .. لم اكن جائعا .. انى لم اجع ابدا فى هذه البلدة .. معدتى منتبضة كتلابى .. ولكنى فقط اريد ان افعل شيئا .. وقد عملت لنفسى اربع بيضات .. بالزبد والبسطرمة .. انى احب البسطرمة !

وبعد ان تناولت المشاء ، وقفت امام الصحن التى اكلت فيها ، اتساءل : هل اغسلها ؟ لا .. ساتركها للصباح !

كنت ثقيلًا بعد ان حشوت معدتى بالبيض والبسطرمة .. واريد ان استرخى ! وفى الصباح عدت اتساءل : هل اغسل الصحن ؟

لا .. دعها الى ان تعود من عمالك !

ان اشد ما اكرهه ، بعد زميلى عباس افندى ، هو غسل الصحن ! ..

وزهدت الى عملى .. وعدت مطاطء الراس مسدل الجفون .

ودخلت بيتى .. دخلت المطبخ .. وطلقت فى دهشة .. ان الصحن مفسولة .. تضوى كالرآة .. ومرصوفة فى نظام !!

وكدت اصرخ .. من غسلها ؟ ومن دخل بيتى فى غيبتى ؟

وخرجت الى غرفة نومى .. مش معقول .. ان فراشى مرتب ، منظم ، وهو لم يكن مرتبا ولا منظما ابدا .. وبدأ راسى يدور ..

هل اكون انا الذى غسلت الصحن ، ورتبت الفراش .. ثم نسيت ؟ ..

ستحيل .. لابد ان هذا البيت « مسكون » !

انها « جنية » .. او عفريتة .. ولكن .. لعلها امرأة .. مش  
معتول !!

« امرأة فى الصعيد ، تدخل بيت موظف اعزب وتغسل له  
صحنونه ، وترتب فراشه .. هذا لا يمكن ..

ثم انى اغلق البيت بالمفتاح قبل ان اذهب الى عملى ، فمن اين  
تأتى المرأة — أى امرأة — بالمفتاح ؟

لا يمكن ان تكون امرأة .. انها جنية .. قطعاً ..

ودرت كالجنون ابحث فى ارجاء البيت عن آثار هذه « الجنية »  
تحت الفراش .. وفوق الدولاب .. وفى جيوب ثيابى ..

ولم اخرج يوماً من البيت .. جمدت فيه .. وأنا انتظر فى  
كل لحظة ، ان ينشق الحائط وتبرز لى منه الجنية .. ببيض فى  
رداء ابيض .. وشعرها اسود طويل .. يصل الى ركبتيها ..  
ولكن .. لم ينشق الحائط ..

وقمت اعد عشاءى .. استعملت كل الاوانى التى املكها ..  
ثم تركتها دون ان اغسلها .. وحاولت ان انام .. ولم اتم ..

فى كل دقيقة افتح عيني وابحث فى الحائط لعله ينشق ..  
ثم انظر الى السقف لعل الجنية تهبط منه ! ..

حاولت نفسى كثيراً حتى انام ، فقد كان يخيلى الى ، انى  
نمت ، فستأتى الجنية وتنام بين ذراعى .. وتتم جميلها ..

ولكنى لم اتم .. ولم تأت الجنية .. ولم تتم جميلها ..

وذهبت الى عملى محطماً من الأرق ، والحيرة .. حيرة تكاد  
تصل بى الى الجنون .. ولم استطع ان اروى لزملائى ما حدث  
لى .. ماذا اتقول لهم .. انى لا استطيع ان اتقول لهم ان « جنية »

راينى .. ولا استطيع ان اتقول ان امرأة زارتنى ! وانتظرت موعد  
انتهاء عملى فى قلق ..

كأنى عملى لم يودع .. موعد نسائى !

وساعة الانصراف كدت احرى الى البيت .. ودخلت ..  
وصعدت ..

الاوانى كلها مغسولة .. نامع .. والبيت كله مكتوس ..  
وغراشى مرتب منظم !

وكدت ابكى من الغيظ .. لا يمكن ان تفعل هذا الا امرأة ..

اريد ان اراها .. حتى ولو كانت جنية .. والجئون يضع فى  
راسى ..

واستمر هذا الجنون اسبوعاً .. ربما أكثر .. وأنا لا اخرج  
من البيت لأجلس مع زملائى فى مقهى المحطة .. ولا اسير

بعاداتى على شاطئ النيل .. انى منجمد فى بيتى انتظر ان ينشق  
الحائط لتخرج لى الجنية ..

ثم .. كنت قد عدت من عملى .. وبدأت اطوف بالبيت اتلمس  
آثار اليد الرقيقة التى تغسل الصحون وترتب البيت .. واذا بى

اسمع طرقة خفيفة على الباب .. والنفت فى حدة .. شعرت انها  
جاءت .. الجنية جاءت .. أو المرأة ..

وقلت فى صوت مرتعش :

— مين ؟

وسمعت خلف الباب صوتاً خفيفاً يهمس كأنه يتنهد :

— أنا ..

وفتحت الباب فى لهفة كأنى سألتنى بوجه اعرفه منذ زمن  
طويل .. وجه اعرفه جيداً .. وجه يغسل لى الصحون ، ويرتب

لى فراشى ..

ورائتها .. وقد رفعت طرف شالها وغطت به شفتيها وانفها ،

تركنتى سرىما .. تركنتى وهى تملأ كل رأسى وكل اعصابى .  
وتناديت فى احلامى .. احسست كائى لم اعد وحيدا .. ولا  
بحروما .. ثم فجأة شعرت بالخوف .. خوف كبير .. وفوهة  
البندقية تطل على .. ان الحاج خليفة لن يتردد لحظة واحدة فى  
اطلاق الرصاص .. لن يبخل بثلاثة قروش ثمنا لشرفه ..

هل تستحق فكيفة كل هذه المجازفة .. هل تستحق حياتى ..  
ولكنى لم اكن اعيش قبل ان تطرق فكيفة الباب .. لم تكن لى  
حياة .. انى لن اجازف بحياتى .. ولكنى سأجازف بلا شيء ..  
وجاءت فكيفة فى اليوم التالى ..

ووقفت عند الباب .. لم تدخل ..

ولم تدخل فى اليوم الثالث .. ولا الرابع .. ولا الخامس ..  
فقط تقف على باب غرفتى .. وتحدث .. وطرف الشمال ينزاح  
عن انفا وشفتيها .. وينزاح اكثر حتى ارى ذنتها وعنقها .. انها  
بيضاء ! ..

وفى صباح يوم الجمعة .. قررت الا اخرج من البيت ، فى  
انتظار فكيفة .. نتحدث .. وسمعت الباب الخارجى يفتح :

وقفرت للاستقبال فكيفة ..

و .. وانطلق صوت الحاج خليفة من اسفل السلم يصيح :

— يا سى كمال افندى ..

انها ليست فكيفة .. انه زوج فكيفة ..

وارتعدت .. لقد جاء ليقنلنى .. لابد ان البندقية فى يده .  
ولكنه يجب ان يعلم انى لم اعد على شرفه .. لابد ان يعلم انى  
لا استحق القتل .. لابد ان ادافع عن نفسى ..  
وعاد الحاج خليفة يصيح :

— يا سى كمال افندى .. انت لسه نايم والا ايه ؟

وقلت بصوت يرتعش :

ولم يعد يبنو منها سوى عينين .. عينين كبيرتين .. سوادهما  
عميق .. مثير ..

وارخت جفنيها كأنها تحمى من سحر عينيها ، وقالت فى  
صوت يتهدد :

— العواف يا سى كمال افندى ..

قلت واللهمفة تقتلع قلبى :

— اتفضلى .. اتفضلى ..

قالت ، وهى تضم شالها اكثر فوق انفا وشفتيها :

— مش عايز حاجه يا سى كمال ؟

قلت ، وكائى لم اعد اطلق .

— انت مين ؟

ونظرت الى كأنها تلومنى ، وقالت :

— انا مرات الحاج خليفة صاحب البيت .

وابتسمت فى راحة .. وعدت انظر اليها ..

انها صغيرة .. حلوة .. قوامها مثير .. كعينها .. كيف

يحتمل كل هذا الجمال رجلا كالحاج خليفة ..

واستطردت قائلة :

— اصلك صعبت على يا سى كمال .. عايش لوجدك لا حد

بيخدك ولا يشونك . كنت باخد المفتاح اللى عندنا وأجى انصف

لك البيت . الجيران لبعضهم يا سى كمال ..

قلت :

— هو انتى ؟

قالت :

— ما انت ما بتاخدش بالك يا سى كمال .. عمرك ما تبص

لحد !

و .. ولم يطل حديثنا ..



وعشت فى الصعيد سنتين .. ولم اعد وحيدا ولم اعد محروما .. فكيهه معى ..

نغسل لى الصحون ، ونغسل ثيابى ، وترتب فراشى ، بعد ان اخرج الى عملى .. ثم تزورنى فى الاسبوع مرتين .. كل يوم مسيت .. وكل يوم ثلاثاء .. فانا رجل منظم ، خصوصا فى هذه المسائل !

ثم نقلت فجأة الى الاسكندرية ..

وفرحت بالنقل .. ان الحياة هناك اوسع ..

ولم تحزن فكيهه عندما سمعت خبر نقلى .. لم تبك .. ولم تفرح .. بل جاءت تساعدنى فى ترتيب حقائبى دون ان يبدو عليها اى تاثر .. كأنها ستنقل معى .. او كأنى كنت مجرد مهمة ، وانتهت ..

وتركت بعض منقولات بيتى لدى الحاج خليفة ، لانى لم استطع ان اشحنها فى القطار ، ثم سافرت ..

ونسيت فكيهه قبل ان يصل بى القطار الى الاسكندرية .. وانغمرت فى الحياة الجديدة .. عام كامل وأنا اعيش فى الدنيا الواسعة ..

ثم .. اختلفت مع رئيسى ..

وتقرر نقلى مرة ثانية الى نفس البلدة التى كنت فيها .. فى الصعيد ! ..

\*\*\*

وما كاد القطار يقادر محطة الاسكندرية حتى تذكرت فكيهه .. وبمجرد وصولى الى البلدة ، جريت الى بيت الحاج خليفة .. لم يكن فى دكانه .. وطرقت باب البيت فى لهفة .. وفتحت لى .. فكيهه ! ..

— ايوه يا حاج .. اتفضل !

وخطوت على اطراف اصابعى لاطل عليه .. كنت اريد ان اتأكد من انه جاء بحمل البنديقية .. لاهرب ..

انى استطيع ان اتقف من الشباك على الاقل ..

ولكن الحاج خليفة لم يكن يحمل البنديقية .. وهو يبتسم .. واخذ يصعد السلم فى خطوات هادئة .. ثم صافحنى فى حرارة .. ودخل الى الغرفة ووضع جسمه المنفوخ فوق الأريكة ، واخذ يتكلم .. لا يتوقف عن الكلام .. ثم قال :

— ما تقوم بينا نصلى الجمعة ..

ولم تكن من عادتى ان اضلى الجمعة ولا الأحد .. ولكنى اجبت :

— بس لما اتوضأ يا حاج !

ودخلت الى الحمام وأنا انوى الوضوء فعلا ، وانوى الصلاة ، لاكسب ثقة الله .. وثقة الحاج خليفة ..

واستمر الحاج يحدثنى وأنا اتوضأ :

— والله يا سى كمال انت رجل طيب وابن حلال وفى حالك .. ده حتى النسوان بتوع الحاره كلهم بيقولوا عليك انك مؤدب وما بتفرعش عينك لا كده ولا كده ..

وابتسمت .. آه لو علم ماذا كنت افعل فى طنطا .. وماتدا كانت تفعل عيناي .. ولكن لاند ان فكيهه هى التى اتنعتت بانى مؤدب ..

وابتسمت .. حتى نساء الصعيد — وليس نساء طنطا فحسب — يستطعن ان يقنعن ازواجهن ، بانى مؤدب !!

وصليت مع الحاج .. وفى المساء .. ساعة الغروب جاءت فكيهه ..

وفى هذه المرة .. دخلت !!

\*\*\*

ولكن فكيفة تنظر الى بعينين جامدتين كأنها لا تعرفنى ..  
وقلت وأنا اهد لها يدى :

— ازيك يا فكيفة ؟ ..

وردت فى برود وهى ترفض أن تمد لى يدها ، وتضغط بطرفه  
الشال فوق أنفها وشفتيها :

— الله يسلمك ..

إنها لم تقل « الحمد لله على السلامة » ، وعدت أقول لها فى  
دهشة :

— أنت مش فإكرانى .. أنا كمال ؟

قالت فى صوت جامد :

— فإكراك ..

وصحت :

— جرى إيه يا فكيفة .. ده أنا رجعت مخصوص علشانك ..  
فضلت أسعى لما رجعونى لك !

قالت وهى تتأخر خطوة :

— عايز إيه يا أفندى ؟

قلت :

— عايزك ..

وسكتت قليلا ، ثم قالت :

— اسمع يا سى كمال .. اللى فات راح لحاله .. احنا كده ..

الللى يروح ما يرجعش !

وأحسست كأنها سكبت فوق رأسى زلعة ماء بارد ، وقلت :

— طيب عايز الأجر البيت !

قالت :

— لا .. ما بناجروش ..

قلت :

— هو مش فاضى ؟

قالت :

— فاضى .. بس ما بناجروش !!

ثم أغلقت الباب فى وجهى ..

\*\*\*

وخرجت وأنا أتعثر فى دهشتى .. ماذا حدث .. هل ندمت

فكيفة على ما كان بيننا وقررت الأ تعود الى .. هل أثرت شفقتها

فى المرة السابقة ، فقدمت لى نفسها ، لتتقضى من وحدتى

وحرمانى ، ثم اعتبرت أنها أدت لى الكفاية ، ولم يعد من حتى

المزيد .. أم أنها جاءت الى تحت ضغط « عقدة الأفندى والجلباب »

اللى يتحدث عنها كثيرا مجتمع موظفى الأرياف .. فنحن الموظفين

نعتمد أن « البدلة » تيهز نساء الريف ، وتجذبهن .. تماما كما

نجذب السيارة الكاديلاك بنات القاهرة .. إنها تريد أن تجرب

« البدلة » بعد أن عرفت الجلبيب طويلا ..

ربما كان هذا هو السبب ! ..

وجربت فكيفة البدلة .. وانتهت وحلت عقدتها !!

ولكننى لن أسكت .. انى فى حاجة اليها ..

وذهبت فى اليوم التالى الى الحاج خليفة ، ودهشت أكثر

عندما استقبلنى ببرود ، وهو ينظر الى بعينين حادتين ينطلق منهما

الشر .. وبلعت بروده وشره وقلت له انى أريد أن أستاجر البيت

.. وصاح الحاج فى وجهى فجأة :

— وهو اللى عايز يأجر بيت يروح عند النسوان .. انفضس

يا أفندى ..

قلت :

— يا حاج ما يصحش .. و ..

وقاطعنى الحاج :  
— اقصر الشر يا أفندى وانتفضل .. وحتتين العنثى بتوعك  
اللى عندى حابعتهم لك على المصلحة ..  
قلت :

— بس أفهنى يا حاج .. و ..  
وقاطعنى صارخا وهو يرفع سكينه فى وجهى :  
— يا اقول لك انجر من هنا .. ما تتكلمش .. والله لو شفتك  
فى الحارة تانى لأجز رقبتك ..

\*\*\*

وجريت .. وأنا ادعو على فكيفة .. عملتها فكيفة .. واقنعت  
زوجها انى لست مؤدبا !! وظللت أجرى ..  
أجرى الى وحدتى وجرمانى .. والخوف .. الخوف من  
انطلاق رصاصه فى عيني !! ..

## بنت تجرى وراء الشمس

قابلتها فى روما ..  
فتاة من النرويج ، فى الخامسة والعشرين من عمرها ..  
جميلة .. جمالها هادىء مريح ، وعيناها خضراوان تطلان على  
الناس فى حنان .. وانسامتها متزنة ، وكأنها ام صغيرة ..  
وعندما علمت انى عربى بدأت تحدثنى بلغتى . كلمات عربية  
مكسرة تتساقط من بين شفثيها كقطع السكر ..

وقلت لها :

— كيف تعلمت لغتنا .. ؟

قالت :

— لقد عشت فى القاهرة ..

قلت تى لهفة :

— كيف .. متى ؟

قالت :

— هذه قصة طويلة ، أتمنى يوما أن أكتبها .. قصة حياتى ..

قلت ولهفتى تشدد :

— وموضوع القصة ؟ !

قالت :

— فتاة نخت الشمس ..

وسرحت عيناها فى الفضاء كأنها تشد بهما خيوطا من  
الذكريات .. واستطردت تروى قصتها كأنها تتحدث عن انسانة  
أخرى .. انسانة بعيدة عنها :

— كنت احب الشمس .. لا اكاد ارى شعاعا منها حتى اجرى الى صخور الشياطين وأخلع فيأسى .. واستلقى عارية كاني أستحم في الشعاع .. ولكن الشمس في الترويج شمس بخيلة .. ضئيلة .. لا تكاد تلمس أرضنا حتى تختفى .. وكنت احس بالضيق كلما اختفت .. احس كأن الحياة تشدح مني .. واتطلع الى السماء أبحث عنها بين الغيوم السوداء ، واكاد ابكى ..

وكنت وأنا في الثامنة عشرة ارسل بنات وشبابا من بلاد بعيدة .. كل البنات في مثل سنى كن من هواة المراسلة .. واستطعت ان احصل على عنوان شاب من مصر .. ان مصر فيها شمس .. كلها شمس .. وكتبت اليه كاني اكتب الى الشمس .. ورد على .. واحسست وأنا افتح خطابه انى سالتقى بالشمس .. بل احسست كأن الورق الذى يكتب عليه اكثر بياضا وسخونة من الورق الذى اكتب انا عليه .. لان فى بلده شمسا ..

واستمرت المراسلات بيننا اكثر من عام .. لم اعد ارسل احدا غيره .. وأرسلت له صورتي .. وأرسل لى صورته .. انه أسهر فى لون السمك المثلئ !

ثم .. ثم لم اعد اطيع ان اعيش فى بلدى .. لم اعد اطيع ان اقضى يومى كله اتطلع الى السماء باحثة عن الشمس بين الغيوم .. وقررت ان افوم برحلة الى فرنسا .. ان شمس فرنسا اكرم من شمس الترويج .. ولم اكن أستطيع ان اسافر الى مصر ..

ان المسافة بعيدة والنقود معى قليلة .. ولكن صديقتى بالمراسلة عندها علم انى مسافرة الى فرنسا بدأ يلح على فى السفر الى مصر .. انه يدعونى .. سأقيم فى بيته مع عائلته .. لماذا لا اسافر الى بلاد الشمس ؟ ..

وقلت لأمى :

— انى مسافرة الى مصر ..

وقالت لى أمى :

— أنت مجنونة ..

واذكر فى تلك الاثناء ان التقيت باثنين من المصريين كانا فى زيارة الترويج .. وقلت لهما انى مسافرة الى مصر ، وذكرت لهما اسم صديقتى بالمراسلة وعنوانه .. وسما الاسم والعنوان ، ثم نذر احدهما الى الآخر ، ثم اذا بهما ينصحانى الا اعتمد على هذا الصديق ، واعطينانى عنوانهما فى مصر ، لعلى احتاج اليهما ..

ولم افهم ما يقصدانه .. هل يقاران من صديقتى ؟ ! .. وسافرت الى مصر .. الى الشمس .. وسافرت بالباخرة ، لأنها ارخص .. ووجدته فى استقبالى ..

الشباب الاسمر .. انه كصورته ، وكما تخيلته .. كل ما هنالك انه اقل اناقة مما كنت اعتقد ..

وركبنا سيارة اجرة من محطة القاهرة .. الى شارع شبرا .. ثم الى شارع اقل اتساعا .. ثم الى شارع ضيق .. ثم شارع اقل ضيقا .. وحارة .. وحارة اخرى .. ثم وقفت السيارة لأنها لم تعد تستطيع ان تتقدم .. ونزلنا منها وحمل لى حقائبى ، وسرنا الى زقاق ، ودخلنا فى بيت تقديم مظلم .. ثم نزلنا الى حجرتين فى الدوروم .. هذا هو بيته ..

وعائلته كلها مكومة فى هاتين الحجرتين ..

ولم يهمنى كل مظاهر الحياة التى مررت بها .. ولم يهمنى ان بيته فى يبروم .. بل ربما اثارت هذه المظاهر صورة اسطورية للشرق الذى جئت اليه .. كل ما همنى انى سانام فى حجرة بها اربعة اشخاص .. أمه وابوه واخته واخوه !! ..

لا .. لا أستطيع ! ولا أستطيع ايضا ان اجرح احساس صديقتى ، وأهرب من فقره .. لقد تبادلنا كلمات حلوة فى حياياتنا ، ولا يمكن أن أنسى هذه الكلمات لأنه فقير ..

ورغم ذلك فكان علىّ فى اليوم التالى ان اهرب .. وهربت ..  
ذهبت الى العنوان الذى تركه لى الصديقان اللذان التقيت بهما  
فى الهروج .. ودبرا لى حياتى فى القاهرة ..  
ولا تسألنى اسئلة صغيرة تافهة .. فقد نعمت بحياتى فى  
القاهرة .. لقد كنت اشرب الشمس طول النهار ، حتى يكفىنى  
ما شربته لاقتضى طول الليل ..  
ثم احببت .. احببت مصرىا ..

كان اول حب لى .. وهو الى الآن ، آخر حب .. وعاش حبنى  
سنة شهور .. منطلقا مرحا ساخنا كالشمس .. وكاد ينتهى  
بالزواج . ولكنه كان ضابطا فى الجيش .. والقانون عندكم يحرم  
على الضباط ان يتزوجوا من اجنبيات .. وجاء من ابلغنى انى  
يجب ان اغادر القاهرة .. ومصر كلها .. اذا كنت احرص على  
مصلحة حبيبى ..

واضطرت ان اترك مصر .. والدموع فى عيني !  
ولم استطع ان اعود الى بلدى .. ولم استطع ان ابتعد عن  
الشمس ..  
ذهبت الى لبنان .. ولا تسألنى من اين جئت بالمال الذى عشت  
به فى لبنان .

دعك من هذه الاسئلة الصغيرة التافهة .. فقد عشت هناك  
حياة سعيدة .. فى الشمس ، استطعت خلالها ان اضمد قلبى  
الذى جرح فى القاهرة .. ثم اشتغلت مضيعة فى احدى شركات  
الطيران اللبنانية .. والتقيت نساء عملى بأمر عربى كبير عرض  
علىّ ان اكون مضيعة خاصة لطائرته التى يملكها .. وقبلت ..  
وسافرت الى بلده .. الى الصحراء .. ان الشمس هناك اكثر مما  
اريد .. والحياة تسيّر بطيئة جدا .. وطائرة الأمير لا تطير الا

نادرا .. واكتشفت ان عملى هو ان اكون مضيعة للأمير لا لطائرة  
الأمير .. اقضى اليوم كله فى بيت يطل على الصحراء .. وفى  
المساء اذهب الى مجلسه ليشاهد جمالى .. فقط ليشاهد جمالى ..  
وزهقت .. زهقت من الأمير .. ومن شمس الأمير ..  
واستقلت .. وكان كريما معى . اعطانى مكانة سخية ..  
ولكنى لم اعد الى بلدى .. انى لا أستطيع ان ابتعد كثيرا عن  
الشمس .. خلاص .. لقد أصبحت الشمس فى دمى ، وعلى  
جلدى .. معدت الى روما ..

انى اعلم الآن فى احد بيوت الأزياء .. ولكن عملى ليس هو  
كل شيء .. ان كل شيء هو شعاع من الشمس يتسلل من نافذتى  
كل صباح .. انك لا تعلم ما يفعل به هذا الشعاع .. انه يبعث  
فى الحياة .. يحرك دمى .. يغيرنى بأن استعد لمغامرة جديدة ..  
رلى فى كل ليلة مغامرة .. مغامرة مع مجهول .. رلا تسألنى ..  
عن تفاصيل مغامراتى .. دعك من هذه الاسئلة التافهة ..

\*\*\*

وسحبت عينيها من ذكرياتها ، وعادت بها الى .. وبين  
شفتيها ابدسامتها المزنزة كأنها انسامة ام صغيرة .. وقلت لها :  
— الا نشعرين بالحنين الى الاستقرار .. الى بيت وأولاد ..  
قالت كأنها تتنهد :  
— الشمس هناك اكثر دفئا .. ومن يدري .. ربما اجد هناك  
زوجها .. وربيتا ! ..  
وتركتنى ..

## هكذا قتلت زوجتي

لكم ستقولون انى مضطء .. وافلبكم سيقول انى مجرم ..  
سائل .. انانى .. منضط .. الى آخر هذه النعوت التى تعود كل  
واجد ان يلصقها بغيره ، رغم انه لو تمن قليلا لاكتشف انه يستطيع  
ايضا ان ينعته بها نفسه ..

وكل ما ارجوه ان تسبعوا تصنى قبل ان تحكموا على ..  
لا لانى اطمع فى انصافكم ، فليس لى ثقة فى عدالتكم .. ولكن فقط  
لنتشعروا انتم بانكم احذرتكم حكمكم الظالم بعد ان استمتمت الى  
اقوال المتهمين ، استكمالا للشكليات ، وللجراءات وللماظهر ..  
لا تحريا للعدالة ..

اسمعوا ايها الظالمون ..

لقد حدث كل شىء فجأة .. وبسرعة عجيبة .. وبدات الجريمة  
وانتهت فى يوم واحد .. وفى اقل من يوم .. ودافعها الحقيقى ،  
هو كلمة واحدة قيلت فى التليفون .. كلمة واحدة .. ربما قيلت  
عفا .. ولكنها كانت السبب .. سبب الجريمة .. كنت اياها  
قد سافرت الى الفيوم للتفتيش ، وانا كما تعلمون مفتش فى وزارة  
التربية والتعليم .. وتضيت هناك يومين .. والجو حار ، يزهق  
انفاسى .. والهواء رطب ثقيل ، يجثم على صدرى .. ووجوه  
الطلبة والمدربين الذين امر عليهم تراءى لى كتقطع بن الجهر  
تفتت النار فى وجهى واعصابى .. كانت اعصابى تالفة ..  
لا انكر ان اعصابى كانت تالفة .. وزادها الحر والهواء الراكد

الثقيل تلتا .. ولكن ، كل موظفى وزارة التربية والتعليم مصابون  
بتلف الاعصاب .. اكشفوا على اعصابهم جميعا ، وستجدوننى  
رغم كل ما حدث ، اتواهم اعصابا ..

وفى اليوم الثالث من سفرى الى الفيوم ، اتصلت بزوجتى  
بالقاهرة بالتليفون .. كنت اريد ان اجد فى حديثها ما يخفف  
وحديثى ، وما يرطب النار المشتعلة فى اعصابى .. ولكنى وجدت  
حديثها راكدا كالهواء الذى يحيط بى .. وقلت لها :

— مالك ؟ ..

قالت وهى تزفر :

— ما ليش ! ..

قلت :

— مالك يا سعاد .. قولى يا حبيبتى ؟ !

قالت :

— زهقانه .. زهقانه موت ! ..

قلت :

— زهقانه من ايه ؟ ..

وفجأة صرخت فى وجهى :

— زهقانه من عيشتى .. من دنيتى . خلاص مش طايقه

نفسى .

وسيطرت على اعصابى .. انها تشكو « الزهق » وهى فى  
القاهرة ، وحولها اثارها وصديقاتها .. وفى البيت فريجدير ،  
وبطبخ مئجج .. وانا .. انا المبعد وسط العرق والذباب والناموس  
.. لا اشكو .. وليس من حتى ان اشكو .. بل على ان اخفف من  
شعورها بالزهق ..

وقلت فى نهجة مسكينة :

— ما تروحي تعدى عند مامتك شويه ..

وصرخت :

— ما ما .. ما ما .. ايه اللى كل شويه نقول لى روحى عدّ  
مايتك .. امال انا كنت اتجوزت ليه ؟

وقلت فى نوسل :

— طيب روحى زورى حد من صاحبناك ..

قالت وهى تصرخ :

— وهم صاحبناى حايبستوى لغاية ما ازورهم .. زمان كل  
واحد خدت جزوها ، وخرجوا يتفسحوا ..

قلت :

— امال حانعملى ايه ؟ ..

قالت :

— حا اعمل اللى حا اعمله .. خلاص ما لكش دعوه بى ..

والقت سماعة التليفون فى وجهى ..

وحاولت أن انسى .. حاولت أن اشغل نفسى بأى شىء ..

ولكنى لم استطع وكلمة « زهقانه » نطن فى أذنى .. زهقانه ..

زهقانه .. زهقانه .. ماذا تفعل المرأة عندما تكون زهقانه ..

لابد أنها الآن تطوف بحجرات البيت وهى مرتدية قميص النوم ..

القميص الوردى الشفاف .. وذراعاها البضتان مكشوفتان ..

ونهداها بطلان من فوق فتحة التبيص .. وعنقها الطويل منتصب

كشعاع النور بشقه خط رفيع من العزق .. وشعرها الحريري

مهدل فوق جبينها ووجنتيها .. وعيناها مسترخيتان ملولتان ..

وشفتاها المكتنزتان مكسورتان كوردة نهم بالفتح .. انها مثيرة

مغرية عندما تكون فى قميص النوم فى يوم من أيام الصيف .. انى

أعرف كم هى مثيرة ومغرية ..

ثم لابد انها تعبت من الطواف بحجرات البيت .. وتعبت من

والأمة ابنا الوحيد الصغير .. انها تريد شيئا آخر .. شيئا

اخر .. شيئا بيدد من حولها الملل والزهق .. شيئا يملا هذا

الاراح الكبير .. ولابد انها خرجت الى الشرفة ، وهى بقميص

النوم واطلت على ابن الجيران .. انى اعرفه .. هذا الشاب

الرميع واقفا فى نافذته .. ومنعتها ، وعلى الأخص ، من الخروج

وهد صنعت زوجتى مرارا من الوتوف فى الشرفة كلما كان هذا

الرميع واقفا فى نافذته .. ومنعتها ، على الأخص ، من الخروج

الى الشرفة وهى بقميص النوم ..

وليس معنى ذلك انى لا اثق فى شرف زوجتى .. ولكنى اعلم

انها مدللة ، خفيفة العقل أن ترى جمالها المثير فى عين الرجال ..

وأخذت فى وحدتى وأنا فى الفيوم اتصورها واقفة فى الشرفة

بقميص النوم ، وهذا الشاب الرقيق امامها ..

لابد انها ابتسمت له لتسلى نفسها .. واتسعت ابتسامتها ..

اتسعت أكثر .. وذراعاها البضتان المكشوفتان .. ونهداها ..

وعنقها .. كلها أصبحت نهبا للعينين الجاحظتين .. !

وتباديت فى خيالى ..

\*\*\*

انها يتبادلان التحية .. ثم هو يلح عليها أن تخرج من البيت

لتلقاه .. وهى تتمنع كعادتها .. ولكنها تقبل أخيرا تحت ضغط

وحديثها والملل الذى تعانیه .. ثم انها تعلم أن امامها ليلا طويلا

ستقضيه وحيدة بلا زوج .. فلماذا لا تلهو فى جزء من هذا الليل .

وحاولت أن انزع من راسى هذا الخيال الشرير ، فانى اثق فى

ان زوجتى امرأة شريفة .. ولكنها قالت لى انها زهقانه .. والمرأة

الزهقانه تستطيع أن تفعل اى شىء ..

ووجدت نفسى انساق فى خيالى .. تصورتها وقد قبلت

ووصلت الى بيتي ، وصعدت الدرجات قفزا .. وفتحت الباب  
مفتاحي الخاص .. وبحثت عنها بعينين مجنونتين ..  
انها ليست في البيت .. والساعة التاسعة مساء ..  
لا بد أنها معه .. في بيته .. في حجرة نومه ..  
وخرجت الى الشرفة ، وسلطت عيني على بيت الشاب الرقيق  
.. ان النوافذ مغلقة .. والنور مطفأ .. طبعاً .. لا بد ان تكون  
النوافذ مغلقة ، والنور مطفأ .. وعدت من الشرفة وأنا أتخط في  
ظلم الأثاث .. وما كدت أخرج الى الصالة حتى رأيتها داخله من  
الباب .. وصرخت فيها :

— كنتي فين ؟

تألت في هدوء :

— كنت عند ماما !!

وصرخت :

— عند ماما ، يا مجرمه ؟

ورفعت يدي وهويت على صدغها بكل قواي .. وصرخت  
صرخة حادة .. ووقعت حقيبة يدها .. ورفعت يدي مرة ثانية ،  
وكتمت صرختها بصفحة أخرى اتوى من الأولى .. وعادت  
بصرخ :

— يادهوتي .. الحقوني .. حاموت .. حاموت ..

ثم استدارت وجرت من أمامي .. وخرجت من باب الشقة ..  
وأنا أجرى خلفها .. ونزلت السلالم قفزا .. وأنا أتفز خلفها ..  
ثم وقعت فوق السلم ..

وارتطم رأسها بحافة السلم .. فشجبت .. وسال دمها ..  
وماتت ..

وهكذا تلتفتها .. وبرائتي المحكمة .. ولكن الناس لم يترنبي .

\*\*\*

تقابله .. ودخلت من الشرفة لترتدي ثوب الخروج .. والتابير  
الأصفر الذي بضيق حول جسدها ويبرز كل قطعة منه ..  
وتصورتهما وقد التقيا في مكان ما .. في الجزيرة .. على باب  
السيئها .. في أي مكان ..

ثم .. لقد أمسك يدها .. انه يقول كلاما جميلا يشبع  
غورها .. والليل يزحف عليها .. وهو يقبل يدها .. ثم ذراعها  
.. ثم يقبل عنقها ..

ان زوجتي زهقانة .. والمرأة الزهقانة تستطيع ان تفعل أي  
شيء ..

و .. قاما من مجلسهما . وصعدا الى البيت . . والدينيا  
ظلام .. صحبها الى بيته وهي تقف عند الباب مترددة .. هل  
تدخل .. ان امامها ليلا طويلا ستقضيه وحيدة في ملل وسأم ..  
فلماذا لا تدخل لتستزيد من الكلمات الحلوة ، والقبلات التي تبدد  
وحدها وسأبها ..

انها شريفة .. ولكنها زهقانة .

وخطت داخل بيته ..

وانقضت أنا من خيالي كالمجنون .. ولم أدر بنفسى الا وأنا  
أجرى في الشارع نحو موقف سيارات الأجرة ، ووضعفت نفسي في  
احداها وأنا أصرخ في السائق :

— اطلع على مصر .. بسرعه ..

\*\*\*

وطارت السيارة في الطريق الصحراوي .. وأنا مجنون ..  
انصور زوجتي بين ذراعي هذا الشاب الرقيق .. في بيته .. في  
حجرة نومه .. والصحراء من حولي لونها أسود .. والليل أسود  
.. وأسفلت الطريق أسود ..



أيها الناس الظلمة .. قبل ان تحكموا علىّ ، فليحاول كل منكم ان يجرب ما حدث لى .. ليجرب ان يغيب عن بيته أياما ، ثم يسمع زوجته ان تقول له بالتليفون « انا زهقانه » .. تقولها فى ليلة من ليالى الصيف .. ويرى بعد ذلك ما يمكن ان تحدثه هذه الكلمة الصغيرة فى حياته .. انها تقوده الى الجنون .. الى الجريمة .. ولعلكم بعد ذلك تعذروننى .. وتبرئوننى .. لكن لا امل فانتم كلكم ظالمون .

## فيفى

كنت لا ازال فى التاسعة عشرة من عمرى .. وكنت مندفعاً .. جريماً .. طالما فى كلية البوليس .. والحياة ضحكة كبيرة .. وكل شىء اريده اصل اليه .. بالذوق .. بالعافية .. لا بد ان اصل اليه ..

وفى احدى امسيات الصيف .. كنت اسير مع شلة من اصدقائى نجرب شوارع حيناً .. الدقى .. نضحك .. ونعاكس البنات ، وندخ السجائر .. كل اثنين منا سيجارة .. ثم وقفنا تحت فانوس النور .. وضحكائنا لا تنتهى .. ورفعنا عيني بالصدفة الى احدى النوافذ ، فليحت فتاة عيناها مسطّان على . وتبتسم .. وما كادت تلحظ انى لمحتها حتى اخفت بعد ان قذفت لى باكبر ابتساماتها .. وكذبت عيني ، وعدت الى ضحكات الشلة .. وبعد قليل رفعت عيني مرة ثانية الى النافذة .. ورايتها راقفة فيها .. عيناها مسطّان على .. وتبتسم .. وما كادت تلتقى بعيني حتى اخفت ..

وفى هذه المرة لم اكذب نفسى .. وبكل بساطة ، تركت الشلة دون ان اتقول لوم شيئاً . ودخلت العمارة التى تطل منها الفتاة وسعدت الى الدور الذى اطلت منه .. ووقفت امام باب الشقة التى قدرت انها تسكنها ، ورايت بجانب الباب لوحة مكتوب عليها « الدكتورة زاهية المرجوشى » .. ولم اتردد .. ضغطت جرس

الباب ، وقررت اذا فتح لى رجل أو سيده كبيرة أن اسأل عن محمد  
أفندى .. ثم اعتذر بأنى أخطأت فى الشقة ..

وفتح الباب .. ففتحته هى ..

إنها أجهل مما تصورتها ، وأصفر .. سمراء لا يزيد عمرها  
عن الخامسة عشرة .. فوق وجهها ابتسامة كبيرة ، وعلى خديها  
غمازتان ترتعشان ، وفى عينيها لمعة جريئة .. ترتدى ثوباً أزرق  
منقطاً بنقط كبيرة بيضاء .. وفى قدميها شبشب بلا كعب ..  
ووقفت برهة أنظر الى ثوبها .. أنه ثوب لا يبدو أنيقاً ، ولا يبدو  
مهلهلاً .. ولكن خيل الى أنه ليس ثوبها .

وظلت تنظر الى صامته ، والغمازتان فوق خديها ترتعشان ..  
وقلت فى لهجة جادة دون أن أضحك لها :

— عندكم تليفون ؟

قالت واللهم الجريئة فى عينيها :

— أيوه ..

وأخرجت من جيبى البطاقة التى تحمل اسمى ورقم تليفون  
بيتى ، وناولتها لها ، قائلاً بنفس اللهجة الجادة :

— ابقى اضربى لى تليفون فى الثمره دى .

ثم نزلت السلم قتل أن أسبع ردها .. وقضيت ليلتى أحلم  
بها .. فقد خلعت قلبى ..

وفى اليوم التالى اتصلت بى بالتليفون .. وانقضت أيام كثيرة  
وهى تتصل بى كل يوم .. أحياناً ثلاث مرات فى اليوم .. وفى كل  
مرة أحاول أن أقنعها بأن تحدد موعداً للقائنا .. ولكنها ترفض .  
ما أقدرش .. أختى الدكتورورة نموتنى .. و .. وبدأت أجن ..  
لايد أن أصل إليها .. وأصبحت أصرخ فى وجهها .. وصعدت  
الى شقتها أكثر من مرة .. ولكنها لم تكن تفتح لى الباب أبداً ..  
كانت تفتح لى الدكتورورة .. أو رجل لا اعرفه .. واضطر أن اسأل  
عن محمد أفندى !

وتعود تحادثنى فى التليفون .. وتصارحنى بحبها ..  
ويستطيع دائماً أن تجد حجة حتى لا تقابلنى .. وكانت تبكى  
أحياناً ..

ومرة واحدة كتفت عن حديث التليفون .. لم تعد تحادثنى ..  
ومررت أمام بيتها عشرات المرات .. مئات المرات .. فلم أرها فى  
النافذة .. وصعدت الى شقتها فلم تفتح لى الباب ..

فانصلت بيديها بالتليفون ، برد على صوت أجنس ، سألته :

— غيبى موجوده ؟

ورد على الصوت الأجنس :

— ما عندناش حد اسمه غيبى ..

ثم القى سماعة التليفون فى وجهى ..

ومررت ثلاثة شهور وأنا حائر .. وبدأت حيرتى تنقلب الى يأس  
.. ثم ذهبت مرة لزيارة صديقى عصام بمناسبة مرضه بالانفلوانزا  
.. وضغطت على جرس الباب ..

ففتحت لى .. هى ..

غيبى .. وكانت ترتدى ثوباً اقل أناقة من الثوب الذى رايتها  
به أول مره ..

ووقفت أنظر إليها وفى مفتوح كانى غبيط .. والغمازتان فوق  
وجنتيها ترتعشان أمامى ..

وقالت فى لهجة سريعة :

— اتفضل ..

وفرت من أمامى قبل أن تتقدمنى داخل الشقة ..

وجلست مع صديقى نتحدث .. ثم سألته بصراحة :

— مين اللبى ففتح لى الباب ؟

وقال صديقى بخث :

— عايجياك ..

قلت :

— أبدا .. أصلى ما شفيتهاش عندكم قبل كده ..

قال :

— دى بنت خدامه ، جاءت لنا من يومين ..

وذَهلت .. أحسست انى داغنت فى كرامتى .. لقد خدعتنى .. أحببت خادمة ..

وبعد يومين من الزيارة ، حادثتني فيفى فى التلفون ، وصرخت فيها :

— عايزة ايه يا بت يا خدامه ..

وصرخت فى وجهى بكل وقاحة :

— أنا مش خدامه ..

واشدت التناش بيننا . وعادت تحادثنى فى التلفون فى اليوم التالى .. والذى يليه .. وأصبحت أنسى كثيرا أنها خادمة .. ولكنى كنت أجد من الصعب على أن اطلب لقاءها .. وهى لم تطلب أبدا لقاتنى ..

وفجأة انقطعت عن الحديث التلفونى ..

وسألت عنها صديقى عصام ، فقال ببساطة :

— سرقت فستانين من فستانين أختى .. وهربت !

قلت مذعورا :

— وبلغتم عنها البوليس ..

قال :

— أبدا .. الحكاياه ما تستاهلش .. وأمى زى ما انت

عارف ست طيبه !

وانقضى عامان .. نسيت فيهما فيفى ، أو كدت .. ثم عدت مرة من الكلية ، فقالت لى أختى إن فتاة اسمها فيفى سألت عنى

بالتليفون .. وتذكرتها .. الغمازتان اللتان ترتعشان فوق وجنتيها .. وثوبها الذى لا يبدو أنه ثوبها ..

وفى نفس اليوم دق جرس التليفون .. وكانت فيفى .. وقلت لها ساخرا :

— ازيك يا بت .. انت لسه بتشتغلى خدامه ؟

ورمت السماعه فى وجهى دون أن ترد على .. ثم عادت بعد بنقيحة واحدة ، وحادثتني مرة ثانية ، وقالت سارخة بمجرد أن سمعت صوتى :

— اسمع يا ممدوح .. أنا مش خدامه .. وعمرى ما كنت

خدامه .. مش عايزاك تجيب السيريه دى تانى ..

قلت وأنا لا أزال اتهكم :

— أمال كنتى بتعملى ايه فى بيت عصام ..

قالت محتدة :

— أنا إيامها هربت من بيت أختى الدكتوراه .. واضطريت أن

اشتغل .. كنت عايزنى أعمل ايه يعنى .. أروح أبيع نفسى فى السكك ..

وأحسست انى أميل الى تصديقتها .. وارتفع أمام خيالى

وجيها الأسمر المبتسم .. والغمازتان .. والعينان .. أحسست

انى لا أزال أحبها .

وقلت :

— يمكن ..

قالت :

— إذا ما كنتش مصدقنى ، أنا مستعده اشوفك ..

واتفقنا على أن نلتقى مساء يوم الجمعة ، قبل موعد عودتى

الى كلية البوليس ، أمام سينما ريفولى .. وقلت لها فى لهجة

السيد :

— الساعة ستة .. ستة ودقيقه حامشى ..

وفى الساعة السادسة الا خمسة وقفت امام سينما ويفولى ،  
وانا مرتدى بذلتى العسكرية وجاء بعض زملائى ووقفوا معى ..  
فحاولت ان اتخلص منهم .. حتى لا يروا فيفى عندما تاتى للقائى  
.. كنت اخاف ان يروها وهى فى ثوبها الذى لا يبدو انه ثوبها ،  
فيغايرونى بها . ولكنهم ظلوا واقفين حولى ، وقد عرفوا بحاستهم  
السادسة انى على موعد مع فتاة ..

وفى الساعة السادسة بالضبط ، وقفت سيارة اجرة امام دار  
السينما وفى داخلها فتاة انيقة .. انيقة جدا .. شعرها ..  
والروح فوق شفتيها .. وثوبها كأنه مصنوع فى باريس .. و ..  
و .. فتاة من الطبقة الراقية .. تشير لى .. وارتبكت .. من  
هذه التى تشير لى .. واذا بها تنادىنى بصوت خافت .. ممدوح  
.. تعال يا ممدوح .. واقتربت منها .. انها فيفى ، فيفى بعينها  
.. وقد كبرت .. ونضجت .. وكتملت .. كل ما فيها شهى ..  
لذيذ .. لذيذ جدا ..

لقد كنت واهما .. انها لم تكن خادمة ابدا ..

والتفت الى زملائى الطلبة ، وانا مرفوع الراس ، وحييتهم  
بطرف اصبعى ، ثم ركبت السيارة بجانب فيفى .. وتركتمهم أشبه  
بالمصعوقين ..

وتحادثنا طويلا .. حديثا حلوا .. رقيقا .. وطافت بنا  
السيارة الاجرة طويلا .. ونزلنا منها عند كورنيش النيل ، وحاولت  
ان ادفع الحساب .. ثمانية وخمسين قرشا .. فأسرعت وفتحت  
حقيبتها وأخرجت ورقة من ذات الخمسة الجنيهات .. معها خمسة  
جنيهات ، وكل ما معى لا يكمل جنيهين ..

وقالت لى فيفى انها تقيم مع أمها وأختها نادبة فى مصر

الجديدة .. وقالت لى انى حبها الاول والاخير .. وانها اخلصت  
لى طول عمرها .. و .. و .. واعطتنى رقم تليفونها وطلبت منى  
ان احادثها فى التليفون .. كل يوم .. وفى اى ساعة .. لإتأكد  
انها دائما فى البيت .. ودائما فى انتظارى .. الى ان نتقابل يوم  
الخميس عندما اخرج من الكلية ..

وكانت لى طرقتى الخاصة فى استعمال تليفون كلية البوليس  
.. فكنت احادثها فى التليفون كل يوم .. ودائما اجدها فى انتظار  
حديثى .. الى ان كان يوم الاربعاء .. قبل يوم الخميس الذى  
سألقاها فيه ، واتصلت بها بالتليفون .. نفس الرقم الذى استعمله  
كل يوم .. وردت على امراة يبدو انها عجوز : وسألتها :

— فيفى موجوده ؟

وقالت :

— ما عندناش حد اسمه فيفى ..

وذهلت .. وعدت اتصل بها مرة ثانية .. وثالثة .. ورابعة  
.. ودائها .. ما عندناش حد اسمه فيفى .. وفى مرة سألت عن  
أختها نادبة .. فرد الصوت العجوز :

— ست نادبه خرجت ..

واذن فان لها أختا اسمها نادبة وهى تقيم معها .. انها تكذب  
على .. ولكن اين ذهبت .. فيفى ..

وكدت اجن .. وانقضى اسبوعان وانا مجنون .. ثم فجأة ..  
وفى يوم خميس .. اتصلت بى بالتليفون فى بيتى .. وقالت لى ان  
انها قد غيرت نمرة التليفون تخلصا من المعاكسات .. فسألتها عن  
النمرة الجديدة .. فقالت ان أمها تخفيها عنها وعن أختها لأنها  
تتهمها بأنهما يشجعان الشبان على معاكساتهما .. وقالت انها  
ستتصل بى دائما ..

وتركتنى وأنا لا أستطيع تصديقها .. كيف تقول ان امها قد غيرت الرقم ، نى حين اتى لما سألت عن اختها ، فى هذا الرقم ، قالوا لى انها خرجت ..

وعشت حائرا .. من هى فىفى .. هل هى خادمة .. هل هى من بنات العائلات .. هل هى ساقطة .. ومن اين تأتى بهذه الثياب الغالية التى ترتديها ، بعد ان كانت ترتدى ثوبا لا يبدو أنه ثوبها .. ثم هذه النقود التى تملأ حقيبتها ؟ ..

وكانت تتصل بى دائما .. ونقابل كل خميس وجمعة .. وعرضت عليها يوما ان نتقابل فى شقة احد اصدقائى ، فغضبت .. واحتدت .. انها فتاة .. فتاة شريفة .. واعتذرت لها .. وبعد بضعة اسابيع قابلت ان تأتى معى الى شقة صديقى ، فقط حتى لا يرانا الناس وأنا اسير بجانبها ببدلتى العسكرية .. وهناك عاملتها على انها فتاة .. فتاة شريفة !

واصبحت احبها .. احبها فعلا .. ولكنى لا زلت حائرا فيها .. من هى .. ما هى .. حتى اسمها لا تريد ان تقوله لى ، وكلما سألتها اجابت ضاحكة :

— كفايه عليك دلوقت .. فىفى .. وبعدين حاتعرف كل حاجة .  
وهرعت الى صديقى عصام ، فقال لى ان اسمها عندها كانت تشتغل عندهم .. كان « نعمت » .. لا بد انه اسم مستعار ..  
وفى يوم كنت اسير معها فى الجزيرة ، ومررنا بنادى الجزيرة فقالت :

— تبجى نقعد فى النادى ..

قلت :

— أنا مش عضو ..

قالت :

— أنا عضو ..

قلت :

— مش معقول ..  
وابتسمت .. واخرجت من حقيبتها بطاقة عضوية النادى ، وعليها صورتها ، وختم النادى .. وقبل ان التقط منها البطاقة انقرا اسمها ، اخفتها داخل حقيبتها ، وهى تقول : ضاحكة :

— ممنوع ..

لا يمكن ان تكون خادمة .. ولكن لماذا لا تكون خادمة .. ربما ساقطة .. ان الساقطات اللاتى بيعن اجسادهن هذه الايام .. لا يبدو عليهن السقوط .. و .. انا احبها .. احبها .. احبها بعدد انغاسى ..

ثم .. ثم اخفتت .. وعدت مجنونا .. ابحت عنها .. ولا انام ..

ثم .. ثم بعد شهرين ، ظهرت من جديد ، وعليها بقايا هزال .. وثوبها .. ليس اثننا كما تعودت ان ارى ثيابها .. وتصرفاتها ليست مرححة ولا مسلية .. كأنها فقدت شيئا ..

وقلت لها انا اكاد اصفعها من غيظى :

— كنت فين ؟

قالت فى ضعف :

— كنت عيانة ..

وهذات من غضبى ، وقلت :

— اسمعى يا فىفى .. انا باحبك ..

وقاطعتنى وعلى شفيتها ابتسامة خيل الى انها ابتسامة ساخرة :

— عارفه ..

— انا عايز اتجوزك .. ولازم اعرف عنك كل حاجة قبل

ما اتجوزك .. انت مين .. وابوكى مين .. وعائشه ازاي .. و ..  
وقالت وقد اتسعت ابتسامتها الساخرة :

— صحيح عايز تتجوزنى يا مدوح ؟

قلت :

— أنا بانكلم جد ..

قالت :

— امنى .. امتى تتجوزنى ؟

قلت :

— بكره .. النهارده .. دلوقت .. زى ما انتى عايزه ا

قالت فى تهكم :

— تتجوز خدامه يا ممدوح ؟

قلت كاتى ادافع عنها :

— انتى مش خدامه .. عمرك ما كنت خدامه .. ازاي خدامه

وانت عضوه فى نادى الجزيره ! ..

وسكتت قليلا ، ثم قالت :

— سيبنى افكر .. بكره حاقولك رايبى ..

ولم ارها فى الغد ..

اختفت ..

لم تعد ابدا الى حياتى ..

ولا زلت احبها ..

لا زلت حائرا .. من هى ؟ !

## لم أعد طفلا

شاهدت فاتن حمامة لأول مرة ، عندما مثلت اول دور لها فى فيلم « يوم سعيد » .. كانت فاتن حمامة ايامها فى السابعة من عمرها ، وكنت انا فى العاشرة من عمرى ..

واحببتها .. صدق او لا تصدق .. لقد احببتها .. احببتها بكل ما يستطيع الحب ان يحمله الى طفل فى العاشرة من نقاء واوهام .. اصبحت اذهب الى المدرسة واجلس فى الفصل سارحا وراء صورتها .. وقد ضربنى المدرسون اكثر من مرة لعدم انتباهى الى الدرس .. ولكى كنت القى العلقة ، واعود واسرح وراء صورة فاتن .. وفى الطريق الى البيت .. وفى البيت .. والى ان انام .. دائما فاتن معى ..

واصبحت احرص على ان اشاهد كل فيلم تظهر فيه فاتن .. واصبحت احتفظ بكل صورة لها تنشرها الصحف والمجلات .. وكل اهلى يضحكون على ويسمونى « مجنون فاتن » ، ولكنهم لم يحاولوا ان يقاوموا هذا الحب .. بل كانوا ياخذونى الى الافلام التى تظهر فيها فاتن .. ويهددونى اذا اخطأت بحرمانى من مشاهدة افلام فاتن ..

وكبرت .. ولم افق من حب فاتن .. كبر حبنى معى ..

واصبحت اشاهد افلام فاتن اكثر من مرة .. بعضها شاهدهته عشر مرات .. واصبحت صورة فاتن تملأ جدران حجرتى فى البيت .. واضعها بين صفحات كتبى ، والصقها فى داخل الدرج الخاص

بى فى المدرسة .. وصورة كبيرة لها فى اطار جميل بجانب فراشى .. وزدت على ذلك ، فأصبحت احتفظ بكل قصاصات الورق التى كتبت عن فانتن .. وخصصت لهذه القصاصات البوماً خاصاً ، الصتها فيه بعناية .. وأصبح عندى بدل الالبوم ، اثنان .. ثم ثلاثة .. ثم خمسة ..

وكبرت أكثر .. وتبينت حقيقة هذا الحب ..

انى لست مجنوناً .. انى أعرف بالضبط حقيقة عواطفى .. انى أحب فانتن التى اراها فى الأفلام .. أحب فانتن الفنانة .. ولكنه حب .. حب بكل ما فى الحب من معنى .. ولم احاول أن أقوم هذا الحب .. بالعكس .. ازدت استسلاماً له .. أصبحت وأنا فى العشرين من عمري لا أزال أجمع صور فانتن ، والصقتها فوق جدران غرفتى .. ثم أجلس كل مساء الى الصورة التى بجانب فراشى ، وأحدثها .. أحدثها عن كل ما يجرى لى فى يومى .. وعن كل مشاكلى ثم أستمع الى رأيها .. وأحس بها تنبسم لى أو تغضب منى .. ولم يكن هذا أيضاً جنوناً .. فكل انسان محتاج الى مناقشة نفسه .. وفانتن هى نفسى .. هى الشخص الآخر الذى يعيش فى صدر كل انسان .. وابتسامه فانتن لى هى ابتسامتى لنفسى عندما أكون راضياً عنها .. عن نفسى .. وغضبها منى .. هو غضبى على نفسى عندما يكون ضميرى ثائراً على شىء فعلته .. كانت فانتن هى نفسى اناقشها .. وأروى لها أخبارى .. وعندما أنجح فى الامتحان ، أجرى الى غرفتى ، وأمسك صورتها وأصيح :

— أنا نجحت يا فانتن ..

ثم ادور أرقص فى الغرفة ..

وكان هذا هو حبى الوحيد ..

لم يكن لى حب آخر ..

ظللت حتى وصلت الى الثلاثين من عمري ، وليس فى حياتى امرأة .. لا حب ، ولا شبيهة حب .. لقد حتمتى فانتن من كل النساء .. أو حرمتنى منهن ..

وقد تزوجت فانتن خلال ذلك .. تزوجت عز الدين ذو الفقار ، ثم تزوجت عمر الشريف .. ولكن زواجها لم يكن له أثر فى حبى .. لم يثر غيرتى .. ولم يجعلنى أفيق .. لقد كنت أنظر الى زواجها كأنى أنظر الى أحد أفلامها .. واحتفظ بصورتها فى زواجها ضمن الصور الأخرى التى تصورها فى أدوارها .. لم يكن لفانتن فى نظرى حياة خاصة ، حتى يكون لزواجها نفس المعنى الذى يحمله زواج أية فتاة أخرى .. كانت فانتن فنانة .. فنانة .. فقط .. ليست مجرد انسانية ، ولكنها فنانة .. ولو رأيتها بعينى رأسى تأكل لاعتقدت انها لا تأكل كبقية الناس .. أو لحاجتها الى الاكل .. ولكنها تقوم بأحد أدوارها كفنانة ..

وأصبحت فى الواحدة والثلاثين من عمري ..

وأصرت امى على أن أتزوج ..

وأنت لا تعرف أمى .. انها دكتاتورة .. اذا أصرت على شىء فلا بد أن ينفذ .. وعبثاً حاولت ان أقنعها بأننى لست فى حاجة الى الزواج ، وأنى أسعد مخلوق فى الدنيا ولست فى حاجة الى مزيد من السعادة ..

ولكن الديكتاتورة أصرت ..

وزوجتني من فتاة جميلة ، مثقفة ، ذكية ، طيبة .. ولكنى ما زلت أحب فانتن .. ونقلت معى الى بيتى الجديد كل صورها ، وكل الالبومات التى احتفظ فيها بقصاصات الصحف . شىء واحد تغير .. وهو انى لم أعد أستطيع أن احتفظ بصورة فانتن الكبيرة

بجانب فراشي فاحتفظت بها في غرفة مكثي ، وكنت اخلو بها كل مساء واحدها كعادتي .. ثم اذهب الى زوجتي .. ولم تكن زوجتي بالنسبة لي سوى عمل طلبت مني امي ان اؤديه ..

ولاحظت زوجتي منذ الأيام الأولى لزوجنا حبى لفاتن .. ولاحظت عليها انها ربما كانت غاضبة .. أو حائرة .. ربما بدأت تغار من فاتن .. ولكنها سكنت .. لم تطلب مني ان اتخلص من صور فاتن .. ولم تسألني عن الساعات التي اقصيها في غرفة المكتب وحيدا مع صورة فاتن .. لم تحدثني عن فاتن اطلاقا .. وكنت كلما دعوتها الى مشاهدة فيلم من افلام فاتن ، ذهبت معي دون اعتراض .. بل انها ذهبت معي لمشاهدة فيلم « لا انام » ثلاث مرات ..

الى ان كان يوم .. ودخلت مرة فوجدت زوجتي واقفة في غرفة النوم تنظر داخل دولابها الخاص الذي تحتفظ بمفتاحه .. وما كادت تحس بي ، حتى ابتعدت عن الدولاب في ارتباك ، واغلقت به بالمفتاح ، ثم نزعَت المفتاح من القفل ودسسته في جيبيها ، ووقفت امامي مرتبكة ، ووجهها محتقن ..

واثارت هذه الواقعة انتباهي .. ولكني تلويت عنها .. ولم احادثها بشأنها .. الى ان مر اسبوع ، وضبطتها مرة ثانية في نفس الموقف ، تنظر داخل دولابها .. وتكرر منها نفس الارتباك الذي اعتراها اول مرة .. وسكنت ..

ولكني لم اهدأ ..

كنت حائرا .. تملؤني شكوك لا استطيع ان اصدقها ولا استطيع ان اتخلص منها ..

ثم حدث يوما ان كنا في غرفة النوم ، وتركتني زوجتي ودخلت الحمام .. وسقطت عيني على دولابها .. فرايت المفتاح في القفل ،

وكما يفعل اللصوص ، قمت على اطراف اصابعي ، وفتحت الدولاب ..

ووقفت مبهوتا .. لقد وجدت ..

اتدرى ماذا وجدت داخل الدولاب ؟

لقد وجدت صورة عمر الشريف !!

واغلقت الدولاب ، ولم ادر ماذا افعل .. لم استطع ساعيتها ان ابين حقيقة عواطفى .. وعادت زوجتي .. ونظرت في وجهي وقالت :

— مالك ؟ ..

قلت :

— ما عيش .. عندي شوية مغص بسيط !

وقضيت بعد ذلك اياما قلعا حائرا .. ان زوجتي تحب عمر الشريف .. وحاولت ان اتنع نفسي بانها تحبه كما احب فاتن .. تحبه كفتان .. وبدأت اذكر انها تحرص دائما على مشاهدة كل افلامه .. وانها في مناسبات كثيرة كانت تبدي اعجابها به كفتان ، وحاولت ان اعطيها الحق في حبه ، ما دمت اعطى نفسي الحق في حب فاتن .. ولكني لم استطع ، وكان على ان اواجه نفسي بالحقيقة .. اني اغار من عمر الشريف .. نعم .. اني اغار منه ..

والمهم اني في خلال هذه الأيام بدأت اهمل حبى لفاتن .. لم اعد اقلب في صورها التي احتفظ بها .. وأصبحت كلما خلوت الى صورتها في غرفة مكثي .. تبعد عني الصورة .. تخفيها عني عواطفى نحو زوجتي وغيرتي عندها من عمر الشريف .. بل اني أصبحت اختصر اوقات هذه الخلوة ، واجرى لاجلس مع زوجتي حتى لا اتركها تخلو مع صورة عمر الشريف ..

ودخلت يوما الى زوجتي ، وكانت جالسة فوق السرير يتميص



النوم وما كادت تلمحنى حتى أخفت تحت الوسادة شيئاً كان فى يديها .

انى اعرف هذا الشيء ..

انه صورة عمر الشريف ..

ولم أتكلم ..

ولم استطع النوم ، وصورة عمر تحت وسادتى .. اننى مهما جدابيت فى حبنى لفاتن ، فلم اضع صورتها ابدا تحت وسادتى ، لا قبل الزواج ولا بعده .. ان زوجتى مجنونة .. ومن يدري لعلها تحب فى عمر الانسان لا الفنان .. حتى لو لم تكن تتصل به .. غربما تتمناه .. ربما تفضله — كرجل — عنى ..

وكدت اجن ..

احسست بالنار تشتعل فى فراشى .. وزوجتى بجانبى نائمة فى هدوء لا تحس بنارى .. وفى الصباح — ولم اكن قد اغمضت عيني طول الليل لحظة واحدة — لم استطع ان اسيطر على اعصابى .. وقابت المخدة ، ثم أمسكت بصورة عمر ، وقلت وانا افتعل الهدوء :

— انتى بتحبى عمر الشريف ؟

وقالت زوجتى فى حياء :

— ايوه ..

واخذت اروح واغدو فى الغرفة ، وصورة عمر فى يدي وثورتى تخفق صوتى ..

وقالت زوجتى فى براءة :

— أنت زعلت ؟ ودى فيها حاجة دى ؟

وقلت صارخا :

— ده لعب عيال .. انتى كبرتى خلاص يا ست هاتم ..

وقالت كأنها تتحدانى :

— طيب ما انت كبير ، وبتحب فاتن حمامه ..  
وكننت قد نسيت فى تلك الليلة حبنى لفاتن :: صدق او لا تصدق ،  
لقد نسيت حبنى .. هبطت من السماء التى عشت فيها طول حياتى ،  
ورقفت على الأرض تعذبى الغيرة على زوجتى ..  
وصرخت :

— انا باحب فاتن كفنانة .. و ..

وقالت تقاطعنى وهى تصرخ مثلى :

— وانا باحب عمر كفننان ..

وعدت أسرخ :

— فنان واللامش فنان .. دى مرقعة بنات .. دى قلة احترام  
ابنك وجوزك .. اذا كان على فاتن انا مستعد اقطع كل صورها .  
واندفعت الى غرفة مكتبى كالمجنون .. وامسكت بصور فاتن  
وهيمت ان امزقها .. ولكن زوجتى لحقت بى ، وامسكت بيدي  
.. وقالت وهى تبتسم :

— ما تقطعش صور فاتن .. خذ صورة عمر قطعها لو كنت

عازب .. اصلى باحب فاتن اكثر من عمر ..

ووقفت انظر اليها مشدوها ، وهى تبتسم لى .. ابتسامة حلوة  
حانية . واحسست ابنى افقت .. افقت من غيرتى من عمر ، ومن  
حبنى لفاتن .. واحتضنتها ..

واحسست انى اريد ان ابكى على صدرها ..

وانتقلت الى مرحلة اخرى من عمري .. اجمل ابام عمري ..

وكانت جلستى امام دكان البقالة هى نزهى الوحيدة .. ارقب خلالها الناس المارين فى الشارع ، وارقب صديقى السيد نظمى . وهو يغازل البنات المترددات على دكانه .. ان السيد نظمى قاموس فى كلمات الغزل ..

ولم اكن اعترض على غزل السيد نظمى للبنات .. ولم احاول مرة ان اشاركه فيه ، فله دينه ولى دينى .. وعلى العكس كنت اجد فيه كثيرا من التسلية ، توفر على الذهاب الى سينما شبرا ..

ولكننى لاحظت ان السيد نظمى يتجرا على مغازلة كل البنات الا واحدة .. فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها .. بيضاء .. شعرها اصفر .. وعيناها فى لون البرسيم ، ممثلة القوام قليلا ، وكانت تأتى الى الدكان وتشتري ما تحتاج اليه وهى جادة .. اكثر من جادة .. كأنها غاضبة .. ثم تنصرف دون ان تتكلم أبدا . تسمح لأحد بأن يكلها ..

وسألت السيد نظمى مرة ، لماذا لا يتجرا على مغازلتها رغم انها أجمل زبوناتك ، فأجاب سيادته :

— لا يا فوزى افندى .. ما لناش دعوه بيها .. دى اصلها تركيه وراسها ناشف ..

وضحكت بينى وبين نفسى .. وحيدت الله أن قاموس السيد نظمى لا يستطيع ان يصل الى كل البنات ..

وكان السيد نظمى يقرب عادة عن دكانه فى الساعة السابعة مساء ، ريثما يذهب الى بيته ويعود بعد قليل ، وكان فى هذه الفترة يهدى الى الدكان لثقتة بى .. وهى ثقة لا زلت اعتر بها .. وهذه الفترة هى عادة فترة ركود تجارى ، ينقطع خلالها تكاثر الزبائن . ورغم ذلك فلو صادف وجاء زبون ، فانى لا اتردد فى ان ابيع له

## بنت السلطان

اسمى : فوزى فهمى .. واذا أردت أن تكون دقيقا ، فان اسمى بالضبط هو : فوزى افندى فهمى !!

عمر الآن ٢٥ سنة ..

وانا انسان جاد .. طول حياتى حاولت ان اكون انسانا جادا . وبنذ تسع سنوات نلت شهادة الثقافة العامة ، وعينت موظفا فى مصلحة السكك الحديدية .. درجة تاسعة .. المرتب عشرة جنيهات .. ولم يكن يهمنى أبدا انى لم اتم تعليمى .. أو ان مرتبى ضئيل .. كان كل ما يهمنى أن اكون انسانا جادا .. وكنت قد وضعت نفسى مجموعة من المقاييس والموازن ، احرص عليها فى دقة .. وكل تصرفاتى ، وكل تصرفات الناس نحوى تدور حول هذه المقاييس والموازن ..

انى اختار ثيابى بحساب ، وأسوى شعرى وشنبى بحساب ، وأذهب الى المصلحة بالدقيقة ، وفى الساعة الثانية والرابع تماما تجدنى اتناول غدائى فى بيتى مع والدتى .. وأستطيع ان احدد لك بالضبط ماذا سيكون غدائى فى يوم الاثنين الأول من شهر يناير عام ١٩٦١ ..

وفى الساعة السادسة مساء اخرج من بيتى ، واتوجه الى شارع خلوصى — بشبرا — واجلس امام دكان صديقى السيد نظمى هلال البقال وولده .. وولده لا يهكم فى قصتى ، لانه لا يتجاوز العام الثالث من عمره ..

ما يريد ، اذا كان ما يريده لا يحتاج الى مهارة خاصة : اسبرين ؛  
ياكو شاي ، ابرة وابور جاز .. الخ ..

وحدث يوما ، بينما كنت فى الدكان مكان السيد نظمى أن جاءت  
الفتاة التركية ، وطلبت فى لهجة حازمة :

— اسبرين من فضلك !

وارتبكت .. ولا ادرى لماذا ارتبكت .. ربما لأن السيد نظمى  
كان قد رسم لها فى مخيلتى صورة قاسية .. وربما لأنى كنت  
اعتبرها اجمل بنات الحى .. وناولتها الاسبرين ، واخذت منها  
الثمن ، وانا لا استطيع أن ارفع عينى الى وجهها ..

وبعد يومين .. وفى نفس الوقت .. جاءت مرة ثانية :

— ادينى ربع اقة حلاوه طحينيه !

واعترضت .. طلبت منها ان تنتظر حتى يعود السيد نظمى  
وولده .. لانى لا استطيع ان اتحمل مسؤولية وزن الربع اقة .. ارا  
فقط ابيع الأشياء التى لا تحتاج الى وزن او مساومة .. ولكنها لم  
يقبل اعتذارى .. انها تريد الحلاوة حالا .. ثم دخلت الدكان ،  
ونحنى قائلة :

— او عى انت ..

وامسكت بالسكين الكبير ، وقطعت فى لوح الحلاوة الطحينية ؛  
ووزنت لنفسها ربع اقة .. ودفعت الثمن .. وانصرفت .. وانا  
ارنعض .. ورجبى ممتنع .. لا ادرى ماذا اقول ولا كيف اتصرف .  
وله يغضب منى السيد نظمى عندما عاد ، بل ضحك قائلا :

— انا عارفها .. عقل تركى ..

وتكرر حضور قدرية — وكنت قد عرفت اسمها — فى المواعيد  
التي يتغيب فيها السيد نظمى من دكانه .. ولم تحادثنى مرة .  
او تبتسم لى .. فقط تطلب ما تريد وتمشى .. الى أن كان يوم جاءت

طاب شراء اسبرين ، وناولتها قرصين ، وانا صامت ، لا ارفع  
عينى اليها .. ودفعت الثمن .. ولكنها ظلت واقفة وهى تنظر الى  
فى ثياب ، ثم قالت :

— نفكر الاسبرين يضيع ابرد ؟

ونظرت اليها ، وارتدت نظرتى سريعا .. كأنى خفت من  
جمالها وخفت من عقلها التركى .. خفت من نظرتى اليها .. وقلت  
فى تلثم كاتى اخاطب بنت السلطان :

— والله يا افندم .. بذر الكتان احسن ..

قالت فى لهجة آبرة :

— طيب ادينى بذر كتان ..

قلت لبنت السلطان :

— ما فيش عندنا .. انا آسف .. انها موجود فى الاجزخانه  
الى جنبنا .

وقالت الآمرة :

— طيب تعال ..

ووقفت مشدوها لا افهم ماذا تريد .. فمشخطت فى وجهى :

— تعال اشترىه من الاجزخانه ..

وخرجت من الدكان صاغرا ، وسرت وهى بجانبى ، وركبتاى  
ترنعمشان حتى وصلنا الى الاجزخانه .. واشتريت لها بذر الكتان .  
ودفعت لى الثمن .. ثم ادارت ظهرها .. وانصرفت ..

وعادت مرات اخرى .. والموقف لا يتغير .. ارتجف كلما  
رايتها .. وانظر اليها كأنها نجم فى السماء ، يتنازل أحيانا ويطل  
على الأرض .. ولا أخفى عنك أن اهتمامى قد زاد بها .. وجمعت  
عنها بعض المعلومات .. انها تسكن فى نفس الشارع .. شارع  
خلوصى .. وهى طالبة فى مدرسة الفنون الطرزبة .. وجميع شبان  
الحى يرهبونها ، ولا يجرؤ أحد على مغاللتها ..

وفى يوم جاءت الى الدكان .. فى نفس الموعد الذى يتعقب فيه السيد نظمى وولده .. وطلبت شراء « كمون » .. وارتبكت .. فأتى لا اعرف مكان الكمون فى الدكان .. فاذا بها تدخل الى الدكان ورائى لتدلنى على مكانه ؛ ثم تدس فى يدي ورقة ، دون ان تتكلم .. وارتبكت يدي فوق الورقة .. وخرجت ..

وانتظرت الى ان غابت عن عيني ، وفتحت الورقة ، وقرأت فيها « انتظر غدا ، على محطة ترام النوفيقية ، الساعة السادسة » .

وارتبكت مقاييس حياتى .. فلم يكن من بينها مقياس لمثل هذا الموعد .. وارتبكت يومى كله .. وارتبكت تفكيرى ، وقلبى .. ولكنى قررت ان احتمل كل هذا ، وان اجازف بكل المقاييس والموازن فى سبيل بنت السلطان .. والواقع اتى خفت .. خفت من كل هذه الضجة التى بدأت تزحف على حياتى .. وذهبت الى الموعد ، وانا ايضا خائف .. خائف منها ..

وانتظرت .. ربما انتظرت طويلا .. ولكنى لم انتظر الى بعد الساعة الثامنة .. ليس اكثر من ساعتين .. ولم تحضر .. وعدت الى البيت ، وقد ضاعت منى — لأول مرة — جلستى امام دكان السيد نظمى وولده .. ولا احكمت انى لم اتم ليلتها ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى دكان السيد نظمى .. ومعدنى ترتعش .. واخذت اتطلع الى الطريق ، فى نظرات مختلصة .. ثم قام السيد نظمى وذهب الى بيته ، وبقيت وحدى فى الدكان ، وفجأة ، رايتها امامى .. قدرية .. بنت السلطان .. ولم تبترسم ؛ ولم تتكلم .. لم تطلب حتى شيئا تشتريه كعادتها ؛ انما دسّت يدي ورقة ، وانصرفت ..

انها تعتذر .. لم تستطع ان تخادر البيت .. وهى تحدد اليوم التالي .. نفس الموعد .. ونفس المكان .. وذهبت ..

وانتظرت .. وبعد نصف ساعة جاءت .. ولكنها لم تقف ، بل تحادثتى .. اشارت الى بطرف عينيها وبهزة خفيفة من يدها ان اتبعها .. ونبعثها .. اسير وراءها ، الى ان وصلنا الى اول شارع شبرا .. فتمهلنا حتى انزربت منها .. وقفزت فى احدى سيارات التاكسى ، وهى تهمس :

— تعال ..

ثم استطردت :

— قول له يطلع قوام ..

قلت :

— على مين ؟

قالت :

— اى حته ..

قلت وقد بدا العرق يتصبب من يدي :

— يعنى .. بس قولى حضرتك .. اصل ..

ونظرت الى فى حدة ، ثم قالت للسائق :

— كازينو الحمام ..

وذهبت الى كازينو الحمام ، وقادتني الى خيمة بعيدة تظللها فروع تخفيها عن اعين الناس ، وجلست بجانبها وانا لا استطيع ان اتكلم .. كانى انتظر منها ان تطلب قرص اسبرين ، او باكي شامى .. وربما تعمدت ان تكشف عن ساقها قليلا ، او تميل على اكثر من اللازم .. ولكنى كنت فى حالة من الارتباك والرهبة بحيث لم استطيع ان اتقول شيئا ، او امد يدي اليها ..

وانصرفنا بعد ساعتين ، وهى تبدو جادة كما هى ، قاسية .. وانا اسير بجانبها كالدلول ..

وبعد يومين قابلتها مرة ثانية ، وركبنا سيارة تاكسى ، وقلت كانى اعرف الطريق :

— كازينو الحمام ..

فقاتت فى حدة :

— لا ..

ثم استطردت تخاطب السائق :

— اطلع على الدقى !!

وغاص قلبى فى صدرى .. خفت .. فلم اكن ادرى الى اين  
تأخذنى .. ولم تكن لى من التجارب ما يؤهلنى لان احتمل هذه  
التجربة ..

وبقيت ساكنا .. وكل شىء فى داخلى يرتعش .. الى ان  
دخلنا فيلا فى الدقى .. كان الجو الذى يحيط بالفيللا يوحى اليك  
انها اعدت خصصا لاستقبال هذا النوع من النساء والرجال ..  
وفتحت لنا الباب سيدة فى حوالى الاربعمين من عمرها ترتدى  
الملابس الغامقة وتضع على وجهها اصباغا فاتحة ، وتطل من عينيها  
نظرات جازمة .. وقادتنا الى غرفة .. غرفة نوم .. واغلقت  
الباب علينا .. ثم انصرفت ..

وقالت بنت السلطان :

— معاك جنبه ؟

وكنت مستعدا لمثل هذه الاحتمالات .. احمل فى جيبى كل ما  
ادخرته .. فأعطيتها الجنيه ، وخرجت به .. وربما اعطته للمرأة  
التي فتحت الباب .. ثم عادت .. وجلست بجانبى .. ولاحظت  
انها التصقت بى اكثر من اللازم .. وانها كشفت ثوبها عن ساقها  
.. ثم قالت :

— اف .. الدنيا حر !

ثم خلعت جاكيت التايير ، وظهر لحم كتفها وصدرها فى لون  
الشمطة .. ورغم ذلك فلم اكن استطيع ان افعل شيئا .. كانت

الرهبة تهزنى .. والخوف يملأ صدرى .. لم اكن استطيع ان انحرر  
من احساسى بانى جالس فى حضرة بنت السلطان .  
وبعد فترة قامت من جانبي ، وارتدت الجاكت ، ثم خرجت وهى  
تقول :

— دقيقة واحده من فضلك !

وبقيت جالسا فى انتظارها .. كم انتظرت ؟

وربما اكثر من ساعتين .. الى ان فتح الباب ، ودخلت المرأة  
التي فتحت لنا الباب والتي عرفت فيما بعد ان اسمها عزيزة .  
خبطت صدرها قائلة :

— انت لسه قاعد .. دى ست قدره خرجت من زمان .

وازداد ارتباكى ، دون ان احير جوابا .

وعادت عزيزة تقول :

— ده انت باين عليك خام خالص .. ورينى كده ..

ثم اقتربت منى ، واخذت وجهى بين يديها ، ثم انقضت على  
تفشى ثقلها .. ولم اكن اشعر نحو عزيزة بنفس الرهبة التي  
اشعر بها نحو قدرية .. فبادلتها القبلات .. وانسقت معها الى  
آخر الطريق ..

لقد قلت لك انى رجل جاد .. حياتى كلها تدور حول مجموعة  
من المتقايس والموازين .. وقد اصبحت عزيزة ضمن هذه المتقايس  
الموازين ، اذهب اليها كل مساء فى الساعة الثامنة .. وقيل ذلك  
اذهب لاجلس امام دكان صديفى السيد نظمى هلال وولده ..  
وانتظر الى ان تأتى قدرية ، وتقول لى فى لهجة بنت السلطان :

— ادبنى اسمبرين من فضلك !

فأعطيها الاسبرين وقلبى واجف .. لا استطيع النظر الى  
عينيها .. !!

## بلاكرامة

كنت اجلس فى مقهى « الدونيه » بروما ، وآثار انفلونزا ، مضى عليها عشرة ايام ، لا تزال تنهش فى راسى ، وتكوى أنفى . وتتثقل جفونى ..

وعندما تجلس فى مقهى « الدونيه » لا ترى ايطاليا وحدها ، ولكذك ترى العالم كله .. انه مقهى يقع فى شارع « فيافنتو » احد الشوارع المشهورة فى أوروبا كلها .. ورواده كلهم من الأجانب امريكان ، وألمان ، وانجليز ، وعرب ، وستغاليين .. و .. و .. وكلهم من الثراء ، أو من النجوم .. نجوم السينما ، أو السياسة .. أو نجوم المال !

وهى متعة كبيرة أن تجلس فى مقعد ، ترقب العالم وهو يمر من امامك .. وكنت استعين بهذه المتعة على مقاومة آثار الانفلونزا ، عندما سقطت عيناي على فتاتين تجلسان الى مائدة قريبة .. جميلتان .. لا تزيد عمر كبراهما عن الخامسة والعشرين .. وكل منهما ترتدى ثوبا أنيقا .. كل شىء فيهما أنيق .. الحذاء .. السوار .. الابتسامة .. ولفطات العينين .. أناقة ليس فيها ابتذال .. والصغرى منهما لها وجه لا تستطيع أن ترفع عينك عنه .. وابتسامتها تطل من تحت سنتين بارزتين برورا خفيفا ، وتسلل الى قلبك ، وتكاد تأخذه .. والاثنان منهكتان فى حديث طويل .. لا ينتهى .. ولا تنظران الى احد كان كلا منهما قد اكتفت من العالم ، بالأخرى ..

وأخذت احاول ان ارسم لكل منهما قصة من خيالى .. من اين ، اينما .. لعلهما من المانيا .. لعلهما من انجلترا .. لعلهما من اليونان .. ومن يدرى ربما كانت صغراهما ابنة المليونير العالمى اولمبىس .. وعندما احترت فى تحديد جنسيتها ، قررت — بينى وبين نفسى انها من أمريكا .. فان الشخص الذى لا يبدو على وجهه خطوط واضحة تحدد جنسيتها ، غالبا ما يكون امريكيا ..

وتخيلت الصغرى ابنة مليونير امريكى .. عاشت حياتها فى قصر كبير ، وتلقت علومها فى مدرسة داخلية للبنات ، وقضت عاما واحدا فى الجامعة .. ثم خطبت .. وتزوجت منذ اسبوع واحد ، وجاءت الى ايطاليا مع عريسها لقضاء شهر العسل .. لابد ان عريسها ذهب الآن ليحدث عن تذاكر لباريات الاولبياد ، بينما هى جالسة فى انتظاره مع صديقتها .. و ..

وقطع خيالى صديق عربى جاء وجلس بجانبى يتحدث الى .. ولاحظ خلال الحديث انى ما زلت انظر من تحت جفونى الثقيلة الى الفتاتين .. وتتبع عيني .. ثم ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال :

— هل معك عشرون الفا ؟

واعقدت انه يريد ان يقترض ، فقلت على الفور :

— معى ..

ووضعت يدى فى جيبى لأخرج العشرين الف ليرة .. وهو يساوى — بالسعر الرسمى — حوالى خمسة عشر جنهيا .. ولكن صديقى لم ينتظر حتى يأخذ منى النقود .. بل قام على الفور واتجه الى الفتاتين ورايته يصفحهما ببساطة ، ثم انحنى يخاطب الفتاة الصغرى .. ورايتها بعد لحظة تقوم واقفة ، ثم ابتهى معى الى مائدتنا ..

ووقفت استقبلها ، وقد رفعت الدهشة جفونى الثقيلة من فوق عيني ، وأطارت آثار الانفلونزا من راسى ..

لقد فهمت ماذا كان يقصد صديقى عندما طلب منى العشرين  
الف ليرة ..

وقدمها الى باسمنا :

— روسانا ..

واختصر اسمى وهو يقدمنى اليها :

— حسن ..

وجلسنا .. وأنا محرج ، مرتبك ، لا أستطيع ان التقط طرف  
حديث ابداه معها .. وبعد قليل ، غمز لى صديقى بعينه ، ثم قام  
فوراً ، واستأذن ، وابتعد .. وأنا الهت وراءه بعينى ، كائى  
استغيبك به الا يتركنى وحدى .. !

ولكنه تركنى .. معها .. جالسين على رصيف مقهى الدونيه  
والعالم يمر من امامنا !

وازددت ارتباكاً .. مرت لحظات طويلة وأنا ابحث فى راسى  
عن كلمات اقولها لها .. والذين يعرفوننى ، يعرفون انى أستطيع  
ان اثرثر بقلهى ، ولا أستطيع ان اثرثر بلسانى ..  
وسمعتها تقول :

— هل تريد ان ننصرف من هنا ؟

والفتت اليها وقلت فى ارتباك :

— لا .. ولكن صديقى سيعود الآن .. حالا !

وقالت وابسامتها الانيقة الرقيقة تطل من تحت سنتيها  
البارزتين :

— هل يجب ان تنتظره ؟

قلت بسرعة :

— نعم .. نعم ..

وسكتت وهى تهز كتفيها بلا مبالاة ، وابسامتها تزداد رقة  
واناقة ..

وكان على بعد ذلك ان ابداها اى حديث ، والا اعتقدت انى  
اتعمد اهمالها .

وقلت رسخونة الخجل — لا سخونة الانفلونزا — تشعل  
وجنتى :

— لقد كنت اتخيل الآن قصه انت بطلتها ..

قالت فى صوت رقيق :

— انا ؟

قلت :

— نعم .. انت .. لقد تخلتلك ابنة مليونير امريكى ، تربيت  
فى قصر ، وتزوجت فى الاسبوع الماضى ابن مليونير امريكى آخر ،  
وجئت الى روما لقضاء شهر العسل .. و ..

وريت ضحكاتها رنيماً رقيقاً ، وقالت :

— يا ريت ..

قلت :

— هل كذب خيالى ؟

قالت وهى لا تزال تضحك :

— جدا .. انك على الاقل عرفت من اسمى انى ايطالية ..

ومر بنا جرسون المتهى ، داستوقفته وسألته ، وقد بدأ  
الارتباك يزايلنى :

— ماذا تطلبين ؟

قالت :

— الا تريد ان تذهب الى مكان آخر ؟

قلت وقد بدأت ارتبك من جديد :

— ان صديقى على وشك ان يعود .. لقد قال لى بالعربية انه  
سيعود ..

وهزت كتفيها بلا مبالاة ، ونظرت الى الجرسون ، وقالت :

— برتو ..

وجاء لها بكأس من البرتو الأحمر .. وقالت وهى تلمس  
بذمتها حافة الكأس :

— هل تتخيل دائما قصصا عن الناس ؟  
قلت :

— أحيانا .. وأحيانا يصدق خيالى ..  
قالت :

— ولكنه كذب معى ..  
قلت :

— دعينى أسمع الحقيقه .. حقيقة قصتك ؟  
قالت :

— ليس لى قصة ..  
قلت :

— كل انسان له قصة ..  
قالت :

— ولكن قصتى بسيطة .. لا شىء فيها .. لا تصلح حتى  
لمجرد الحديث عنها ..

قلت :

— لنسمعها .. على الأقل لنقارن بينها وبين خيالها ..  
ونظرت لى فى حدة .. وقد بدا وجهها يكسوه الغضب ..  
وقالت :

— لماذا تريد ن تسمع قصنى .. ؟  
قلت ببساطة :

— لأنى كاتب قصة ..  
وابتسمت ، وقالت :

— ظننتك مجرد ثرثار .. هل تعرف انى من هواة القصص ..  
انى ذوب فى قصص البرتو مورافيا ..

واخذنا نتحدث عن قصص مورافيا .. تكاد تحفظها كلها عن  
ظهر قلب .. ثم عدت اقول لها :

— دعينا نسمع قصتك ..

وابتسمت كأنها تشفق على من لهفتى .. ثم قالت :

— حسنا .. اسمع ..

وبدأت نروى قصتها .. بسرعة .. واختصار .. كأنها تقرأ  
اعلانا فى صفحة الاعلانات الميوبة ..

\*\*\*

كنت فى السابعة عشرة .. موظفة فى بنك ، وادرس فى الوقت  
نفسه لثيل ديبلوم من مدرسة التجارة .. وقابلت برونو .. انه طبيب  
شاب ، تخرج فى نفس العام الذى التقينا فيه .. مهذب .. هادىء  
.. رائع .. لم يكن فيه عيب الا انه اضعف من امه ..  
واحبته ..

لا تتصور كم احببته .. اصححت حياتى كلها هى برونو ..

ولم يكن ينسب حينا الا خوفه وخوفى من امه .. ثم .. ثم  
اخذنى برونو اليها .. الى امه .. وكان قد مضى عام على لقائنا ..  
وتبدد خوفى ..

انها ليست كما كنت اعتقد ..

انها حلوة .. رقيقة .. طيبة .. مريحة ..

وابتسمت لى كأنها تبارك حبنى ..

واصبحت صديقتها .. اسأل عنها بالتليفون ، وتسال عنى ..  
وازورها لأجلس بجانبها اذا مرضت .. وارسل اليها هدايا  
صغيرة ، وارسل لى هدايا كبيرة ..



وجعلتنى صدقاتى لام برونو ، اعتبر نفسى خطيبتة .. انا لم  
تحدثت عز الزواج .. ولكنه كان شيئاً مفروضاً بيننا نحن الاثنين  
.. وكنت أمنحه كل حقوق الخطيب .. اسمع كلامه .. واتحدثت عنه  
أمام امى واخوتى ..

ومضت أربع سنوات على حبنا !

وفى كل شهر ، سبب يؤجل زواجنا .. سبب اصدقته بسهولة ،  
وبلا مناقشة ..

ثم .. اتصلت بى احدى صديقاتى صباح احد الايام ، وصاحت  
نأها تنعى الى قلبى :

— هل تعلمين ماذا حدث ؟

قلت وانا اثناءه :

— ماذا ؟

قالت :

— لقد تزوج برونو !

وقفزت فوق فراشى والهلع يمزقنى :

— متى .. وكيف ؟ !

قالت :

— أمس .. ألم يقل لك ؟

ولم اصدقها .. مستحيل ان اصدقها .. لقد كان برونو معى  
حتى اول أمس .

واتصلت به بالهاتفون ، وما كاد يسمع صوتى ، حتى قال قبل  
ان اسأله شيئاً :

— يستحسن ان نتقابل ..

ولا ادرى كيف ارتديت ثيابى .. ولا كيف ركبت الأتوبيس ..  
انى البت .. وأمام عبنى ضباب كثيف ، لا اكاد ارى من خلاله  
شيئاً ..

ووقف امامى برونو .. ورأسه منكس على صدره ..  
لا يستطيع ان ينظر الى .. وفهيت ..

صدقت صديقتى ..

ورفع برونو رأسه ، وقال :

— ان امى كانت .. و ..

ولم ادعه يتم .. تركته وجريت عائدة الى بيتى .. ودموعى  
سكنتى وتكاد تلتقى بى على الارض ..

والآلم .. انك لا تتصور مدى هذا الآلم .. أربع وعشرون  
ساعة فى اليوم ، وكل شىء فى متقلص .. وجفونى لا تتسدل ..

كأنى بلا جفون .. ودموعى لا تكف عن عينى .. دموع هستيرية  
كأنها من قدر يغلى فى داخلى ..

وكنت اعلم ان مبعث هذا الآلم ليس حبى ، ولكنه كرامتى ..  
كرامتى التى مزقها برونو وأمه ..

وكان على ان احتمل الآلم ، او انسى كرامتى ..

ولم احتمل الآلم ..

ونسيت كرامتى ..

وعدت الى برونو .. عدت اليه .. وهو متزوج ..

ولم اكن اعتقد انى عندما تنازلت عن كرامتى ، تنازلت ايضا  
عن ارادتى .. لقد منحته بعد عودتى أكثر مما تمنحه زوجته ..

وكنت اسأل ان افنن نفسى بأتى اسعى لان يطلق برونو زوجته  
ويعود الى وحدى .. لقد تزوجها لأنها غنية ولأنها ابنة عمه ..

ولكنى سأجعله يزهد فى غناها .. وينسى أنها ابنة عمه .. وكنت  
بذلك اضحك على نفسى .. كنت أخدع كرامتى .. وكنت اعلم انه

.. دام قد تزوجها فلن يطلقها ..

ولكن برونو تغير .. لم تعد بيننا هذه الأمسيات الجميلة التى  
نسير فيها على رصيف النهر .. ولم تعد بيننا هذه الأحاديث

الرفيعة ، لم يعد بيننا أمل .. لم يعد ملكى .. أصبحنا كلها التقينا

منخبىء فى شقة .. ويأخذنى متعجلا .. ثم يتركنى سريعا قبل أن  
يسأل عنه زوجته ..

وكرامتى تذوب ..

واحساسى باللامبالاة يسرى فى كيانى ..

وفى يوم عرفنى برونو بصديقه فيليو .. شاب رائع هو الآخر ..  
وتركنى معه .. وكان فيليو رقيقا ، عاطفيا ، استطاع بحديثه  
أن يشغلنى عن نفسى وعن برونو .. ذهبت معه .. مع فيليو ! ..

ذهبت معه فى أول لقاء .. ولم أحس بانى أخون برونو ..  
ولا بانى أنتقم منه .. كل ما أحسست به انى لا أريد أن أعود الى  
بيتى ، الى وحدتى .. وكرامتى الممزقة ..

وببساطة أصبح لى رجلا أذهب معهما .. برونو ، وفيليو ..  
ثم سافر فيليو .. وحل محله غيره ..

ثم أصبح لى كثير من الأصدقاء .. أصدقاء أذهب معهم ..  
وكل ما أحس به وأنا معهم ، ثم بعد أن أتركهم ، هو .. اللامبالاة !  
وفى وسط هذا الزحام ضاع برونو .. ضاع بلا تعمد منه  
أو تعمد منى .. فقط ، ضاع ، وضعت ..

وانسقت فى طريق اللامبالاة ..

ان الخطيئة كالرمال المتحركة ، عندما تقف على أرضها تغوص  
فيها شيئا فشيئا ، حتى تختفى ..

وقد غصت فى أرض الخطيئة .. وأهملت دراستى فى كلية  
التجارة ، واكتفيت بوظيفتى فى البنك ..

وأصبحت أبيع الخطيئة ..

ابيعها للسواح الأغنياء الذين يأتون الى روما .. أنهم يدفعون  
كثيرا ويأخذون قليلا .. أنهم خير من الرجال الإيطاليين ..

★★★

وابتسمت روسانا ، ابتسامتها الرقيقة المهذبة ، وقالت :

— ألا تريد ان تذهب الى مكان آخر ؟

قلت :

— لا .. ان صديقى سيعود ..

قالت :

— لا أظن أنه سيعود ..

ثم قامت لتصرف .. ووضعت يدي فى جيبى وأخرجت العشرين  
الفا .. وقلت فى تردد وارتابك :

— هل أستطيع .. لقد أخذت من وقتك كثيرا .. وأخذت قصة !  
وكنت أعتقد أنها ستفرض ..

ولكنها أخذت النقود بحركة رشيقة ، لم يلحظها أحد من  
الجالسين .. وهمست :

— جزائيسيا ..

أى متشكرة ..

ثم تركتنى ، وعادت تجلس الى المائدة المجاورة مع صديقتهما  
انيقة .. رشيقة .. أريستقراطية ، كانتا ابنة مليونير ..

— أنت مالك يا بايخ .. أنت حاتستعبدنى .. أنت غاكر نفسك  
.. اسجوزنى ! ..

لماذا لا اتزوجها ؟ ! ..

انى أستطيع لو تزوجتها ان استريح .. استريح من كل  
الرجال .. وأحتكرها .. تصبح لى وحدى ..  
وفقدت نصف عقلى .. وتزوجتها ..

## لست مفغلا

لا أدرى بالضبط متى قررت ان اتزوجها .. والواقع انه لم يكن  
هناك اى داع لاتزوجها .. كانت قد مضت ثلاث سنوات وهى معى  
.. تأتى الى وتقضى الليل بين ذراعى .. وكنت أعلم انى لست  
الوحيد الذى تطرق بابيه فى الليل .. كان فى حياتها كثير من الرجال ..  
وكنت أعلم .. ولم تكن تخفى عنى .. وكان يجب ان أرضى بها  
على حالها .. ولكنى أحببتها .. صدق او لا تصدق .. لقد أحببتها  
.. أحببت واحدة من هذا الصنف من النساء ..

وعندما أحببتها فقدت ربع عقلى .. فبدأت اغار عليها ..  
وكنت اكذب غيرتى عليها .. كنت احاول ان اتنع نفسى بأن هذه  
الغيرة ليست سوى مجرد ادعاءات وحركات تمثيلية أقوم بها  
لاكتسب قلبها ، لعلها تعطينى شيئاً آخر غير ما تعطيه لبقية  
الرجال .. ولكنى كنت اغار عليها .. والانى اغار عليها بدأت  
اتعمد ان التقى بها كل ليلة حتى لا تذهب الى احد غيرى من الرجال  
.. كل لياليتها يجب ان تكون لى .. لى انا وحدى .. والنهار ؟  
لعلها تذهب الى الرجال الآخرين فى النهار .. فبدأت ادعوها الى  
الغداء معى .. وبعد الغداء تذهب الى السينما .. وبعد السينما  
.. الى البيت ! ..

وبدأت غيرتى تشتد .. كنت اقرصها فى ذراعها اذا حدثت  
رجالاً آخر .. واضربها اذا اعترفت لى ان احدا لمس جسدها ،  
وكأنت تصرخ فى وجهى :

ومنذ تزوجتها ازداد عدد الرجال الآخرين امام عيني .. أصبح  
كل رجل يمر امامى عشيقاً لزوجتى ، او كان عشيقاً لها ، أصبحت  
انظر الى زملائى المحامين كلما ذهبت الى المحكمة ، كأنى أبحث فى  
وجوههم عن آثار شفقتى زوجتى .. واتساءل باستمرار .. من منمهم  
رعها .. ومن منمهم استضافها ذات ليلة .. ؟  
وحبستى فى البيت ..

كنت اخرج فى الصباح الى عملى ، واغلق الباب عليها  
بالمفتاح ، مفتاح واحد للبيت ، احتفظ به فى جيبى ..  
واستسلمت هى .. لم تحاول أن تعترض ..

ولم تكن ترى الطريق الا فى صحبتي .. فاذا نظر اليها رجل ،  
اعتقدت انه كان احد المترددين على جسدها ، وكتمت ثورتى الى أن  
تعهد الى البيت ، وضربتها .. اما اذا التفتت هى الى رجل ، فلا  
أمهلها .. اصفعها ونحن داخل السيارة او امام الناس ..  
وهى دائماً مستسلمة ..

ومرضت .. مرضت بالسل .. فجلست بجانبها اعالجها ..  
لم اكن أنام .. دائماً بجانبها .. وكنت اشعر بالراحة وانا أراها  
مریضة ، هزيلة ، صفراء .. كانت غيرتى تكف عنى .. كأنى  
ضمنت انها لى وحدى ، ما دامت مریضة .. انه شعور خبيث  
قاس ، ولكنى كنت ارتاح له ..

وشفيت .. وبعد شفائها حملت .. وانجبت لى ولدا ..  
وأنا لا أكف عن حبها ..

ولا أكف عن غيرتى عليها .. غيرة صفراء مدمرة ..  
وهى دائما مستسلمة .. مستسلمة وهى حبيسة البيت  
والباب مغلق عليها بالفتح .. مستسلمة وأنا أضربها .. مستسلمة  
وأنا أصرخ فى وجهها ..  
ومرت سنوات ..

مرت خمسة عشر عاما ، أنجبنا خلالها ولدا آخر ، وبناتا ..  
ولم يهفت حبنى يوما ..  
ولا هفتت غيرتى ..

وهى دائما حبيسة البيت .. والفتح فى جيبى .. وعندما كبر  
أولادنا أصبحت انا الذى آخذهم الى المدرسة ، وأنا الذى أعود  
بهم ، حتى لا يفتح الباب غيرى ..

وفى يوم أخذتها لزيارة عمى ، وتركتها هناك ريثما أذهب  
لأداء عملى .. وعدت وأخذتها للبيت .. وقالت لى ونحن فى  
الطريق ، أنها سمعت عمى تقول ان فى الحى « فيلا » معروضة  
للإيجار .. واسعة .. ست غرف .. وإيجارها خمسة عشر جنيتها  
.. وكنت أيامها أفكر فى الانتقال من مسكنى .. فذهبت لأشاهد  
« الفيللا » التى قالت لى عنها .. فأعجبتنى واستأجرتها وانتقلنا  
اليها ..

انها نصف فيلا .. الدور الأول سكتا فيه .. والنور العلوى  
يسكنه ناش لا اعرفهم .. من هم ؟ .. ورفعت رأسى يوما ورايت  
شبابا وسيما يقف فى شرفة الدور العلوى .. وفجأة تنبهت ..  
اكتشفت المأساة .. ان زوجتى أرادت ان تسكن فى هذا البيت  
لتكون قريبة من هذا الشاب .. من عشيقها .. ان خمسة عشر

سنة لم تطهر جسدها من الدنس .. ان اولادها لم يثيروا فيها  
كرامة الأمومة ، وعزتها .. انها الآن فى الأربعين من عمرها ،  
ولا تزال كما كانت .. امرأة نيل .. ودخلت البيت كالمجنون ..  
.. وانتهلت عليها صفعا .. وركلا .. اعترفى .. اعترفى أيتها  
الخالطة يا مجرمة !

ولكنها لم تعترف ..

انها تصرخ فى وجهى :

— يا مجنون .. يا مجنون !

قد أكون مجنونا .. لكننى لست مغفلا .. وظللت أضربها  
ثلاثة أيام متوالية .. وأولادى يصرخون .. وهى تصرخ .. ثم ..  
ثم غيرت قفل الباب .. فلابد أنها صنعت مفتاحا للقفل القديم ..

وأنا أضربها .. واصفعاها .. وصرخت ذات يوم :

— طلقنى ..

وبهت ، انها اول مرة تطلب فيها الطلاق .. من أجل هذا  
الشاب الرقيق .. لا .. لا .. لن اطلقك .. وانتهلت عليها ضربا  
وصفعا ..

ولكن .. لعلى مغفل .. انى أغلق الباب عليها بالفتح ، فى  
حين أننا نسكن فى الدور الأول ، والنافذة قريبة من الأرض .. كم  
أنا مغفل .. انى أخرج الى عملى ، وهو — بكل بساطة — يتسلل  
اليها من النافذة .. ويأخذ جسدها :: يأخذها فى بيتى .. يا مجرمة ..  
وانتهلت عليها ركلا وصفعا .. وهى تصرخ :

— طلقنى .. طلقنى ..

لا .. لن اطلقك .. وجئت بنجار سد نوافذ البيت بالواح  
خشبية ، مثبتة بالمسامير .. واصبنا نعيش فى ظلام .. ولكن  
هذا أرحم من ان أعيش أنا وأولادى فى الخيطية ..

ولكن .. ان هذا الصنف من النساء لا يعجز ابدا عن الخطيئة .. ان الجسد الملوث يستطيع دائما ان يجد طريقا الى الخطيئة .. وقد تعودت كل مساء قبل ان انام ان اشرب فنجالا من الشاي .. وقد لاحظت ان النوم يغلبني بمجرد ان انتهى من قدح الشاي .. ثم انام لئلا عويضا كالموت ، واصحو متعبا وصداع عنيف يضح في رأسي .. انها تضع لى مخدرا في الشاي .. حتى اذا نمت .. او على الاصح مت .. سرقت مفتاح الباب من جيبى ، وفتحتة ، وتسللت الى عشيقتها .. يا مجرمة .. اتى لست مغفلا الى هذا الحد .. وانهلث عليها ركلا وصفعا .. وامتنعت عن تناول الشاي قبل النوم .. لم اعد اشرب ماء ، الا من الحنفية .. ولم اعد اكل الا طعاما اشترته من أحد المطاعم واحمله معى الى البيت .. واكثر من ذلك .. لقد استدعيت مهندسا كهربائيا ، فوضع في باب البيت جهازا ، من شأنه اذا فتح الباب ان تنطلق في كل انحاء البيت رنات اجراس صاخبة ، وتوظنى من النوم ، اذا كنت نائما ..

ورغم ذلك .. من يدري ما تستطيع ان تفعله هذه المرأة .. قلت لك ان الجسد المسموم يستطيع ان يجد طريقه دائما الى الخطيئة ، وكنت عائدا الى البيت .. اتقود سيارتى ، والغيرة تعينى .. وفتحة ، وقيل ان اصل الى البيت ببضعة امان .. لمحت هذا الشاب الرقيق يسير في الطريق .. لماذا لا اقتله واستريح .. ولم افكر طويلا .. برهة واحدة مرت بى .. ثم انحرفت بالسيارة ناحية الشاب وانا اتقودها باقصى سرعة .. سادهمه .. ساقطه .. ولكن اللعين تنبه غيل ان اصل اليه ، فقفز الى الرصيف ، واحتفى خلف سور احد البيوت .. واوقفت السيارة ونزلت اصرخ في وجهه .. يا جبان .. يا نذل .. انتظن انك تستطيع ان تشعم بزوجتى .. انتظن انك دون جوان ؟ انا دون جوان اكثر منك ومن ابيك .. وساقطك .. ساقطك يوما ما ..

وهجم على الملعون ، وامسك بى ، واخذ يصرخ .. وكان الناس قد التفوا حولنا على صوت فرملة السيارة ، وصوت صراخنا .. وسمم الشاب الرقيق على ان اذهب الى القسم .. وهناك اتهمنى بالشروع فى قتله ، لاني اتهمه بانه على علاقة بزوجتى ..

لماذا لا يباح قتل مثل هذا الشاب ، حتى يستريح المجتمع .. ولكنى طبعا انكرت التهمة امام البوابيس .. ثم احلنا الى النيابة واعد اتهمه لى .. واستعملت كل لبائتى كبحام فى صد الاتهام .. واستدعت النيابة زوجتى لاخذ اقوالها .. وقلت لوكيل النيابة بصراحة ، ان زوجتى لا تستطيع ان تاتى .. لماذا ؟ لانها حبيسة البيت والمفتاح فى جيبى .. واقتنعنى وكيل النيابة بان افرج عن زوجتى ريثما تدلى باقوالها .. وبما انى محام واعرف هذه الاجراءات ، فقد ذهبت مع الضابط ، وفتحت الباب ، وعدت الى النيابة بصحبة زوجتى ..

اندرى ماذا قالت زوجتى امام النيابة ؟

ايدت الاتهام .. قالت انها سمعتنى عدة مرات اهدد بقتل هذا الشاب .. وانها راتنى من خلال النافذة وانا اهجم عليه بالسيارة .. الكاذبة .. المجرمة ..

لولا النيابة لانهلث عليها ركلا وصفعا ..

انها تريد ان تسجننى حتى يخلو لها الجو ولعشيقتها .. حتى تتخذ من بيتى وكرا لجسدها الدنس المشرب بالخطيئة .. وتتعرك سوداء ..

وانتهت زوجتى من الادلاء باقوالها ، وسمح لها بالانصراف .. وطلب منى وكيل النيابة ان اعطيها المفتاح لتعود الى البيت .. وكنت فى موقف حرج .. كنت موددا بالسجن بتهمة الشروع فى قتل ، فلم ارد ان اجادل وكيل النيابة ، واعطيته المفتاح ..

وذهبت زوجتى ، وهى مطمئنة الى انها تخلصت منى .. انها  
نن ترانى بعد اليوم .. ولكن وكبل النياية أفرج عنى بكفالة خمسين  
جنيها .. رشكرا للباقتى كمحام .. وعدت الى البيت وأنا اغلى  
.. ودماغى تغلى ، ورأسى يغلى ، وقلبى يغلى .. وانهلث عليها  
رذلا .. وهى تصرخ :

— طلقنى .. طلقنى .. انت مجنون .. والله لاجنتك .. والله  
لاؤدبك فى داهيه ..

— لا .. لا .. لن اطلقك .. الآن وقد ثبتت جريمتك لن اطلقك ..  
سأكون أنا تضامك .. أنا عقابك ..

وفى ثانى يوم جمعت اثاث البيت ، وحملتها هى واولادى  
واقمنا فى حجره بمكتى ، حتى تكون دائما بجانبى .. فى تناول  
يدى لأصغعها ، وفى تناول يدي لأركلها ..

ولكنى لم استطع أن أعمل ..

بدا زبائنى ينصرفون عنى ..

وجلست يوما أفكر فى هدوء .. ماذا أفعل ؟ انى لا أستطيع أن  
اطلقها .. فأنا الآن متهم فى جناية شروع فى قتل ، وهى شاهد  
الإببات فيها ، ولو طلقتها فستكون شهادتها أقوى تأثيرا على  
القضاء .. فماذا أفعل ؟ هل أقتل نفسى وأستريح ؟ انى لو قتلت  
نفسى .. لو انتحرت .. فكأنى أقدم لها ولعشيقها فراشا على جنتى  
.. هل اقلته هو ؟ انى سأشئق ! أو قتلته .. أو على الأقل سأسجن .  
بؤيد .. واتركها هى تهرج بجسدها ، وتشين به اولادى ..  
وذكرائى ..

لم يبق الا حل واحد ..

أن أقتلها ..

وفى هدوء قمت اليها والمسدت فى يدي ..

وانطلقت الرصاصه ..

ورأيتها تحت قدمى ، والدم ينزف من رأسها ..

وفجأة .. احسست كأنى خرجت الى النور .. انزاحت غمامة  
من أمام عينى .. وسقطت فوقها ، أقبليها .. وابكى ..

انى لا زلت احبها ..

ولم أعد أغار عليها ..

وعندما ساقونى الى المحكمة اعترفت .. ولكنى لم أقل انها  
خانتنى ..

وحكم على بالسجن المؤبد ..

وأنا الآن فى السجن .. وكل يوم يمر ، تنزاح غمامة أخرى عن

عقلى .. لأزداد تأكدا من أن زوجتى لم تخنى ..

كانت اشرف الزوجات ..

يرحمها الله .. ويرحمنى ..

والسوى ثيابا فخمة من الحرير الغالى ، وزيننى بحلى كثيرة من الذهب والماس واللؤلؤ .. ثم طافوا بى شوارع المدينة ، وعلى ركب كبيرائها .. هو احتفال يسمونه « الزفة » كانت تقضى بالليل عندنا .. تماما كزفة العروس ..

وعدت الى البيت الكبير .. وكان مقصبا على ان ابقى بينى وبينه الى ان انتقل الى بيت زوجى ، لولا ان فجر الله البترول فى بلادنا العزيزة .. واغاض نعمة .. ففتحت المدارس الابتدائية والثانوية ..



والتحقت بالمدارس الثانوية ..

ولم ارسب ابدأ فى امتحان .. كنت اتقبل على العلم كانى اتقبل على الحياة .. كانت السطور تنسلل الى عقلى كأنها اشعة الشمس .. نضيتها ، وتشعرنى بالدفء .. دفء الشخصية الجديدة التى يصنعها العلم لى ..

وختمت .. اى انتهيت من تراسىتى الثانوية ، وكنت اطمح فى التحق بجامعة القاهرة .. ولكن والذى رفض .. ولا نقاش .. وكش الآباء جريمة عندنا .. وودعت المدرسة ، والشارع والنور ، واغلقت خلفى أبواب السجن ، وانما زلت فى السابعة عشرة من عمرى ..

وبدا الفراغ يزحف على ..

ولم اكن اخرج من البيت الا مع بقية سيدات وبنات العائلة وكل منا ترتدى عباءتها .. ولا نذهب الا الى زيارة مملة لبعض العائلات ..

وحاولت ان ابدد فراغ حياتى بالمساهمة فى اعمال البيت .. واكن .. اى بيت هذا الذى أستطيع ان اساهم فى اعماله .. اربع

## خلف العباءة

عزيزى احسان ..

اكتب اليك من بعيد .. من الصحراء .. وحياء البحر الواسع تغسل الرمال .. والسنة للهب المنبعث من آبار البترول تزغرد فى الليل .. وبيتنا فى المدينة بيت كبير ، على الطرز الشرقى القديم . جدرانها عالية .. وكل نوافذه تطل على الداخل .. على فناء بتوسط الدار .. وليس فيه شباك ولا ثقب يطل على الشارع .. وبابه ضخم .. كباب السجن .. كتلة من الخشب .. وله فتحة صغيرة نسميها « خوخة » ..

وأبى رجل عجوز شرى .. لعله تجاوز الستين .. وله اربع زوجات .. ابنى وثلاث اخريات .. اثنتان منهم لا تتجاوزان العشرين من العمر .. واخوتى عددهم اربعة عشر بين بنات وصبيان .. وكلنا نقيم معا فى البيت الكبير ..

وعندما كنت صغيرة .. فى السادسة من عمرى .. اخذونى الى « المعلمية » اى الى المدرسة .. مدرسة على انطرز القديم خاصة بالبنات ، ولا يدرس فيها سوى القرآن ومبادئ الدين .

وحفظت جزءا من القرآن عن ظهر قلب .. وقراته كله .. ثم .. « جودت » اى اعدت قراءته .. وعند هذا الحد .. ختمت .. اى انتهت دراسى .. كاتى نلت الليسانس ، او الدبلوم ..

وعندما « ختمت » ، اخذتنى زميلاتى الى بيت واحدة منهم

زوجات .. وحيثى من الصبيان والبنات .. انه ليس بيتنا : انه  
تسلاق .. سجن !!

ولم اجد ما افعله الا ان اقرا المجلات والتخصص .. كثير من  
التخصص .. واستمع الى اغانى عبد الحليم حافظ ، وفريد الأطرش ،  
واكل الحلوى والشيكولاتة .. واتنفس الفراغ الذى يطبق على  
صدرى ..

ثم .. سكن فى حيننا ، وفى البيت المقابل لبيتنا ، شباب من  
مهاجرى البلاد العربية الأخرى ، الذين ازدحمت بهم بلادنا بعد  
اكتشاف البترول ..

وتحت الساح الفراغ ، والكبت ، بدأت انطلع اليهم من ثقب  
الباب الكبير .. وبدا كل منهم يثير فى رأسى ذكرى قصة قرأتها ،  
او اغنية سمعتها .. واتخيل كلا منهم وقد اختطفنى وتزوجنى ،  
وعشنا العمر كله فى قصة حب ..

الى ان التقت عينى بعينى واحد منهم .. ولا ادرى كيف  
اعتقدت انه ينظر الى .. وعنايه الصارختان بالرجولة ، تأسر  
عينى ، مع انى لم اكن انظر اليه الا من ثقب الباب !!  
واحببته .. نعم .. أحببته .. من وراء ثقب الباب !! ..

\*\*\*

وكان من عادة أبى ان يخرج بعد صلاة الفجر ، ولا يعود الا  
فى الظهر لتناول غدائه .. فكنت أقضى كل هذه الفترة ، وعينى  
ثابتتان على ثقب الباب .. فاذا عاد أبى اختبأت فى حجرى استمع  
الى اغانى عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش .. وابكى !  
وفجأة اكتشفت ان أختى التى تكبرنى — وهى من زوجة أخرى  
تدب هى الأخرى واحدا من الشباب الذين سكنوا قبالتنا ، وانها  
استطاعت ان تصل اليه ..  
وسألته فى لهفة :

— كيف ؟

تألت لى :

— أمى ساعدتني !!

تألت :

— كيف تساعدك أمك ؟

تألت :

— لعلها أرادت الا تحرمنى مما حرمت منه !!

وأنا .. أنا .. هل أفضى عمري محرومة كما حرمت أمى ..

أفضى عمري فى هذا الفراغ الى ان تزوج رجلا عجوزا كلبى ؟ !

وساعدتني أختى ..

أصبحت اندسل معها الى البيت المقابل .. هى الى حبيبها ..

وأنا الى حبيبى .. وكنت أخاف ، ارتعد .. ولكن ما لبث الخوف

ان يبدد ، ولم يعد الا الحب ..

ثم لختلف حبيبى مع حبيب أختى .. وكان الخلاف بسببنا ..

وترك حبيبى البيت الذى يقع قبالتنا ، وسكن فى بيت ملاصق

لبتنا .. الحائط فى الحائط ..

وبدأت حياة جديدة ..

كنت بعد ان يخرج أبى ، أصعد الى سطح بيتنا ، واقفز الى

سطح بيته ، واتسل اليه حاملة له فطوره وغدائه .. وانظف له

مسكنه .. ونقضى لحظات هنية .. ثم اعود عن طريق السطح الى

بيتنا قبل ان يأتى أبى ..

وفى الليل .. بعد ان ينام كل من فى السجن الكبير ، أصعد

حائضية القدمين الى السطح ، واقفز الى مسكن حبيبى .. حتى فى

البلى الشتاء ، والبرد ، والمطر .. لم يكن شئ يحول بينى وبين

حبيبى .. وعشت .. لم يعد فى حياتى فراغ ! .

\*\*\*



و ذات ليلة .. بينما كنت عائدة من عند حبيبى .. وبعد أن  
تفرزت الى سطح بيتنا ، وبدأت أنزل السلم المبنى من الطين ..  
زلت قدمى .. وتدرجت حتى وصلت الى فناء البيت .. وأنا  
أصرخ .

واستيقظ والدى .. وخرج الى مهرولا .. لم يسأل ماذا جرى  
لى .. ولكنه صرخ :

— ماذا تصنعين فى الليل ؟ أين أنت ذاهبة ؟ أين كنت ؟

وتمالكت نفسى ، وقلت :

— كنت فى طريقى الى الحمام .. ومر بين قدمى غار ..  
فعدرت ، وستطت !

وصدق والدى .. وشكرا لظلام الليل الذى أخفى آثار سقوطى  
من فوق السلم ..

وقضيت يومين ، وأنا أجبن على أن أذهب الى حبيبى .. ولكن  
حبى ما ليث أن انتصر على جبنى .. وعدت اتسلل واقفز سطح  
البيت اليه ..

وقامت اوى ذات ليلة من نومها فلم تجدنى فى فراشى ..  
واعترضت انى فى الحمام الذى يقع فى الناحية الشرقية من البيت  
بعيدا عن الغرف .. وانتظرت .. وانتظرت طويلا .. ولم أجد  
.. فقامت تبحث عنى .. ثم بدأت تنادينى بصوت عال .. واستيقظ  
والدى .. ماذا جرى ؟ ..

— ابنتك ليست فى فراشها ، ولا فى البيت كله ..

وقامت الضجة .. وبدأوا يبحثون عنى .. وينظرون ..  
وتذهبت زوجة أبى الثانية الى انى قد أكون فى بيت حبيبى ..  
فعاقلت بقية العائلة ، والقحت حجرا على النافذة .. نافذة الغرفة  
التي تضمنى معه .. وافقت من نشوتى .. وشعرت بالكارثة ..  
والنقطت اذنى صدى الضجة التي تدور فى بيتنا ..

ماذا افعل ؟ .. يا ربى ! ..

سيقتلونى !! ..

\*\*\*

وحبيبى بجائى يرتعش .. ولونه باهت .. انه خائف .. وبأ  
عنى متى خرجت .. خرجت من الباب الرئيسى الى الشارع .. انى  
أريد أن أكون فى اى مكان الا هذا المكان .. مكان فضيحتى ..

وما كدت اصل الى باب بيتنا ، حتى خرجت الى زوجة أبى ،  
وجذبتنى بسرعة الى الداخل ، وهيمت فى اذنى بكلمات سريعة ،  
لقدنى بها ما يجب ان افعله .. ثم وضعت على عباؤها السوداء  
وتسللت كالشبح الى الحمام الخارجى الذى يقع فى فناء الدار ..

وانتظرت قليلا فى الحمام ، وأنا أرتجف ، واستعيد الدرس  
الذى لفتته لى زوجة أبى .. ثم خلعت العباءة وخرجت فجأة .  
وواجهت الجميع ، وصرخت فى وجوههم .. وغى وجه أبى بالذات :

— سمعت صياحكم .. ماذا نظنون بى ؟ لابد انكم تظنون بى  
سواء ، والا لما اتهمتم كل هذه الضجة .. هل حرام أن أذهب الى  
الحمام ؟ هل من العار ان اضطر الى الذهاب الى الحمام ؟

وظللت أصرخ فى وجوههم .. واستعمل الفاظا بذينة . دون أن  
أراعى احترام أبى ، وهيبته .. والجميع ساكنون .. وأبى ينظر  
الى بعين حائرة بين الشك واليقين ..

وانصرفوا عنى .. وحاولت ان أعود الى غرفتى .. ولكن اوى  
جذبتنى من يدى ، وقالت فى همس غاضب :

— لا .. من اليوم ستنامين معى .. وغى فراشى !

وذعرت :

— ولكن يا اوى ان ..

وقاطعتنى :

— لقد بحثت عنك فى الحمام الخارجى .. ولم تكونى فيه !!  
ومن يومها ، وأنا انام بجانب امى .. ناحية الحائط .. وأعيش  
تحت عينيها .. لا تتركنى لحظة أفلت من رقابتها .. وحبيبى خاف  
.. هرب .. انتقل من الحى كله .. لا أدرى الى أين ذهب ؟ ..  
والبيت سجن كبير .. والعباءة السوداء تغطينى من رأسى الى  
أطراف قدمى ..

## لم أمد يدي

أنا تعيسة .. أنا سيئة الحظ ..

لا .. أنا ضعيفة .. أنا غبية ..

لا .. لا أدرى .. لا أدرى ما هو الفرق بين التعاسة والضعف ؟  
ولا ما هى العلاقة بين سوء الحظ والغيباء ..  
ربما كان هناك ناس يولدون تعساء بلا حظ فى الحياة ، وناس  
يولدون متعساء محظوظين ..

وربما لم يكن هذا صحيحا ، انما الناس يولدون جميعا  
سواسية ، ثم يجر كل منهم على نفسه الشقاء أو السعادة ، والحظ  
أو اللا حظ ، ينصرفاته .. التصرفات التى تعتمد على مدى ذكائه ،  
وبدى قوته .. أو على الأصح مدى قوة ارادته ..  
وهذه هى قصتى :

أنا لست جميلة .. ولكننى استطيع أن اجتذب الرجال ..  
لا أدرى كيف .. ربما كان فى شىء يجذبهم الى ، دون تعمد منى  
فلم أشك يوما من الحرمان .. لم أشك يوما من حاجتى الى رجل .  
وقد خطبت وأنا فى السابعة عشرة من عمري ..  
وكان خطيبى شابا رائعا ، وسيما ، ذكيا ، مرحا ، تبيض كل  
دقائق عمره بالحياة .. أن كل دقيقة من عمره تحمل حياة ساعة  
.. لا .. حياة يوم كامل ..  
وكان طيارا .. وأحبته ..

لم يعد يهمنى أنه خطيبى .. لم يعد يهمنى الزواج .. كل ما

يهمنى أنه حبيبي ، كل ما يهمنى اللحظة التي اجلس فيها اليه ..  
اللمسة التي تجمع أيدينا .. القبلة التي تبادلها ، ولم يحتمل حين  
أن ينظر حتى تتم إجراءات الزواج .. كانت لهفة أهدنا على  
الأخر جارية .. عارمة .. لا تعليق الانتظار .. فأسلمته نفسى ..  
أسلمته نفسى قبل أن نكتب الكتاب ..

ولم تشعر أننا ارتكبنا اثما .. انه خطيبي .. انه زوجى ..  
فم انه حبيبي .. ورغم ذلك .. رغم اقتناعنا أننا لم نرتكب اثما ..  
فتد اخفيها الخير عن أهلنا .. لم اقل شيئا لأمى .. بل انى لم  
اتعجل كتب الكتاب !!

ثم .. مات .. سقطت به الطائرة .. هل انا سيئة الحظ لانه  
مات ؟

أم هل انا غيبية ضعيفة لاني اسلمته نفسى قبل كتب الكتاب ؟  
لا ادرى ..

كل ما ادرىه انى تعذبت كثيرا .. واختلط عذابي بموته مع  
عذابي بحالى .. وطال عذابي .. شهور طويلة قضيتها منطوية  
ايكى .. اذكره فأبكي .. واذكر حالى فأبكي ..

ثم بدأت اخرج الى الحياة من جديد لعلى انسى .. وبدأ هذا  
الشيء الغامض الذى امتاز به يجذب الى الرجال .. تقدم الكثيرون  
الى .. بعضهم يطلب قلبى .. وبعضهم يطلب يدى .. وكنت  
استطيع ان اختار واحدا منهم ، واهبه قلبى ، او على الأقل اهبه  
يدى ..

ولم يكن ما جرى لى يشغانى .. لم تكن حقيقة انى لست  
عذراء تخفينى .. انى أستطيع ان اعترف للرجل الذى يتزوجنى  
او .. على أسوأ الفروض — أستطيع ان أجرى هذه العملية  
الجراحية التى تعيدنى مرة ثانية .. عذراء .. عذراء مزيفة ! ..

ولكن .. لم تكن هذه مصيبتى ..  
كانت مصيبتى انى اخترت من بين كل هؤلاء الرجال المزارحين  
حولى ، واحدا ..

اسمه رمى .. ورمزى قبطى .. واحبته ..  
احبته بهوس وجنون .. احبته أكثر مما احببت خطيبي ..  
لا .. ليس أكثر .. ولكنه نوع آخر من الحب .. حب أكثر نضوجا ،  
وأكثر قوة ، وأكثر عنفا .. حب غتاة ليست عذراء ..  
هل انا سيئة الحظ ان حبيبي قبطى ، وبينى وبينه حائل عال  
بحول دون زواجنا ؟

أم انا غيبية ضعيفة ، لانى لم اغلق قلبى دونه ، ولم أقاوم حبه  
قبل ان يتمكن منى ؟ لا ادرى ..

ولكنى انسقت فى حبه الى آخره .. كان احساسنا يتحدى  
المجتمع ، وتحدى القساوسة والشيوخ ، وتحدى آلاف السفين من  
التقاليد .. كان هذا الاحساس دلتحدى يزيد حينا وهجا وعنفا ..  
وكان هناك دائما أمل .. أمل فى ان يعلن اسلامه ويتزوجنى .  
ومرت خمس سنوات ، والأمل يتجدد كل يوم ، ولكنه لا يعن  
اسلامه ويتزوجنى ..

لقد كان يمينى ، وكان متحررا ، وكان يريد ان يعلن اسلامه  
فعلا ، ويتزوجنى فعلا .. ولكنه كان يخاف على ابيه وأمه من ان  
تقتلها الصدمة .. وربما كان اعجز من ان يقتلع من صدره صفة  
انتصفت به منذ ولد ..

وتعبت .. تعبت من هذا الحب .. وتعبت من السنة الناس  
التي تلاحتنى .. ومن ضغط أمى وثورتها التى تلقيها فى وجبى .  
وتركته .. تركته فعلا ..

وكاد يجن .. أصيب فعلا بحالة عصبية كأنها الجنون ..  
وارسل الى كى أعود اليه ، واقسم أنه سيتزوجنى ..

وعدت اليه .. ولكننا ما كدنا نلتقى حتى عدنا الى خلافنا من جديد .. يبدو اننا لا نستطيع ان نقدر مدى التصاق الدين بنا الا عندما نفكر فى التخلّى عنه .. تماما كما لا نحس باننا عرايا الا عندما نهم ان نخلع ثيابنا ..

ولم يستطع ان يخلع دينه ..

وقررت مرة ثانية ان اتركه .. وتركته فعلا ..

وقبل ان تجف دموعى تقدم الى رجل آخر يخطبنى ..

وكان يجب ان اتزوج .. اتزوج اى رجل ، حتى احمى نفسى من ضعفى ، راخف عن حياتى عذاب فشلى ..

ولكن محمود لم يكن اى رجل .. انه رجل كامل .. هادى ، محترم ، راجح العقل .. يتكلم فتنع اسير منطقته ..

التقيت به فى جلسة عائلية .. ولم احبه .. ولكنى ارتحت اليه ..

وخرج يسأل عنى .. انه كبقية الرجال المحترمين لا يتزوج الا بعد ان يسأل ، ويجمع المعلومات ..

وقال له الناس .. لا تتزوجها .. انها فاسدة .. انها ليست عذراء .. انها تحب شايبا قبطيا اسمه رمزى .. و .. و ..

وحتى احدى وقتت ضدى .. قالت له عنى اكثر مما قاله الناس .. ورغم ذلك عاد الى .. قال لى انه يريد ان يتزوجنى رغم كل ما سمعه عسى .. ولكنه فقط يريد ان يسمع الحقيقة منى ..

وقلت له الحقيقة .. كل الحقيقة ..

قلت له انى لست عذراء .. وانى عشت مع رمزى خمس سنوات ..

\*\*\*

واحنى راسه واخذ ينظر نى يديه طويلا ، ثم رفع عينيه الى .. وطلّهما على وجهى ، وسمعته يقول فى صوت عميق :

— لا يهمنى جسدك .. لا يهمنى انك لست عذراء ، او انك كنت درجبل آخر .. كل ما يهمنى هو ان اعرف .. هل لا زلت تحبين هذا الآخر .. هل لا زلت تحبين رمزى ؟

وارتبتك .. احسست انى لا استطيع ان اجيب على هذا السؤال .. انى اعرف بصمات الحياة على جسدى .. ولكنى لا اعرف بصمات الحياة على قلبى . لا اعرف اذا كنت لا زلت احب رمزى .. ولا اعرف اذا كنت استطيع ان احب محمود ..

وقلت وانا اخفى عنه عينى :

— لو تزوجت .. فتق انى استطيع ان اكون زوجة مخلصه ..

قال وصورته يزداد عمقا :

— اخلاص الزوجة بجسدها . سهل .. والصعب هن ان تخلص قلبها وروحها .. وانا اريد الصعب .. اريد ان اتأكد من ان قلبك وروحك اصبحا لى ، انى اتزوج قلبا وروحا ..

وعدت الى ارتباكى .. انى لا استطيع ان اعده بقلبى وروحى الا اذا كذبت عليه ..

وكذبت .. قلت وانا اشعر بدمائى تصهر وجنتى :

— انى لم اعد احب رمزى .. بل انى اكرهه .. لقد خرج من حياتى ..

قال :

— كيف اصدق .. لقد عشت فى حبه خمس سنوات فكيف تدسينه فى خمسة شهور ؟

قلت :

— ربما بدأت انساها قبل ان اتركه . اننا فى العام الاخير كنا نعيش كغريبين ..

قال :

— كيف أتأكد ؟

قلت :

— لا أدري .. ليس لقلبي دليل مادي أستطيع أن أقدمه اليك .. كل ما أستطيع أن أقدمه لك هو ان أتزوجك .. ولم يكف عن النقاش ..

\*\*\*

ومضت أسابيع طويلة وهو لا يكف عن النقاش .. ولم يكن يذكرني بجسدي .. لم يكن يلومني لأنني لست عذراء ، أو لأنني اعطيت نفسي لرمزي .. كان كل ما يريد أن يتأكد منه ، هو اني احبه ، أو على الأقل اني لا أحب غيره ..

وكان يعذب .. يتعذب بحيرته وشكوكه !

انه يجبنى .. وانا .. لا احبه ، ولكني أستريح له ، واحترمه ، وأريد ان أتوجه .. ولم يكف محمود بنقاشي بل ذهب ليناقش رمزي أيضا !  
سأله :

— هل لا تزال تحبها ؟ ..

وكذب رمزي .. انكر انه لا يزال يجبنى .. وأصر على الإنكار .. أصر الى حد ان ثار محمود في وجهه واتهمه بالنزالة ، والسفالة .. وصرخ في وجهه :

— كيف تعيش مع فتاة خمس سنوات ثم تذكر أنك لا تحبها .. ورمزي لا يزال يصر على الإنكار ..

ربما جينا منه .. ربما لأنه خاف من محمود ..

وأخيرا .. وأخيرا خرج محمود من حيرته وتزوجني .. وشعرت لأول مرة في حياتي بالاستقرار .. شعرت لأول مرة

أبي بيتا .. وأن لي رجلا .. وبدأت أتمنى أن يكون لي أولاد .. وبذلت كل ما أستطيع لأسعد محمود ..

انني لا زلت احب رمزي .. انني لا أستطيع ان أنكر هذا الحب ، ولكنني أقاومه .. أقاومه بكل ارادتي .. لم أحاول ان أتصل به بعد الزواج .. وكنت أشغل نفسي عنه طول يومي بأعمال البيت .. وبنيت متأكدة اني خلال شهر سأنساه .. سيبيرا منه قلبي ، وتبرا به روحي .. وبعد ذلك أستطيع ان احب محمود .. احبه بكل قلبي ..

.. ورمزي .. ومحمود سعيد ..

ومن خلال سعادته ، أحس انه يراقبني .. يراقب قلبي وروحي .. ليتأكد انهما أصبحا له ..

\*\*\*

الى ان كان يوم .. وكان قد مضى ثلاثة شهور على زواجنا .. وكنت واقفة في المطبخ أعد الطعام ، وعقتي سارح وراء قلبي .. وراء حياتي كلها .. وراء ذكرياتي .. ذكرياتي مع رمزي ..

وعاد محمود من عمله ..

ودخل دون أن أشعر به ..

وتسلل على اطراف أصابعه ووقف خلفي .. وانا أمام الموقد .. عقتي سارح وراء قلبي ، ثم لف ذراعيه حولي ..

— ايه ده يا رمزي !!

وخرست مرة واحدة !!

خرست وقد شعرت باسم « رمزي » يكوي لساني ..

وأرختي محمود ذراعيه عني .. ووقف ينظر الى وفي عيني .. يقول .. ثم انهارت عيناه ، وانهارت كل ملامح وجهه ، ونكس

رأسه .. واستدار لى وخرج فى خطا بطيئة .. كأنه يمشى فى جنازة ..

وانا واقفة .. عيناي مذعورتان .. وشهقة تشق قلبى ..  
وأطرافى ترتعش .. ثم جريت وراءه وأنا أصرخ :

— محمود .. محمود ..  
ولكنه لم يلتفت الى ..

خرج من البيت .. وأنا أصرخ وأشد شعرى .. ثم انكفأت  
أبكى ..

وفى اليوم التالي .. وصفنى ورقة الطلاق ..

\*\*\*

هل أنا سيئة الحظ لأن اسم حبيبى السابق انطلق على لسانى  
رغم ارادتى !!

أم أنا ضعيفة غبية لأنى تركت عقلى يسرح وراء قلبى ، وتركت  
نسانى يفلت منى ..

لا أدرى .. كل ما أدريه انى لا زلت أبكى ..

وانى أحب محمود .. ربما لم أحب أبداً ، قبل ان أحب  
محمود .

## رجل ينفخ البالونات

كانت هوايته : صناعة الاسماء الكبيرة .

انه غنان .. مخرج سينمائى ، وصاحب شركة انتاج ، وأحيانا  
مذيع القصص ، وأحيانا يرسم ، وأحيانا يؤلف قطعاً موسيقية ..  
والآن ، ظلت هوايته الأولى : صناعة الاسماء الكبيرة ..

كان يبخلق فى كل وجه يقابله .. وجوه بائعات البانصيب ،  
وربيرة الخاديات ووجوه فتيات الكومبارس ، ووجوه الطلبة  
والطالبات .. و .. و .. و .. يبخلق فيها بعين خبرة ، كأنه  
يبحث عن قطعة من القماش يصنع منها ثوبا جديداً .. فإذا وجد  
ممنوعة القماش وضع كل فنه .. كل حماسه .. كل ما يملك .. حتى  
يصل منها نجمة أو نجما سينمائيا مشهورا .. ذا اسم كبير !

ولم يكن يلتن الوجه الجديد اصول الفن وحده .. كان يلتنه  
الحياة نفسها .. كان يعلمه كيف يأكل ، وكيف يتكلم ، وكيف  
يحب .. كان يخلق له شخصية جديدة يواجه بها الناس ..  
شخصية من صنعه هو ..

لقد عرفته عندما التقط احدى الخاديات .. كان يدخلها بنفسه  
الى الحمام ، ويقف على الباب الى ان تستحم .. ثم يصحبها الى  
الحلاق والخياطة .. ويجلس امامها وهى تأكل ، ويعلمها كيف  
تعمل الشوكة والسكين .. وكيف تقفل شفيتها وهى تمضغ  
الطعام .. وكيف ومتى تتكلم .. ثم يأتى لها بمدرس ليعلمها اللغة  
الفرنسية أو الانجليزية .. ويختار لها الكتب التى تقرأها .. و ..

انه يخلق شيئا جديدا .. انه ينفخ من انفاسه روحا من الجسد الذى اختاره ..

ولم يكن يريد شيئا من الاسماء التى يصنعها ..

لم يحدث مرة ان قامت بيته وبين بنت من البنات اللاتي يصنعهن . علاقة غرامية .. ولم يحدث ان استغل اسما من الاسماء الكبيرة التى خلقتها فى فيلم من افلامه ، بل كان دائما يعطى اجرا على العمل فى افلامه اكبر من الاجر الذى يعطيه اى منتج آخر ..

كان كلما يريده هو ان يتباهى بالشيء الذى خلقه ..

كانت كل سعاده ان ينظر الى الاسم الكبير المعلق فى اعلانات الحائط ، ويهمس : هذا من صنعى .. وعاش هكذا طويلا ..

كان كيناع البالونات ، ينفخ فيها انفاسه حتى تكبر .. وتكبر .. ثم يعلقها بخيط يقبض عليه بيده ، ويدور متباهيا بين الناس .. هذه البالونات كبرت بانفاسى !

واحيانا كانت تطير بالونة بعيدا عنه .. فينظر اليها وهى تخلق فى السماء ، جزعا ملهوبا .. كالطفل .. ويتعذب .. يكاد يبكى .. كان لا يصدق ان هذه البالونة تستطيع ان تعيش بغيره .. كيف تستطيع وهى تحمل انفاسه .. ورغم ذلك فبعض البالونات عاشت بغيره .. ظلت ملحقة فى السماء .. صحيح ان بعضها سقط ، ولكن البعض الآخر ظل معلقا !!

ثم كان يعود الى هوايته .. صناعة الاسماء الكبيرة ..

ورايته وقد التقط طالبة مجهولة .. كانت انسانة ضائعة الشخصية .. ربما كانت ذكية .. ولكنها كانت ضائعة .. لا تدري ماذا يمكن ان تكون .. ماذا يمكن ان تصنع فى الحياة ..

وبدا الفنان يزيح عن شخصيتها الضياع ، ويمسح الاتربة عن

قلبا وعقلها .. وينفخ فيها حتى كبرت .. وكبرت .. اصيحت اسما كبيرا ..

وفرح بها .. كان نزهو بها ..

وفجأة .. وقفت تتحداه .. صرخت :

— سأتحدر منك ..

قال جزعا :

— مستحيل .. انك لا تستطيعين ان تتحررى من نفسك .. واذا نفسك ..

وصرخت :

— انت لا شيء .. انا اكبر منك ..

قال فى هدوء :

— ان الله لا يصنع شيئا اكبر منه ..

قالت :

— انت مغرور .. انك لست الها .. انت تجربة .. مجرد

تجربة استفدت منها .. انت عكاز استندت عليه عندما كنت ضعيفة ..

ولست الان فى حاجة الى عكاز ..

وصرخ :

— سأحطمك ..

وصرخت وعيناها فى عينيها :

— لن تستطيع لائك لست الها .. جرب ان تحطمنى ، وستعلم انك لست الها ..

وطارت البالونة .. طارت بانفاسه التى نفخها فيها ..

ولم تكف بأن تتحرر منه ، بل اخذت تحاربه .. تحاربه فى

منه .. وفى سمعته .. بدأت تحاول تحطيمه ..

ووقع صريع حالة نفسية عنيفة .. انه لا يستطيع ان يحاربها

كما تحاربه .. انها من صنعه ولا يستطيع ان يتبرا منها ..  
لا يستطيع ان يخرج الى الناس ويقول لهم انه صنع شيئا تذرا ..  
انانيا ، انتهازيا .. لا يستطيع .. انه يريد ان تبدو دائما جبهة ..  
.. دائما كبيرة .. دائما محبوبة .. لانها من صنعه ..

ولكنها تحاربه .. تتجرا عليه .. تنهشه ..  
وصراعة مع نفسه يشتد .. ويكاد يقضى عليه ..  
وقلت له :  
— الحق عليك ..

قال :  
— كيف ؟ ..

قلت :  
— لانك لم تكن تنظر اليها ، بل كنت تنظر الى نفسك فيها ..  
ولم تكن تعجب بها ، ولكنك كنت تعجب بصنعك !

قال :  
— انها لا تستطيع ان تتكرنى من وجودها ..  
قلت :

— انها فى حاجة لمن ينظر اليها كما اصبحت ، لا كما كانت  
وانت كنت تراها مجرد طالبة مجهولة .. كنت كالأب الذى يرى  
اولاده انهم فى حاجة لمن يعاملهم كبار .

قال :  
— انى اكثر من اب .. انا الذى خلقتها .. انا ربها ..  
قلت :

— لا .. انت مجرد فنان .. والفرق بين الفنان والاله ..  
ان فضل الفنان على عمله ينتهى بمجرد ان يفرغ منه .. اما الاله  
فمنظال صلته قائمة بينه وبين خلقه ، يأمرهم ، ويحدد مصائرهم .  
ويتوهم ليستعيدهم اليه ..

قال :

— انى لم اطالبها بأن تعبدنى .. فقط تعترف بفضلى ..  
قلت :

— انها لن تعترف بفضلك الا اذا اصبحت اكبر منك ..  
ماذا لم تعترف لك بالفضل فأنت لا زلت اكبر منها .. واحمد الله ..  
قال :

— انك لا تدرى ماذا صنعت لها .. لقد كانت بالونة فارغة  
.. ونفخت فيها من انفاسى حتى اصبحت كبيرة كما تراها الآن ..  
قلت :

— انفاسك هواء .. والنفاس ترى البالونة ولا ترى الهواء  
داخلها ..  
قال يائسا :

— خسارة ..  
قلت :

— انك لم تخسر شيئا .. لانك فنان .. ولانك فنان تستطيع  
ان تصنع بالونة اخرى ..  
قال :

— لتطير منى ؟ !  
قلت :

— لتطير منك .. لتملأ السماء بالونات ..  
وسكت .. سكت شهورا ..  
وبدا ينفخ فى بالونة اخرى ..



المهذبان بحمرة الخجل ، كأنها فتاة صغيرة فوجئت بسؤال يفتح  
أفواه .. ثم سكنت .. لم ترد على سؤالى ..

وعدت الح عليها ، وأسألتها :

— وهل أحببته قبل أن تتزوجيه ؟

وسكنت وهى تتنهد ، وظل ابتسامتها يطوف حول شفيتها ..  
فأنت كائى أتوسل إليها :

— طنط .. لا تبخلنى على .. انك لم تعودينى على البخل ..  
فموصفا عندهما يتحدث عن المرحوم ..

وقالت زينب هانم فى صوت هامس كأنها تحدث نفسها :

— لا .. لم احبه قبل الزواج .. ولم اره قبل زفانى اليه ولم  
احبه ايضا فى السنوات الأولى من زواجنا .. مضى أكثر من خمس  
سنوات وانما زوجة له .. بلا حب .. ثم أحبته .. أحبته الى حد  
انى لم أعرف من عمري يوما لم احبه فيه ..

وسألتها فى لهفة :

— كيف .. ؟ احكى لى يا طنط ..

ونظرت الى كأنها تعذرنى فى لهفتى ، وهى تعلم انى كاتب  
مضى .. ثم اطلقت عينيهما خارج النافذة كأنها تلتقط ذكريات من  
الماضى .. وبدأت تتحدث فى صوت خفيض هامس .. كأنها تعترف  
باعتزاز لربها ، أو لزوجها ..

— لقد وضع زوجى نظاما غريبيا لحياتنا منذ اليوم الاول  
وزواجنا .. كان يخرج من البيت فى الساعة الثامنة صباحا تماما  
ويذهب الى الوزارة ، ويخرج من الوزارة فى الساعة الثانية  
من الظهر ، ويتجه مباشرة الى النادي ، ويتناول غداءه فيه ، ثم  
يلى مع اصدقائه حتى الساعة الثانية عشرة .. منتصف الليل ..  
فى الساعة الثانية والنصف ، اسمع صوت مفتاحه يدور فى قفل

## بلا مطبخ

عرفت زينب هانم منذ كنت طالبا فى الجامعة .. انها عمّة  
زبلى فى الدراسة ممدوح عاصم ، وكان يقيم معها منذ توفى  
زوجها ، وتركها بلا اولاد ..  
كنت اناديها .. طنط زينب ..

وكنت أرتاح للجلوس معها .. كنت احس بجانبها كأن الدنيا  
كلها هادئة .. وكأن الناس كلهم طيبون .. وكانت تنقلنى  
بالبنسامة الحلوة ، وعينيها الحالمتين ، وشعرها الذى اختلط فيه  
البياض بالسواد ، وحديثها الممتع ، تنقلنى الى عالم قديم .. عالم  
غير عالمنا .. عالم تقوح فيه رائحة بخور معطر ..

وكان اغلب حديثها عن زوجها المرحوم .. لا تكف ابدا عن  
الحديث عنه . ان كل ما حولها ، يذكرها به .. وكل موضوع  
يثيره الحديث ينقلها اليه .. وكانت عندما تتحدث عنه المح نى  
عينيها لمعة قوية كأنها استردت كل شبابها . وكانت تحاول ان  
تخترق الحجب بعينيها لتصل اليه وتراه ..

وقد بلغت الأربعين من عمري ولا زلت اذهب اليها كل اسبوع  
مرة ولا زلت اناديها .. طنط زينب .. واجلس معها ، واستمع الى  
حديثها .. حديثها عن زوجها .. وارى اللمعة القوية تنطلق من  
عينيها .. وفى مرة قلت لها :

— انك لم تحدثينى ابدا عن قصة حبك للمرحوم ..

ورفعت طنط زينب عينيها ، ثم أرختها ، وقد تضرجت وجنتاها

الباب .. ويدخل الى .. ! ولم اعترض على هذا النظام .. لم يكن لي حق الاعتراض ..

ثم انى لم اكن اريده ، او اريد منه شيئا ..

واصبحت بعد ان يخرج زوجى فى الصباح ، اذهب الى والدتى ، وابقى معها ، الى ان اتناول طعام الغداء .. ثم اعود الى البيت فى الساعة السادسة مساء .. وانتظر زوجى .. لم يكن بيتى بيتا .. كان مجرد لقاء بينى وبين زوجى ..

وكان بيتى يبدو غريبا بين البيوت الأخرى .. لم يكن فيه مطبخ .. اعنى اننا لم نكن نستعمل المطبخ .. لم يكن عندنا طبخ ولم نكن نطهو طعاما .. حتى ان صديقتى كن يطلقن على لقب : « الست اللى من غير مطبخ » !

ومرت الشهور وأنا محتمة هذه الحياة دون ان اضيق بها .. بل ربما حمدت الله على تحررى من مسئوليات زوج يشغل كل وقتى بمطالبه .. ولكنى شيئا فشيئا بدأت احس بالملل والضيق .. خصوصا وقد بر عامان دون ان انجب اطفالا يملئون بيتى بالحياة .. وكان اول ما شعرت به هو مطبخى .. المطبخ الصامت النظيف الذى لا يضح بصوت بوابير الجاز ، ولا تفوح منه رائحة السمن والثقيلة . وقد حاولت ان ابعث الحياة فى مطبخى .. كنت ادخل اليه انا وخادمتى نعيمة ، واخلو ان اطيخ .. وكنت اطيخ فعلا .. ولكن ما قيمة ما اطيخه ما لم يقدم لرجل يتذوقه !

ويئست .. وعدت اتناول غذائى عند والدتى .. ولكنى اتجهت نحو ابنتى اتجاهها جديدا .. اخترت نوعا جديدا من المصداقات .. نوع اشتهر فى ضاحية مصر الجديدة بالمرح والمغامرات .. وامرحت اتضى معهن كل وقتى .. اتناول غذائى معهن ، واسهر معهن حتى الساعة العاشرة ، وأحيانا الى الثانية عشرة .. وأحيانا

اعود الى البيت بعد عودة زوجى .. فلا يحاسبنى ، فقد كان مطمئنا .. مطمئنا الى صديقتى .. وفى احدى هذه الليالى تعرفت بالمطرب الذى كان معروفا على ايامنا .. الأستاذ ابراهيم عزوز . ولا ادرى ماذا حدث لى .. ولكنى وجدت نفسى انساق مع حسنة .. ثم انساق مع همساته .. ثم انساق مع ضغطة يده على اذنى ..

وعرفت صديقتى سر الاعجاب المتبادل بينى وبين الأستاذ ابراهيم .. ولكنه كان مجرد اعجاب .. وربما تطور الى شىء اكثر مللا من الاعجاب .. ولكنى بقيت حريصة على ان اكون زوجة نظيفة مخلصه لزوجى .. لم يكن بينى وبينه اكثر من هذه الهمسات والهمسات التى تتبادلها فى السهرات ، خفية عن العيون التى تحيط بنا .. الى ان قال لى ابراهيم مرة :

— مش حانغزمينى عندك يا زينب هانم ؟

قلت دون ان اعنى ما اقول :

— اهلا وسهلا ..

قال فى بساطة :

— يكره حاجى اتغدى عندك !

ورنيت فى اذنى كلمة « الغداء » .. رجل سينغدى عندى فى بيتى الذى لم يتناول فيه رجل من قيل طعام غدائه .. وقبلت ان ادعوه الى الغداء .. احساست كانى اشتريت الحياة لبيتى ..

ولم يكن ابراهيم يعرف ظروف حياتى ، ولا النظام الذى نعيش فيه .. انما دعا نفسه وهو يعتقد انه سيقابل زوجى .. وكان من وادنه ان يقابل ازواج كل السيدات حتى عشيقاته !!  
 وضحوت فى اليوم التالى مبكرة .. ربما لم اتم طول الليل ..

وأنا أقل لزوجى عن دعوتى للأستاذ إبراهيم .. أنها انتظرتة الى أن  
خرج ، وجريت الى المطبخ .. وأرسلت الخادم يشتري الطعام ..  
واقنيت نفسى أنا ونعيمة فى طبخ أشهى طعام يمكن أن نطبخه ..

• وجاء الأستاذ إبراهيم .. وفوجيء عندما لم يجد زوجى ..  
ولأنه لم يهنم .. وجلس معى فى المائدة .. لأول مرة اجلس مع  
رجل على مائدتى فى بيتى .. ولأول مرة احس بببىي .. واحس  
انى زوجة .. زوجة من ؟ لا بهم ؟ .. المهم انى زوجة ..

• واصبح إبراهيم يتناول غداءه فى البيت كل يوم ..  
واستأجرت طباخا .. قلت لزوجى أريد طباخا .. فلم يعرض ..  
ولا حاجة لى لأن أقول لك .. انى انسقت مع الأستاذ إبراهيم  
الى آخر الطريق .. زوجة خائفة .. ولكنى لم أحسسه .. كل  
ما احببته فيه أنه رجل يتناول غداءه فى البيت .. بيتى !

• ثم .. حدث يوما أن كنت جالسة مع إبراهيم فى صالون  
البيت بعد تناولنا الغداء .. نتحدث فى هدوء واطمئنان .. وكيف  
لا نطمئن وزوجى لا يعود الا بعد منتصف الليل .. ولم يحدث مرة  
أن أخلف مواعده ..

• ولكن .. فجأة — وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر — سمعت  
صوت المفتاح يدور فى القفل .. انه زوجى ..

• ولا أدرى كيف امانتى ذكائى ، وشجاعتى على التصرف ..  
واكنى دفعت إبراهيم دفعا الى باب المطبخ لخرج منه .. ثم هرعت  
لاستقبال زوجى عند الباب .. ولكن إبراهيم كان قد خلع سترته  
وتركها على المتعد الذى بجوار الداب .. فجلست فوقها على المتعد  
بسرعة ، واستقبلت زوجى ، وأنا جالسة .. فوق سترة عشيقتى !  
وربما كنت ارتعش ..

• ربما كانت رموشى تهتز فوق عيني .. ربما كان صدرى يتهدج ..

• وأنا زوجى صامحنى مبتسما ، ثم خلع طربوشه وتركه على  
المسجيب المجاور للباب فوق المتعد الذى اجلس عليه .. ثم أدار  
ظهره ودخل الى غرفة النوم .. وهو يقول :

— أنا نسيت المحفظة بتاعتى وأنا نازل الصبح ..

• وانتظرت الى أن دخل غرفة النوم ، ثم قمت من فوق ستره  
بببىي ، وأمرت نعيمة الخادمة أن تحملها الى الأستاذ إبراهيم  
الناظر فى أسفل سلم المطبخ ..

• ثم جريت وراء زوجى ، الى غرفة النوم ..

• واخذ زوجى المحفظة ، ثم تبادل معى كلمتين .. وهم بالخروج  
سدا الى النادى .. وعند الباب بحث عن طربوشه .. لقد اختفى  
الطربوش ..

• وادركت ما حدث .. لقد أخطأت نعيمة ، وظننت فى ارتباكها  
أنه طربوش الأستاذ إبراهيم ، فحملته اليه مع السترة ..  
وارتبكت ..

• ولا شك أن الارتباك قد بدا واضحا فى عيني ، وفى رعشة  
جسدى ، ولعثة لسانى .. ولكن الابتسامة لم تسقط من فوفى  
سقتى زوجى .. ظل ينظر الى طويلا .. دون أن يتكلم .. ثم  
خرج ! .. وقضيت أتعس أيام عمرى ..

• ولم أخرج من البيت ليلتها .. بقيت فى انتظار زوجى ، وقلبى  
يضر بخلوعى كأنه يصغنى ، وذكائى ينشط بحثا عن دفاع يمكن  
أن أرويه له اذا فاتحنى زوجى فى حكاية الطربوش .. وعاد زوجى  
فى مواعده تماما ..

• ولم يذكر شيئا عن الطربوش .. أنها أخذ يتحدث معى كعادته :  
وربما كان ليلتها أكثر اقبالا على ، وأكثر رقة من عادته .. الى

ان فاتحته أنا في حكاية الطربوش .. وقتلت له انه كان قد وقع من  
على المشجب ووجدناه تحت الأريكة .

ولم يبد زوجي اهتماما .. وفي صباح اليوم التالي ، وقيل ان  
بخرج ، استدار الى ، وأمسكني من كفتي في رقة ، وقال باسمي :  
— أنا جائفدي هنا النهارده يا زوزو .. أصلى افتكرت ان  
عدنا طباخ !

وخفق قلبي .. وشعرت بوجنتي يضجان باللهب ..

وقبلني في جبيني قيل أن يخرج ..

وأحبيته !! وعاد ليتناول غدائه ..

كل يوم يتناول غدائه معي .. في بيته .. لقد عرفت الآن  
زوجة من أنا .. أنا زوجته .. وأحبيته !!

## هذا البريق

اسمى : عباس محمد ..

وهو كما ترى اسم عادي ، كالقرش المسوح .. ليس له  
بريق ، ولا يثير انتباهك ، ولا يثير حتى اشمئزازك .. انه مجرد  
اسم من ملايين الأسماء .. اسم ، والسلام !

وشكلي أيضا .. مجرد شكل عادي .. لي عينان ، وأنف ،  
وعم .. لا يتقضى شيء .. ورغم ذلك فاذا مررت بي ، فإني لا تكاد  
أدري .. كان ليس لي شكل .. كأنني لست موجودا .. فإني لست  
أدري حتى تقف وتشفق عليّ من قهيمى .. وأنفي ليس كبيرا  
وملتويا كأنف اللبائشو ، حتى تقف وتضحك عليّ .. ولست  
وسيميا كنجوم السينما ، حتى تقف وتمتع بعينيك بوسامتي ، وتعجب  
بي : أو تغار مني .. أني مجرد شكل .. مجرد رقم من ملايين  
الأرقام ..

وشخصيتي كذلك .. لا تثير اعجابك ، ولا تثير احتقارك ..  
لا تثير فيك شيئا أبدا .. فاذا جلست مع اصدقائي فهم لا يتأذون  
منى ، فإني لست ثقيل الظل ، ولست سخيفا .. واذا غبت عنهم  
لا يفتقدونني ولا يسألون عنى : فإني لست خفيف الدم ، ولست محدثا  
لبدا ، حتى يحسوا بغيبتي ..

وذكائتي . أيضا .. لست لأمع الذكاء ، ولست غيبيا .. وفي  
جميع مراحل الدراسة لم يكن ترتيبى بين زملائي الأول .. أبدا ..  
ولم يكن ترتيبى الأخير .. ان مكائى دائما حيث لا اثير انتباه أحد  
.. السابع عشر ، أو الثامن عشر ، أو التاسع عشر ، في ترتيب  
الناجحين .. وحتى في الألعاب التي هويتها كنت واحدا والسلام

.. كنت احب ان لعب كرم القدم ، وكنت انضم الى فريق الكرة فى كل مدرسة ادخلها ، ولكن لم يحدث مرة ان اصبحت المرمى ، كما لم يحدث ان اخطات فى اللعب ولكن لم يحدث ان صفق لى الجمهور ، ايا صفر لى ..

واخلاقى .. انك لا تستطيع ان تعتبرنى فاضلا ولا ان تعتبرنى سافلا .. انى اشرب الخمر ، ولكنى لا اسكر .. واغازل البنات ، ولكنى لا اصل اليهن .. و ..

هذا هو انا .. انى اعرف نفسى جيدا .. وصدق بعد هذا انى فنان ..

رسام .. وقد هويت الرسم من صغرى .. وكبرت معى هوايتى .. وكنت ارسم كثيرا .. كنت ارسم شجرة مثلا .. وتظنر اليها فتعرف انها شجرة .. ليس فيها شئ ناقص .. الفروع متكاملة ، واوراقها مرسومة ورقة ورقة بكل ما فيها من تفاصيل .. والالوان ليس فيها خطأ .. ورغم ذلك فلم يكن احد يبهر بما ارسمه .. كانوا يكتفون بابتسامة صغيرة ، وكلمة تشجيع ، وتبقى عيونهم مطفأة ، ليس فيها دهشة ولا انبهار ..

وكنت اعرف ما يتقصنى .. يتقصنى هذه اللبعة التى يتميز بها الفنانون .. هذا البريق الذى ينطلق من نفس الفنان ويسرى فى يده المسكبة بالفرشاة .. كان يتقصنى هذا البريق لاكون واحدا من كبار الفنانين .. ما يكل انجلو .. روفللى .. يوسف كامل .. محمود سعيد .. جمال قنبل ..

وقررت ان اقضى حياتى كلها بحثا عن هذا البريق .. والتحقنت بكلية الفنون الجميلة .. وقبولونى بين طلبتها ، لانهم لم يستطيعوا ان يرفضونى .. لا لانى اثرت اعجابهم ..

وفى هذا الوقت سكنت سنية مع عائلتها فى الشقة التى تعلقنا فى الدور العلوى .. فناة لم تتم تعليمها .. يبدو عليها

الغباء .. وبدأت تنردد علينا لزيارة اختى .. ورات لوحاتى لأول مرة ، فاذا بها تصيح :

— الله حلوه قوى يا عباس .. انت مدهش !

وتظنرت فى وجهها .. ولحنت غباها .. ولم اقتنع برأيها .. لمعها منافقة .. لعلها جاعلة .. ورغم ذلك فان صيحتها اثارتنى لأول مرة نوعا من الغرور الخافت الضئيل .. غرور لم يستطع ان يقنعنى بانى لامع ..

واصبحت اذهب الى الكلية كل يوم ، واعدود الى البيت لأرسم .. واترك سنية الغبية .. الجاهلة .. تبدى اعجابها بما ارسمه ..

واهتمت اهتماما كبيرا بدروسى .. اصبحت اعرف كل شئ من فنون الرسم .. واصبحت ارسم لوحات ، لا يمكن ان تجد فيها خطأ واحدا من الناحية الفنية .. والتكنيك .. ورغم ذلك فلم يكن بينها لوحة واحدة تثير اعجاب اساتذتى أو زملائى .. او تثير نقدا يمكن ان يواجيوني به .. لم اسمع من واحد منهم هذه الصيحة التى اسمعها من سنية .. فقط ابتسامة صغيرة ، وكلمة تشجيع وعيون مطفأة ليس فيها دهشة ولا انبهار ..

ثم .. ثم احببت سوسن ، زميلتى فى الكلية .. ولا تسألونى كيف احببتها .. لقد وجدت نفسى ذات يوم احبها ، ربما لانها ابدت نحوى من الاهتمام ما لم اجده من أى فناة اخرى .. وربما كان اهتمامها مجرد مجاملة ، تتبع من رقتها ، واحساسها المرهف .. ولكنى لم اشعر وقتها انها تحببلى .. وتركت نفسى احبها .. وانثشيت بالحب .. وخيل الى انى على وشك ان اكون انسانا جديدا .. انسانا هاما .. ان فى صدرى عواطف واحاسيس زاخرة غنية ، لم تكن فى صدرى من قبل .. ولعل هذه العواطف والاحاسيس تسرى فى فرشتاتى فاستطيع ان ارسم اللوحة التى انظرها .. اللوحة التى تثير البهرة والدهشة ..

وأصبحت أرسم كثيرا .. اتف امام لوحاتى حتى الفجر .. ثم  
أندار من بعيد ، فلا أجد فيما رسمته شيئا جديدا .. وترى سوسن  
اللوحه وتقف أمامها طويلا ، ربما مجاملة لى ، ثم لا أجد فى عينيها  
شيئا من الانبهار والدهشة .. عينان مطفأتان ، وإبتسامة صغيرة  
وكلمة تشجيع ..

فقط سنية ، هى التى تصيح من الدهشة امام لوحاتى ..

ومرت شهور .. وأنا أعيش فى حبنى الالهوم .. ونجاة  
اكتشفت شيئا لم الحظه من قبل .. ان سوسن تحب عبد الرؤوف  
المه طلبة الكلية فى الرسم .. كل الطلبة يعرفون انها تحبه ، وأنا  
آخر من عرفت .. وعرفت لماذا تحبه .. لأنه الميع الطلبة .. لأنه  
فنان ذو بريق ينعكس على لوحاته .. وكما تحب بذات الكليات  
الأخرى أبطال الرياضة ، فان البنات فى كليتنا يقعن فى غرام  
أبطال الفن ..

وكان يجب ان أكون بطالا فى الفن ، اذا أردت ان تحبني  
سوسن ..

ويدات اتف امام لوحات عبد الرؤوف لاكتشف كيف أصبح  
بطالا .. ان لوحاته مليئة بالأخطاء الفنية .. انى أستطيع ان أشير  
فى كل لوحه الى أكثر من عشرة أخطاء .. ورغم ذلك فان البريق  
الذى ينطلق من فرشاته يطغى على أخطائه ، حتى لتبدو هذه  
الأخطاء معমেده .. ان البريق يعنى الفنان من التقيد بالأصول  
الفنية .. ولكن الأصول الفنية لا تعنى الفنان من البريق ..

وحاولت ان أقلد عبد الرؤوف .. حاولت ان أترجا على  
الأصول الفنية .. فربما كانت هذه الجراة هى التى تشحذ عبقرية  
الفنان حتى ينطلق منه البريق .. ولكنى لم أستطع .. هل تصدق  
انى لم أستطع ان أخطئ خطأ فنيا واحدا وأنا أرسم . لقد وجدت

فى سجيننا بين قضبان الأصول الفنية .. سجيننا لا أستطيع  
الفكاك .. وظلت لوحاتى بلا بريق ..

ثم .. ثم تزوجت سوسن من عبد الرؤوف .. تزوجا وهما  
بإيزان ضمن طلبة الكلية .. ولم أحتفل بالصدمة .. كان يجب  
ان أفعل شيئا حتى أنقذ نفسى من هاوية اليأس والضياع ..

لماذا لا أتزوج انا الآخر .. أتزوج سنية .. انها على الأقل  
معتبرنى فنانا عبقريا .. انها تصيح امام لوحاتى .. حتى لو كان  
مسيحا مجرد غباء او نفاق ، غربيا استطعت بهذه الصيحات ان  
أستعيد ثقنى بنفسى .. وأستمر فى محاولتى للوصول ..

وتزوجت سنية .. لم أفرح بزواجها ، ولم أنضيق ..

وفى الأسبوع الأول من زواجنا ، رسمت صورة لها وهى فى  
حلب الزفاف ، وبعد ان أتممتها ناديتها لأسمع صيحاتها .. وجاءت ،  
وتبيل ان تتمعن فى اللوحه ، قالت كأنها تؤدي واجبا :

— حلوه قوى يا عباس .. قول لى ، نطبخ ايه النهارده ..

ونظرت فى عينيها .. عيناها مطفأتان .. لا دهشة ولا انبهار  
كعيون كل الناس الذين ينظرون انى لوحاتى ..

وتحملت .. وبدأت بمسئولياتى الزوجية تسقط على راسى ..  
سنية تريد زياره امها ويجب ان أكون معها .. وسنية تريد ان تصلح  
وأبور الجاز .. وسنية حامل .. وسنية تريد ان تذهب الى الطبيب  
.. والخادمة خرجت ، وسنية تريد خادمة أخرى .. وأنا  
لا أحب ان أخل بمسئولياتى .. أنا رجل الأصول .. الأصول  
الفنية ، وأصول الحياة الزوجية ..

وبدا وقتى يضيق عن مزاوله فنى .. وازدادت اعابئى المالية  
.. حتى لم يعد الدخل القليل الذى ورثته عن والدى يكفينا ..

ثم اكتشفت سنية شيئا لم تكن تعرفه .. اكتشفت انى لا أبيع

لوحاتى .. او على الأصح لا أحد يشترىها .. فلم تعد تكتفى  
 باهمالى عندما ترانى أرسم .. أصبحت تصرخ :  
 — يا خويا بدل الهم ده ، ما تروغ تدور لك على شغله تكسب  
 منها قرشين ، تاكل بيهم عيش .. وتربى بيهم ابنتك ..  
 وكان ابنى فعلا فى حاجة الى قرشين لأريه .. فانقطعت عن  
 الدنية .. وبدأت ابحت لنفسى عن عمل ..  
 والآن .. انا الآن واحد من ملايين الأزواج الذين تمر بهم دون  
 أن تنتبه لهم .. مجرد رقم من الأرقام .. وعندى أربعة اولاد ..  
 وانا كاتب حسابات فى شركة المخازن الكبرى ..  
 والرسم .. ان سنية حرمت على الرسم فى البيت .. انها  
 لا تطيق أن اشغل الحجرات الضيقة باللوحات .. ثم من أين أتى  
 بأمن الألوان والادوات .. ولكنى فى أوقات على أرسم بعض  
 الرسوم بالقلم الرصاص .. انها رسوم تتكامل فيها كل الأصول  
 الفنية ولا بريق ..  
 اتدرى .. ان ابنى حسين يهوى الرسم .. وهو الآن فى الثانية  
 عشرة من عمره .. وسيكون فنانا كبيرا .. انى واثق انه سيكون  
 فنانا كبيرا .. انه لا يتقيد بالأصول الفنية .. ان فى رسومه  
 عشرات الأخطاء .. ولكن .. فنيا بريق ..

## شئ غير الحب

انا من « ابو كبير » .. شرقية .. وعندما جئت الى القاهرة  
 للتحق بالجامعة كان أهم ما يشغل بالى .. البنات !  
 كان بنات الجامعة يرتسمن فى خيالى كنوع غريب من  
 المخلوقات .. ليس بناتا كبنات بلدنا .. وليس فيهن واحدة كآخى  
 اركابنة عمى .. ولكنهن — فى خيالى — اقرب الى نجوم هوليوود  
 .. يعشن فى عالم بعيد ، ويتكمنن لغة ليست لغتى ، ويتصرفن  
 تصرفات مثيرة يقف لها شعر رأسى .. ومنذ احسست بشبابى وانا  
 طالب فى المدرسة الثانوية ، وانا أحلم بحب بنت من بنات الجامعة  
 .. لا .. لم اكن أحلم بالحب .. ولكنها كانت أحلاما محمومة ..  
 حياء .. تضح بخيالات المراهقة ، وتنطلق فيها السنة الكبت  
 العنيف الذى تفرضه على حياتى فى البلدة .

وقضيت الليالى التى سبقت ذهابى الى الجامعة ، وانا كالمجنون  
 .. أرسم لنفسى صورا كثيرة وانا بين البنات .. وتنتابنى قشعريرة  
 وانا أتصور نفسى أواجههن واتحدث اليهن .. وفى صباح يوم  
 افتتاح الدراسة ، قضيت ساعات طويلة وانا حائر فى اختيار  
 الصورة التى ابدو بها .. هل ابدو ضاحكا .. هل ابدو مبوزا ..  
 وهل اذهب بالقميص والبنطلون كما يفعل اولاد القاهرة ، أم اذهب  
 مرتديا حلة كاملة .. ؟

وذبحت مرتديا حلتى الكاملة .. حلتى الجديدة .. ووجهى  
 حائر بين الابتسام والتبويض .. وسقطت عيناى على بنات الجامعة

الأول مرة .. بل لم أر سوى البنات .. كنت أرى أى فسقان يمر  
على بعد ثلاثمائة متر ، ولا أرى زميلي الطالب الذى يقف على بعد  
شـ.برين ..

وعلى وتبلى وراء عيني .. كل احساسى منجذب الى البنات  
.. ولكن كيف اتحدث اليهن او الى واحدة منهن .. ارتبكت ..  
خادبتى شجاعى ..

لم استطع ان أقدم نفسى الى واحدة من البنات .. ومرت الايام  
وكلها رايت طالبا يحدث بنتا ، وقفت من بعيد ارقبهما واحسده  
عابها .. ثم اقول لنفسى : لابد انها أخته .. او ابنة عمه .. والا  
لما تجرا على ان يقف ويحدثها بهذه البساطة .. وكنت اخذع نفسى  
بمدا الكلام .. ولكنى كنت مضطرا الى خداع نفسى ، والامت  
كهدا .. بل انى كنت متأكدآ انه لو انقضى العام دون ان احادث  
بنتا من بنات الجامعة : فسأنتحر !!

ومرت اسابيع .. وفى يوم كنت خارجا من المدرج - عندى  
ارتبكت منى سعاد ، وقالت فى بساطة :

— انت كتبت المحاضرة ؟

وارتبكت .. وارتعشت رموشى فوق عيني ، حتى لم اعد ارى  
من سعاد الا خيالا مهزوزا .. وقلت كأتى اصم :

— نعم ؟ !

قالت :

— باقولك تسمح تدينى كراستك انقل منها المحاضرة ..

وقلت وانا ازداد ارتباكا :

— اتفضلى يا افندم ..

وتاولتها كراسة المحاضرات بيد مرتعشة ، واخذتها منى بيد  
ثابتة ، وهى تهيس :

— مرمى ..

وارتبكت ، وجاءت فى اليوم التالى لتعيد الى الكراسة . وهى  
يل :

— ده انت خطك حلو قوى ..

ووقفت تتحدث الى .. اصبحت تقف وتحادثنى كل يوم ..  
السلم كل الطلبة .. وكنت اتعجب من جراتها فى مبدا الأمر ..  
وتكنى بعد قليل افنعت نفسى ان الوسط الجامعى يقبل مثل هذه  
الجراءة .. خصوصا بعد ان اطمانت الى ان ليس لها اخ ولا قريب  
من الطلبة .. ودابت افكر فى سعاد ليل نهار .. لابد انها تحبى .. !  
صحيح اننا لم نتحدث فى الحب .. ولم نتبادل لمسات الحب ..  
ولكن ماذا يدفعها الى التحدث الى الا اذا كان الدافع هو الحب ..  
الصداقة !! .

لا .. ليس هناك صداقة يمكن ان تقوم بين غتى وفتاة ..  
لما حب او لا شىء ..

ولكن لماذا لم تبدا سعاد فى مطارحتى الحب ؟

لا ادرى .. لعل للجامعة تقاليد فى الحب لم اعرفها بعد ..

وفى يوم سرت مع سعاد نتحدث حتى وصلنا الى باب الجامعة  
.. ووقفت منتظرا ان تستاذنى شى الانصراف .. فلا شك انها

لا تريد ان نظل سائرين معا خارج الجامعة .. فى الشارع ..

ولكنها نظرت الى فى دهشة ، وسألتنى :

— انت متشى مروح ؟

قلت وانا انظر الى وجهها حائرا :

— ايوه ..

قالت :

— انت ساكن فىين ؟

قلت :

— فى الجيزة ..



قالت وهي تبتسم :

— طيب تعال امشي معايا لغاية الكوبرى ..

وارتعشت كلى .. كيف اسبر معاها فى الشارع .. لعل احدا من عائلتها يرانا .. لعل الناس يتجمعون حولنا ويضربوننا .. ولم افصح لها عما يخالجنى من خوف .. استعنت بالله وسرت معها ، وانا اتلفت حولى فى حُل خطوة منتظرا ان يهاجمنى احد اتقربها ويمسك بتلابيبى .. وهى تسألنى :

— مالك .. بتبص على ايه ؟

واجبتها وابتسامتى ترتعش :

— ولا حاجه .. اصلى بادور على واحد صاحبى ..

وظللت سائرا معاها .. انه شعور عجيب عندها تسير فى الشارع لأول مرة مع فتاة .. شعور فيه خوف .. وفيه زهو .. وفيه ارتباك .. وفيه احساس بالرجولة والثقة .. شعور لم اكن قد عرفته .. ان الانثى الوحيدة التى كنت اسير معاها فى شوارع بلدنا ، هى الجاموسة .. !

ووصلنا الكوبرى .. واستأذنت .. انا الذى استأذنت ..

وعدت الى بيتى وانا اكاد اطير من الزهو ، كائى عدت من سفامرة عنيفة جريئة .. وتعودت بعد ذلك ان اسير مع سعاد فى الشارع .. ليس دائما .. ولكن فى ايام متباعدة كانت تسمح لى خلالها بمصاحبيتها ..

ثم .. كانت قد اقترضت منى كراسه المحاضرات .. وفى اليوم التالى خرجنا سويا وسرنا حتى تعدينا الكوبرى ، ثم سرنا حتى وصلنا الى المنبل ، وقالت لى فجأة :

— تعال معايا البيت علشان تاخذ الكراسه بتاعتك ..

ونظرت اليها متعجبا .. ولكنى سكت ..

ووصلنا الى الشارع الصغير الذى يقع فيه بيتها .. وتوقفت عند اول الشارع ..

وقالت لى فى دهشة :

— وتفت ليه ؟

قلت :

— حاستناكى هنا ..

قالت :

— لا .. نعال معايا البيت !

قلت :

— آجى مساكى ازاي .. مش ممكن ؟

قالت :

— مش ممكن ليه .. اخويا زمانه جه وتقعده معاها !

قلت :

— بس هو ما يعرفنيش !

قالت :

— وماله .. يعرفك ..

قلت :

— يعرفنى ازاي .. حانقولى له ايه ؟

قالت :

— حانقول له ان اسمك عباس عبد البارى ، وانك زميلى فى

الكلية ..

قلت :

— باه ده اسمه كلام يا اخواتى ..

قالت وهى تشدنى من يدى ، وتكاد تضحك :

— تعال بس ..

وسرت معها .. وقلبى يدق .. وكلى ارتعش .. ودخلنا

البيت ، وصعدنا فى السلم .. ومناقشة حادة تدور فى راسى ..

لقد سمحت بان اتف واحادتها فى الجامعة .. معقول .. وسمحت

أن أسير معها في الشارع .. معقول برضه .. أما ان تسمح لي  
بأن ادخل بيتها .. فهذا ليس معقولا ..

وما كدنا نصل الى باب الشقة ، والمحها وهي تمد يدها لتضغط  
الجرس ، حتى قفز الى ذهني خاطر غريب .. ربما كانت تدبر لي  
مؤامرة .. ربما اذا دخلت فوجئت باهلها يتكالبون عليّ ويتهموني  
بالاعتداء على شرفها ثم يستعدون المأذون ليعتد قرائي عليها ..  
ربما .. ربما اى شيء !

وبلاوعى منى .. وجدنتى أستدير لها ، ثم اهبط السلم قفزا .  
ثم اخرج الى الشارع ، وأجرى .. وأظل أجرى حتى وصلت الى  
كوبرى عباس ..

\*\*\*

حدث لي هذا في العام الدراسي الأول من التحاقى بالجامعة ..  
ثم بدأت اكتشف شيئا لم يكن يخطر ببالي .. اكتشفت الصداقة ..  
صداقة بين الطلبة والطالبات .. شيء لا نعترف به في بلدنا  
أو كبير ..

وبين أصدقائى الآن كثير من الزميلات ، أتردد على بيوتهن  
وأعرف عائلتهن ..

ولكن .. ليس في بلدنا أم كبير ..

## لن أتزوج زميلي

شيء غريب ، هذا الذى حدث لي ..

لقد تخرجت في كلية التجارة ، والتحقتم بالعمل في احدى  
المؤسسات .. قسم الحسابات .. ووجدت نفسى اجلس على مكتب  
في غرفة تجمعي مع أربعة زملاء .. شبان .. وشعرت برهبة  
غريبة في الأيام الأولى من التحاقى بالعمل .. رهبة الجلوس بين  
أربعة شبان ، ثماني ساعات في اليوم .. في غرفة واحدة !

ولم أدر سر هذه الرهبة .. فقد كنت اتقضى أيامى في الجامعة  
بين عشرات الشبان .. وكنت اعتقد أن رهبة الاختلاط بالشبان تد  
زايلتنى خلال هذه السنوات .. ولكن يبدو أن الاختلاط بعشرات  
الشبان ، أقل خطورة من الاختلاط بأربعة فقط .. والاختلاط في  
مكان مسيح مزدحم كفاعات الجامعة ، أقل خطورة من الاختلاط في  
غرفة ضيقة ..

ومرت أيام كثيرة وأنا لا أستطيع أن أركز عيني في واحد من  
زملائي .. وصوتى لا يستطيع أن يتغلق كعادته ، ولكنه يخرج من  
بين شفتى خافتا ، حجولا ، مهذبا ، كأنى لست من بنات الجامعة ..  
وحركاتى كلها بحساب بشوبه ارتباك .. وانتقى ثوبى وحذائى  
وحقيبة يدي ، كل صباح ، كأنى ذاهبة الى حفل زفانئى ! ولا أنكر انى  
قبل ان اتسلم عملى في المؤسسة كان يراودنى حلم ، بأن التقي  
بواحد من الزملاء ، أحبه .. وأتوجه !

وظل هذا الحلم يراودنى بعد ان جلست في الغرفة الضيقة بين

الزملاء الأربعة .. وبسرعة .. ومن خلال كلمات عابرة .. استطعت أن أعرف الأربعة .. عزاب .. وبدأت فى فترات العمل .. أخذت النظر الى كل منهم ، وأسأل نفسى ، من منهم احبه .. وازوجه !

عادل .. الشاب الضاحك ، الذى يبدو مستهترا فى حياته الخاصة .. والذى يستطيع دائما ان يجذب الابتسامة من بين شفتيك ، ويحولها الى ضحكة كبيرة ..

أو محمود .. السمين ، الذى يبدو عليه أنه « بيتى » ويبدأ حديثه كل صباح بوصف ما أعدته له أمه من طعام الفداء ..

أو رفيق .. الشاب العاطفى ، الذى ينظر الى ويتنهد ، ثم يرفع يراسه ويهيم بعينه فى الفضاء .. ثم يحدثنا عن آخر قصة تراها ، وآخر قصة يحاول ان يكتبها ..

أو ابراهيم .. انه زفيع أكثر من اللازم .. طويل .. كعود القصب .. وصامت دائما .. جاد دائما .. يقبل على عمله كأنه يقرأ فى كتاب فلسفة .. يعقد حاجبيه ، وتكفهر عيناه الجبلتان ثم لا يتكلم .. يقضى اليوم كله .. وقد لا اسمع منه سوى كلمتين !

أيام كثيرة قضيتها وأنا انقل خاطرى بين هؤلاء الأربعة .. شيئاً فشيئاً بدأ صوتى ينطلق كعادته .. ملعلما .. وبدأت اتحرك بحرية .. وأسند ركبتي على حائنة المكتب ، وأطلب من البوفيه واحد ساندويتش فول .. ثم بدأت الأحاديث بيننا تشمل كل شيء .. كل أسرارنا .. الأسرار المهنية .. عرفت ان كلا منهم يحب ، وكلا منهم لا يفكر فى الزواج .. عدا ابراهيم .. فلم أعرف عنه شيئاً .. ولم يكن يتكلم ..

ومع الأيام أيضا .. بدأ اللحم الذى كان يراودنى يتبخر .. بدأ شعور بجمعى بهؤلاء الزملاء .. شعور اترب الى شعورى نحو أخى .. وليس معنى هذا انى لم أعد افكر فى الحب أو الزواج ..

ولكنى ابتعدت بنفكيرى عن زملائى .. انهم أخوانى ! ما الذى يخلق شعور الأخوة ؟ انه التعود .. التعود على شخص ما مدة طويلة .. كافية ، لتجعل منه أخا لك .. ان هذا التعود يتضى على الاحساس بالجنس بين الأخ والأخت .. وهذا ما حدث لى ..

لقد تعودت على زملائى .. انى اراهم واتحدث اليهم ، أكثر مما أرى أخى ، وأكثر مما اتحدث اليه .. ثم انى اراهم فى العمل على حقيقتهم ، كأنى أرى أخى فى البيجاما ، أو وهو نائم فى سريره .. انى اراهم ، وسيدنا رئيس الحسابات يشخط فيهم ، ويهدلهم أمامى ، وأراهم وهم فى ضيقهم ، وفى مرحهم .. وأراهم وعامل البوفيه يحاسبهم كل شهر .. وأراهم وهم يعملون ..

ان هذا الاختلاط الطويل ، لا يترك مجالاً للخيال .. لا يترك مجالاً لأن اتخيل الشخص كما أحب أن اراه ، لا كما هو على حقيقته ..

والحب فى حاجة دائما الى الخيال .. الحب يبدأ بإثارة الخيال .. الحب لا ينشأ بين رجل وامرأة ، الا نتيجة صورة ارتسمت لكل منهما فى خيال الآخر ..

وأكثر ما يثير حب المرأة هى تخيلها للرجل فى مكان عمله .. انها تتصوره جادا ، حازما ، متعبا ، يرهبه زملاؤه ، ويحترمه رئيسه ، ويقف له وهو يصفحه ، هذه الصورة تكون جزءا كبيرا من خيال المرأة عن الرجل الذى تحبه ..

ولكنى لا أستطيع ان اتخيل شيئاً عن هؤلاء الزملاء .. لانى اراهم بعينى .. وأرى أنهم ليسوا جادين فى عملهم ، ولا حازمين .. ولا محترمين .. أنهم مهرجون .. يتحايلون على التهرب من العمل .. وسيدنا رئيس القسم يشخط فيهم وفى .. حتى ابراهيم الصامت .. مهرج ، وأخبثنا فى التحايل على التهرب من العمل .. وسيدنا يشخط فيه ! وهكذا وجدت نفسى اختا للأربعة .. وأصبحت اعاملهم كاخوة .. ولم أعد اهتم كثيرا بأنافتى ، وأنا

وقال لى ابراهيم ، ونظراته جادة كأنه مكب على دوسيه :

— تيجى نتمشى شويه على الكورنيش ؟

وقبلت .. وسرنا طويلا على كورنيش النيل ، وهو صامت .  
وانا احاول ان اخرجه من صمته فلا استطيع .. احسست ساعتها  
انه يعانى أزمة .. ويتردد فى البوح بها .. ربما كانت أزمة جديدة  
مع ابيه .. انه يختلف دائما مع ابيه .. و .. واحسست بيده  
تلمس يدي أثناء سيرنا ..

لا شىء .. يد اخى لمست يدي ..

ثم قبض على يدي فى كفه . وضغط عليها ..

لا شىء .. يدي فى يد اخى ..

ولو انه يقبلنى على خدى فى تلك اللحظة ، لما احسست باكثر من  
قبلة اخى التى يطبعها على خدى كل صباح .. صدقونى .. ان  
شيئا منه لم يكن يثيرنى ، او يفتح خيالى .. ولكن ابراهيم لم يقبلنى  
.. لقد وقف فجأة واستدار الى ، وقال فى حدة :

— اسمعى .. ايه رايك نتجوز ؟

قالها بشكل رسمى !

ونظرت فى عينيه ، لعله يمزح .. ولكن عينيه جادتان !  
ولا ادرى لماذا ابتعدت عنه فى حركة سريعة .. وشعرت بالضيق  
ضيق شديد .. شعرت كأنه يعرض على شيئا شاقا ، لا يصح ان  
يحدث بين الأخ واخته .. ولم اجب ..

وعاد ابراهيم يتكلم فى صوت جاد :

— انا فكرت كثير .. بقى نى اكثر من سنه وأنا بافكر ..  
وما اقدرش افكر اكثر من كده ..

ذاهية اليهم .. وعندما يصافحنى واحد منهم ، احس بيد اخى  
فى يدي .. لا تثيرنى اللمسة .. ولا تتركى النظرة .. وفى الوقت  
نفسه كنت احس باحساسهم نحوى ، احساس الأخوة والأصدقاء ،  
لا احساس الرجال نحو فتاة بينهم .. جميلة .. وكل منهم يحتاج  
الى كآخت اكثر مما يحتاج الى كفتاة يريددها .. ان كلا منهم يروى  
لى اسراره .. ادق اسراره .. وكلا منهم ياتمنى على سره ..  
ويطلب منى حلا لمشكلته .. ويثق بى .. والحاديث بيننا تزداد  
صراحة على مر الأيام .. لم اعد اخجل من نوع معين من المعانى  
والكليات ، كنت اعتقد انى لا استطيع ان ابادلها الا مع اخى ..  
كاننا كلنا اصبحنا رجالا ! واحيانا تمر كلمة غزل ..

محمود قال لى مرة :

— اسمعى .. انا سببت البنت بتاعتى .. ايه رايك ؟  
نحب بعض ؟

ورفيق قال مرة :

— اسمعى .. انا سببت البنت بتاعتى .. ايه رايك ..  
تيجى نكتب قصة سوا !

هذا الغزل كان يتكرر كثيرا .. وكنت اسمعه ، واضحك ..  
وهم يضحكون .. كنا نضحك كثيرا ا ودائما ، واختلطت حياتنا  
الى حد كبير .. كنت ادعوهم انى بيتى .. ويدعوننى الى بيوتهم  
وسط عائلاتهم .. ونذهب احيانا الى السينيما .. واحيانا نقوم  
سرحلات خارج القاهرة .. ونضحك !

ومر عامان .. وفى يوم خرجت مع ابراهيم بعد انتهاء العمل ..  
وكنت قد تعودت على صمته ، وكنت استطيع دائما ان اخرجه عن  
هذا الصمت ليروى لى اسراره . وليحدثنى طويلا عن نفسه  
وحياته ..

وحاولت ان اتكلم .. ولكنه عاد يقول وهو يمسك بيدي ويضعف عليها :

— انا باحبك يا امال .. باحبك من زمان ! ..

واحبست كأن شيئاً جميلاً قد تحطم .. ونظرت اليه وعيناي تزفران صيقتي .. انه هو الذى يحطم هذا الشيء الجميل .. هو الذى يحاول ان يفسد ما بيننا من صداقة واخوة .. وسحبت يدي من يده ، وقلت فى حزم :

— انت زى اخويا يا ابراهيم .. وانا محتاجه لك كآخ ..  
والأفضل اننا نفضل اخوات ..

ونظر الى ابراهيم كأنه صدم ، وقال وحاجباه يتعقدان -  
وعيناه تكهران :  
— تصدك ايه ؟

قلت وانا استدير لنستمر فى سيرنا :

— تصدى بلاش الموضوع ده !

ورد فى حدة :

— اوريغوار ..

وتركنى على الرصيف ، وغير الشارع فى خطوات سريعة -  
واختفى ..

ونظرت وراءه فى اشمزاز .. هكذا افسد كل شيء ..

هكذا افسد صداقتنا الحلوة ، ولن تعود ثانية ..

ونسيت سريعاً هذا الحادث .. عدت الى البيت - وانشغلت فى الحديث مع امى وبنات خالتي اللانى كن فى زيارتنا ..

وفى الصباح .. وانا استعد للذهاب الى العمل .. تذكرت ابراهيم .. واخذت افكر فى مواجهتي له .. وقررت ان اواجهه مبسماً ، واحاول ان اعيدته الى الصداقة والاخوة .. ان امسح من راسه فكرة الزواج ..

ولكن ابراهيم ليس على مكتبه .. وانقضى نصف اليوم ولم ات ..

ثم سال عنه الزملاء ، وعرفوا انه اخذ اجازة مرضية ..

شعرت بالضيق .. اخذت طول الوقت انظر الى مكتب ابراهيم الخالى .. ثم اعود الى عملى .. ولا البث ان اجد عينى فوق المكتب الخالى ..

واحبست احساساً عجباً .. لقد اوحشنى ابراهيم ..

نوع عجيب من الوحشة لا اشعر به نحو اذى .. ان اذى مسافر كثيراً ولا اشعر بنفس ائوحشة له .. ربما لانى لم اتعود على غيبة ابراهيم .. انى اراه كل يوم ، ومنذ عامين : على هذا المكتب .. نعم ، انه مجرد التعود .. لا اكثر .. ولكن .. مع الايام ازادت وحشتى له ، ازددت شوقاً اليه .. انى مشتاقه فعلاً اليه .. وفى شوقى اصبحت اراه فى خيالى .. ان وجهه اكثر وسامة مما كنت اعتقد .. وعينيه اكثر جمالاً .. عميقتان نافذتان .. وصمته - سريح ، وكلامه القليل كأنه قطرات الندى .. ثم .. فوجئت - وفوجئ زملائى .. بان ابراهيم قدم استقالته ، والتحق بمؤسسة اخرى ..

و .. وجاء بودعنا .. جاء فجأة ايضا .. وطاق علينا يصاصحنا واحدا .. واحدا .. والزملاء يتصايحون :

« يعنى حاتلاقى احسن منا يا ابراهيم .. »

« اللى تعرفه احسن من اللى ما تعرفوش .. »

« لازم لاقيت حاجة هناك يا عم .. »

و .. ومد يده يصاصحنى .. وكنت انتظر ان يبقى يده فى يدي مدة اطول .. كنت انتظر ان يطل فى عيني وينتهد .. انه بحنى ويريد ان يتزوجنى ! ..

وكنته صانحنى مصافحة سريعة ، كبقية الزملاء ، ثم خرج وهو  
يصيح :

— خلىنا نشوفكم يا جماعه ..

وخرج قلبى وراءه .. وانفتح خيالى كله يتصوره طول اليوم  
.. انى اتصوره فى عمله الجديد ، بصورة اخرى غير التى كنت  
اراه فيها وهو جالس بيننا .. اتصوره جادا ، مهيبا ، محترما ..  
اتصوره رئيسا لكل الموظفين هناك . اتصوره شخصية قوية  
عارمة ، لا يمكن ان تكون الا شخصية رئيس ..

وبدأت اعرف من خيالى ، انى احبه .. ربما كنت احبه طول  
الوقت ، ولم اكن اشعر بهذا الحب لانى كنت متعوده على رؤيته كل  
يوم .. كان حبي مختلفيا تحت ريتين العادة .. نعم .. احبه ..

وبدا حبي يتجسم فى مشكلة تزجج نهارى وليلى .. كيف  
استطيع ان اصل اليه .. الى ابراهيم .. انه لا يحاول ان يتصل  
بى .. وانا لا استطيع ان اتصل به ، انه لم يعد اخى ولا صديقى  
حتى اتصل به ، هكذا ببساطة .. انه حبيبى .. وللحب كرامة  
خاصة .. اشبه بالعناد ، لا استطيع ان اتنازل عنها ..

وفى يوم .. جاء محمود يصيح :

— اسكتوا .. امبارح قابلت ابراهيم .. ده بقى حاجه كبيره  
.. خذ الشهر اللى فات علاوتين مره واحده .. وعزمته يتغدى  
معانا كلنا فى مطعم « الاونيون » بكره ..

وصرخ قلبى .. سارى ابراهيم غدا ..

وبت ليلى وخيالى يتفجر .. والعلاوتان اللتان ناديهما ابراهيم  
يبدوان فى خيالى كأنهما معركتان انتصر فيهما ..

وفى الصباح .. قضيت ساعات طويلة امام المرآة .. انى  
لست ذاهبة الى اخوتى ، ولكنى ذاهبة الى حبيبى .. والتقىنا فى  
مطعم « الاونيون » ..

واحسست بيده فى يدى ، وهو يضافحنى كما لم احس بها من  
قبل .. شعرت بهذه الضغطة الخفيفة التى ضغط بها على كفى ..  
وربما ضغط على كفى عشرات المرات وهو زميلى ، ولكنى لم اشعر  
بها الا اليوم .. وارتاح قلبى لهذه الضغطة .. تنهدت !! ولم  
استطع ان اكل .. ولم استطع ان اشارك الزملاء ضحكهم .. كنت  
طول الوقت « مبلمة » وعيناي معلقتان بالوجه الوسيم .. وانتهى  
الطعام ..

وارتجفت .. هل ساراه مرة ثانية ؟ متى ؟ ..

\*\*\*

وخرجنا من المطعم .. ومال على ابراهيم وهمس وهو جاد ،  
وعيناه مكفهرتان ، كأنه مكب على الدوسيه :

— اتقدر اشوفك النهارده بعد الشغل .. تتمشى على  
الكورنيش ؟

وذهبت اليه .. ذهبت اليه بكل خيالى .. اننا سنزوج فى  
الاسبوع القادم ..

## اصعب الزواج

وأخيرا . نقرر ان اسافر الى أوروبا . والى استكهولم بالذات ..

هل تعرف ما أعرفه عن استكهولم .. ليس مهما ان تعرف انها عاصمة السويد .. لكن عاصمة أى بلد من بلاد العالم .. هذا لا يهم .. انها المهم هو ما ينتظرنى هناك .. وانا اعرف ما ينتظرنى هناك .. بنات كالثقطة المغبوسة فى مربة الورد .. وحرية .. حرية لا نهاية لها .. انهم هناك ناس مثقفون .. لا يعتقدون حياتهم بعقد الجنس .. كل شىء مباح .. والشرط الوحيد هو اتفاق بين الطرفين .. وأنا مستعد أن أتفق ، بلا تردد ، وبلا شروط .. وأعلم ان أى بنت هناك مستعدة أن تتفق معى ، لأن لونها أسمر ، وشعرى مكركت .. وبنات السويد يظلمن على اللون الأسمر والشعر المكركت .. لسن كبناتنا اللاتي لا يقدرن النعمة التي تجرى خلفهن فى شارع سليمان !!

وقضيت أياما استعد للسفر ، واللهفة تكاد تطير بى قبل ان تطير بى الطائرة ، ولم احاول ان اراجع مواضيع المؤتمر الذى اسافر للاشتراك فيه .. ليس المؤتمر هى الذى اسافر من اجله .. وليس هناك واحد من زملايى مسافرا من اجل المؤتمر .. كلنا مسافرون وفى رؤوسنا حلم واحد .. وبين أعيننا صورة متشابهة صورة بنت كالثقطة المغبوسة فى مربة الورد .. ووقفت أودع زوجتى .. وأجدت تمثيل موقف الوداع .. كدت أبكى من شدة اندماجى فى النثيل ، وقد رايت سماعتها من خلال دموع زوجتى ، نظرة

غريبة فى عينيه .. انى اعرف هذه النظرة .. انها نفس النظرة التي تستقبلنى بها ، كلما تأخرت فى عودتى لتشم ثيابى بحثا عن رائحة امرأة أخرى ، وتدقق فى تميمى بحثا عن آثار شفاه ، نظرة الاتهام .. انها تتهمنى وهى تودعنى .. تتهمنى بخيانة لم تقع بعد .. ليكن .. ماذا يهم .. انها لن تلحق بى الى هناك .. انى هناك رجل حر .. أنا وبنات استكهولم .. حر فى ان أخون .. وربما كانت زوجتى تعلم هذا ، فان نظرتها التي تحمل الاتهام ، بحمل ايضا نوعا من الامتسلا .. امتسلا لا حيلة لها فيه .. وهيمت زوجتى وهى تبصم على خدى بشفتيها ، كأنها توقع على يامضائها حتى لا اضيع منها :

— خلك عاقل يا محيد .. اوع تخوننى !

قلت وأنا اشد نفسى منها :

— يا شيخه حرام عليكى .. أنا رايح اشتغل واللا رايح لعب

وما كدت أجتاز باب الجمر ، وادخل الى مهبط الطائرات .. حتى تنهدت نى راحة - وحرية .. شعرت بحريتى كلها تهجم على ، وتملأ قلبى .. الحرية .. الحرية .. ما أحلاها عيشة الحرية .. وبحركة سريعة مددت يدى وخلعت دبلة الزواج من اصبعى ، كأنى انزع آخر قيد من قيود الحرية ..

انى الآن لست متزوجا .. ليس فى اصبعى دبلة زواج ..

ان بنات السويد سيطمئنن الى ، وسيزدادن تهافتن على ، وكل منهن تحلم بأن تتزوج من الشاب الأسمر - ذى الشعر المكركت .. وصعدت الطائرة ، واصبعى حر طليق من دبلة الزواج .. ورأسى حر طليق من ذكرى زوجتى .. نسيته .. انى أبدا فى هذه الساعة حياة جديدة .. حياة لم تسبقها ذكريات ، ولم يخدمها الزواج ! .. وما كادت المضيئة تدلنى على مقعدى .. حتى كدت اصرخ من الفرح .. ان المقعد الذى بجانبى تحتله فتاة .. يا الله

.. ما اجملها .. انها اجمل من الشمس المغموسة فى مربة الورد  
.. كأن بنات السويد لم يطقن انتظاري حتى أصل اليهن ، فأرسلن  
مندوبة عنهن ..

واستجمعت كل مواهبي ، واشعلت كل ذكائى ، وحركت كل  
خفلة دمي ، والتفت اليها وعبدى تبرقان كأنهما مرأتان ازغلهما  
بهما ، وقلت لها بفرنسميتى الأنيقة :

— الأنيقة من السويد ؟

وضحكت ضحكة صغيرة رنانة ، واجابت :

— لا .. من الدانمرك . من كوبنهاجن !

قلت :

— هل كنت فى القاهرة ؟

قالت :

— نعم .. قضيت فيها أسبوعا ممتعا ..

وقلت وأنا انظر الى جدائلها الذهبية :

— عجيبة !

قالت :

— ما هو العجيب ؟

قلت :

— أن تقضى فى القاهرة أسبوعا ولا أراك ..

قالت وهى تبسم :

— لو كنت حمّارا لرايتنى .. فقد كنت كل يوم أركب الحمّار  
فى صحراء الهم !

وابتسمت .. انها لا تقصد أهانتى .. وهى لا تعرف أن كلمة  
« حمّار » بتشديد الميم — لها معنى الإهانة .. ان الحمّار فى  
الدانمرك لا يقل احتراما عن رئيس مجلس الوزراء .. انهم هناك  
شعب مثقف ، ليسوا مثلنا .. واستطرد بيننا الحديث .. وأنا طول

الوقت أفكر كيف أصل اليها .. وكان يجب أن أفكر بسرعة .. وكان  
يجب أن أكون جريئا .. فان هذه المغامرات التى تتم أثناء الرحلات  
منطلب ذكاء وجراة .. وسرعة قبل أن يفوت الوقت .. قبل أن تهبط  
بنا الطائرة ، وتخفى عن عيني ..

وبدأت بالحديث عن نفسى .. قلت لها انى شاب غنى ..  
بليونير .. وانى أملك خمسمائة فدان .. وحمدت الله لأنها لم تكن  
تعلم أن عندنا قانونا يحدد الملكية الزراعية .. واخذت أغالى فى  
وصف ثرىتى ونفوذى ، وفى وصف لىالى الشرق التى اعيش فيها  
.. جعلت من نفسى بطلا لحياة مثيرة رائعة ، واقتبست صورها  
من قصة « ابن الشيخ » التى يظنها رودلف فالنتينو .. ثم حدثتها  
عن وحدتى .. ان كل هذا الثراء لا يساوى شيئا ، لأنى وحيد ..  
لم أجد الحب .. ولم أجد المرأة التى تملا حياتى ..

وكأنت تستمع الى وهى مبهورة الأنفاس ، وقالت وهى تكاد  
بهمس :

— ليتنى قابلتك فى القاهرة ..

قلت :

— ان الفرصة لم تضح .. ستأتين معى الى استكهولم ،  
ويبقى هناك الى ان أنتهى من المؤتمر ثم نعود سويا الى القاهرة ..  
قالت :

— يا ريت .. لا أستطيع !

ولم أكن أستطيع ان أياس .. انها جميلة .. اجمل من كل ما  
تخيلته عن بنات استكهولم ، ثم انى أومن بأن عصفورا فى الطائرة  
خير من عشرة فى استكهولم .. ولأن ادع هذا العصفور يفلت من  
يدى .. وعدت ألح ، وقلت لها :

— ان كوبنهاجن لا تبعد عن استكهولم الا مسافة نصف ساعة ،  
ستأتين معى ، ثم نعود سويا الى كوبنهاجن لزيارة أهلك . ومن  
هناك نظير الى القاهرة ..



وعادت تقول :

— يا ريت .. لا أستطيع !

وعدت الح .. وقلت :

— انك لن تتكلمى شيئا .. ستكونين فى ضيافتى ..

قالت :

— يا ريت .. لا أستطيع !

وعدت الح ..

ولم أكن أدري بالضبط ماذا سأفعل اذا أفلح الحاحى .. فأتت  
لا أستطيع ان ادعوها للاقامة فى استكهولم .. ليس معى نقود  
تكفينى وتكفيها .. وليس معى ما يكفى لأشترى لها تذكرة الطائرة ،  
بل انى لا أستطيع ان أربط نفسى بها أثناء انعقاد المؤتمر .. ولكن  
كل هذا لم يكن يهمنى .. كل ما كان يهمنى هو ان أكون معها على  
ارض .. فى غرفة تجمعنا .. ان اشعر بلذة المغامرة ..  
وتهاديت فى الحاحى ، وقلت لها فجأة ، وكانت الطائرة تحلق  
فوق سماء الدانمرك .:

— اسمعى .. انى احبك .. انى احبك .. احببتك من اول  
نظرة .. الم تسمى عن الحب من اول نظرة .. لقد حدث ..  
وانى مستعد لكل شىء ، الا ان تتركينى وتختفى من حياتى ..

ونظرت الى فى دهشة ، وقالت :

— هل تتكلم جد ؟

قلت :

— جد جدا ..

وقالت فجأة كأنها تسكب على رأسى جردلا من الماء البارد :

— ولكنك متزوج ..

وارتبتك .. وربما احمر وجهى .. وقلت ولسانى يلتوى بين

شفتى :

— متزوج .. متزوج .. من قال لك انى متزوج ؟

قالت :

— لم يقل لى احد .. ولكن انظر الى اصبعك ، ان الدبلة  
مرسومة فوق جلدك الاسمر .. لابد انك خلعتها قبل ان تتركب  
الطائرة ؟

ونظرت الى اصبعى .. ان الدبلة مرسومة عوقته .. واضحة  
.. تشق جلدى .. كأنى لم أخلعها ابدا ..

وتجهدت .. واحنيت رأسى ، ولم أستطع ان أستطرد فى الكلام  
.. وخيل الى ان الفتاة تبسّم ساخرة منى .. ثم خيل الى كأنى  
أسمع صوت زوجتى وهى تضحك .. تضحك بصوت عال .. ثم  
أخرج لى لسانها تؤكد لى اننى لن أستطيع ابدا ان أكون حرا ..  
ان القيد مرشوم على جلدى .. انى موصوم بوصمة العبد ..  
وصمة فوق اصبعى ..

ونزلت الفتاة من الطائرة فى كوبنهاجن ، وقالت وهى  
مصافحنى :

— أرجو أن أراك فى المرة القادمة عندما أزور القاهرة ..  
بحياتى الى زوجتك !

ورددت تحيتها فى برود ..

ثم أخذت ابحلق فى اصبعى .. ابحلق فى علامة الدبلة .. ثم  
أفرك فوقها بيدي لعلها تزول .. ولكن مستحيل .. انها علامة  
ستبقى معى دائما .. ستبقى معى فى استكهولم .. ووصلت الى  
استكهولم وأنا مصاب بانهيار نفسى ..

اندرى ؟ ..

لقد قضيت هناك خمسة عشر يوما لم أتعرف خلالها بفتاة ..  
ولم تكن لى أية مغامرة .. وانهمكت فى أعمال المؤتمر .. ودبلة  
زوجتى فى اصبعى ..

— ما تصدقش .. ما فيش بنات بتحب ، كلهم عايزين يتجوزوا ..  
 بيتتدوا الأول بحكاية الحب ، لغاية الشاب ما يصدق ..  
 وبعدين بييجي يكلمها في التلفون تقول له .. لا .. ما ما تموتني ..  
 بييجي يصك ايديها .. تقول له .. لا .. ضويري يعذبني ..  
 وتفضل تشاغله ، وتتمتع ، لغاية ما يتجنن ويتجوزها .. وانا مش  
 ناوى اتجنن ، ولا ناوى اتجوز ..

ونظرت اليه في دهشة .. ربما في غياء .. كانت هذه هي  
 المرة الاولى التي اسمع فيها هذا المنطق .. هذه النظرية .. ولم  
 افهمها .. لم افهم ماذا يقصد اخي .. ولكني احسست انه يعنى ان  
 الزواج ليس سوى جريمة تركبها الفتاة في حق الشاب .. جريمة  
 نصب .. وخداع .. واحتيال ..

وسالته وانا الهك :

— يعنى ما فيش حاجه اسمها حب ؟

قال ببساطة :

— ما اعرفش .. اللي اعرفه ان كل بنت مش عايزه حاجه  
 الا الجواز .. وانا مش عايز اتجوز ..  
 وعدت الي صديقتي ميلمه : قلبى مقبوض ..  
 و .. ودعك من اخي الان ..

لقد بدأت من يومها اتباعد — دون ارادة منى — عن الشبان ..  
 كل الشبان الذين تعودت ان احادثهم في براءة ، وابتسم لهم بلا  
 قصد ، والتقى بهم في مجموعة الاصدقاء .. اصبحت لا احادث  
 احدا منهم .. واضم شفتى حتى لا تنطلق من بينهما ابتسامه  
 لاحدهم .. واهرب بنظراتي حتى لا تقع على وجه من وجوههم ..  
 اصبحت اخشى اذا نظرت لاحد او ابتسمت له ، او حادثته ، فربما  
 ظن انى اتلمقه لانى اريد منه شيئا .. لانى اريد ان اتزوجه .. وتثور  
 كرامتى .. انى لا اريد شيئا من كل شبان الدنيا .. انى اكبر  
 واسمى من ان اريد شيئا .. ويجب ان يفهموا ذلك .. يجب ان

## الكبرياء والزوج

أخى يكبرنى بثلاث سنوات ..

انك لا تدري كم احب اخى .. او كم اثق به .. انه اجمل  
 الفتيان .. اقوى الفتيان .. اعقل الفتيان .. لم يكن لى — حتى  
 سن السادسة عشرة — احد غيره افخر به .. واغار عليه ..  
 واقول له اسرارى ، ويقول لى اسراره .. انه اخى ، وصديقى ،  
 ورجلى ..

وصديقاتى البنات بحسدننى عليه .. بعضهن يتمنيته انا لهن  
 .. واغلبهن يقعن فى حبه ..

وهو متعال .. ينظر اليهن من فوق انفه .. كأنه اله صغير ..  
 انه دائما « تقيل » وانا فرحة فحورة بأنه « تقيل » ..  
 ثم اكتشفت ان اعز صديقاتى قد وقعت ..  
 وقعت فى حبه .. انها تحبه حقا ..  
 ولكنه متعال .. تقيل !!

وكانت تأتى الىّ وتجلس معى فى حجرى .. واحس بحبها  
 يفيض من قلبها ويملا علىّ الحجرة ، ثم تبكى .. تبكى حبها  
 الحرور .. ودمعها يمزق قلبى .. انها لا تريد منه شيئا .. كل ما  
 تريده ان يتسم لها .. ان يقول لها كلمة حلوة .. ان يرضى حبها  
 .. لعله يحبها ..  
 ولكنه .. تقيل ! ..

وذهبت اليه غاضبة ، وقلت له :

— حرام عليك .. دى بتحك .. بتحك بصحيح !  
 وهز كتفيه بلا مبالاة ، وقال ساخرا :

يفهموا ذلك .. يجب ان يفهموا انى لست كبقية البنات اللاتي يضعن  
الخطط ليصطدن زوجا ! ..

واصبحت كأخى .. ثقيلة !!

وقيل عنى انى باردة .. متكبرة .. معتدة .. وانى لست  
ثقيلة .. ولكن نسي هو الثقيل !!

وابتعد عنى الشبان ..

كنت اراهم مع البنات ، يضحكون .. وليس معى احد !

ولكن ، لا يهم ..

لا يهمنى احد منهم ، كل ما يهمنى ان يفهم كل منهم انى لا اريد  
منه شيئا .. لا اريد ان اخذعه بابتسامه ، او بكلمه ، حتى  
يتزوجنى ..

ثم .. قابلت حبيبى ..

لقد رايت فى عينيه ما لم اره فى أى عين ، واحسست فى لمسة  
يده وهو يصافحنى ، ما لم احسه فى اى يد ..

وقد قابلته فى احد مجتمعاتنا العائلية .. وحاولت ان التقي  
بعينيه مرة اخرى ، ولكنى لم استطع .. صدقتنى لم استطع ..  
تحكمت فى كبريائى .. كبريائى الكاذبة .. وغلبنى خوفى من  
اشعره باهتياى ، فيظن انى اريد ان اخذعه .. كما يحاول البنات  
خداع اخى ليتزوج ..

وعدت الى البيت مشغولة به ..

ليالى طويلة شغلت به ..

ثم وجدت نفسى أسعى الألقاه فى محيط المجتمع العائلى وما كدت  
القاها حتى غلبتنى كبريائى مرة ثانية .. وادرت له كفتى .. وكأنه  
ليس هنا .. كأنه ليس بجانبى .. حبيبى ! .. واعدت الى البيت  
مشغولة به ..

ولقيته أكثر من مرة .. واعدت دائما مشغولة به !

ثم لم اعد استطيع ان اكذب على نفسى ..

انى احبه ..

وعندما اعترفت بهذه الحقيقة ، فكاننى فتحت سداد قمقم فى  
سدرى ، انطلقت منه ابخرة الحب قوية ، عطرة ، تملؤنى .. تملأ  
عينى .. وتملاً وجنتى .. وتملاً عقلى .. وتملاً قلبى ..

كيف ابوح له بهذا الحب .. بكل هذا الحب الكبير ؟ لا أدرى ..

انى أخشى ان اضع عينى فى عينيه .. أخشى ان ابتسم له ..  
أخشى ان ازيد حديثى كلمة .. أخشى كبريائى الكاذبة .. أخشى ان  
يظن انى اريد منه شيئا .. أخشى لو قلت له .. احبك .. فلن  
يصدقنى .. سيظن انى انصب عليه حتى يتزوجنى .. أخى ثم  
يصدق البنت التى احبته !!

ولكن .. هل يحبنى كما احبه ؟ ربما ..

انى اجده دائما فى طريقى .. كأنه يعرف مواعيد ذهابى  
الى النادي .. كأنه يعرف مواعيد ذهابى الى السينما .. كأنه  
يعرف متى اذهب الى المجتمع العائلى الذى يضمنا .. ودائما ارى  
— فى لمحة سريعة — نفس النظرة التى رايتها فى عينيه اول مرة ..  
ونفس الابتسامة التى التقيت بها اول مرة .. ودائما ادير عنه  
عينى سريعا .. وادبر وجهى .. وادبر كفتى .. ثم ابقى شاردة  
الذهن .. اخوض معركة عنيفة بينى وبين كبريائى الكاذبة ..  
احاول ان اغلب هذه الكبرياء فتغيبنى .. احاول ان التفت اليه لعله  
يرى حبنى فى عينى ، فلا استطيع ..

انه يحبنى .. قطعاً ، يحبنى .. ولكن .. الى متى يستطيع  
ان يحمل حبنى ..

لعله يبأس ، كما يبأس الذين قبله ، والذين اتهمونى باتى باردة ..  
متكبرة ، معتدة ..

وعشت فى خوف من بأسه ..

ولكنه لم يعد يستطيع الانتظار .. وهو يريد منى أن أتول له : هل  
اقبل أن أتزوجه .. كلمة واحدة ، ويذهب الى ابى ليخطبنى منه ..  
وصرخت من الفرحه .. وقمت انتطط فى حجرتى .. واقفز  
فوق السرير كالاطفال الصغار ..  
وصديقتى تهلل معى .. وتصرخ معى ..

\*\*\*

ثم فجأة .. انتابنى الصمت ..  
فكرت قليلا .. لآلم افكر .. ولكن شيئا فى داخلى انتصر  
على .. انتصر على حبى .. وهزمنى !  
وإذا بى أمزق الرسالة .. وأمزقها فى غيظ .. وبين شفقتى  
ابتسامه مجنونه !

وصرخت صديقتى .

— بتعملى ايه يا مجنونه !

قلت .. أنا المجنونة :

— أنتى عارمه هو بعث لى الجواب ده ليه .. علشان يتأكد اذا  
كنت أنا باحبه ، والا اذا كنت عابزه اتجوزه .. لو جاوبت عليه  
وقلت له ائى وافقه على الجواز .. حايضحك .. حايعرف ائى  
زى بقية البنات .. بتاعة جواز ..

ثم صرخت : لازم يعرف ائى باحبه من غير غرض .. لازم  
يعرف ائى باحبه صحيح .. باحبه للحب .. مش للجواز .. واذا  
ما عرفش كده عنه ما عرف .. كفايه على انه يحترمنى .. وانه  
يعرف ائى مش زى بقية البنات .. أجرى ورا الشبان علشان  
خاطر الجواز ! ..

وبئست صديقتى من افتناعى ..

وبئست من افتناع نفسى .. ولم أرد عليه ..

اندرى كم مر من الزمن بعد ذلك .. ثلاث سنوات .. ثلاث

عشت وأنا ادعو كل مساء .. وكل صباح ، ألا ييأس من حبى ،  
الى ان يهدبنى الله اليه ، ويهديه الى ..  
ولم ييأس .. انه ليس كالأخرين .. لا ييأس ..

\*\*\*

وخطا نحوى الخطوة الأولى .. خطاها بعد سبعة شهور !  
وكنت جالسة فى النادي ، مع صديقتى .. أعز صديقتى ..  
وكنت أعلم أنه بجائى ، على مائدة أخرى .. ورأسى منكس بين  
يدى .. ولقد أدت كفتى اليه .. ثم فجأة رأيت ساقين يقفان  
أمامى .. أتهما ساقاه .. انى أعرف أتهما ساقاه .. ورفعت  
رأسى .. والتفت بعينيه ، وابتسامته .. وارتعشت .. ارتعش كل  
ما بداخلى ..

وصافحنى .. وسرت لمستة حتى طرف اصبع قدمى ..

ولم يتكلم .. وضع فى يدي رسالة .. وابتعد !

وطويت كفى على الرسالة ، وكل ما بداخلى لا يزال يرتعش ..

والدماء الساخنة تملأ وجنتى .. وتملأ رأسى ..

وقمت من جلستى ، وأنا لا أحس بنفسى .. وقامت معى

صديقتى ، وهى تهمس :

— رايحه فين .. ما فتحتى الجواب ..

ولم أرد عليها ..

سرت كالذهولة .. والدماء الساخنة تملأنى .. وركبنا سيارة  
أجرة عدنا بها الى البيت .. وطوال الطريق وأنا لا زلت مذهولة  
.. لا أتكلم .. ارتعش .. ساخنة .. لابد أن درجة حرارتى  
أربعون !

ودخلت حجرتى ومعى صديقتى ، وأغلقت الباب ورائى ..

بالمفتاح ! ..

وانظرت برهة لاسترد أنفاسى اللاهنة .. لأفئق من ذهولى ..

وقرات .. أنه يحبنى .. يحبنى جدا .. انه لم ييأس ..

سنوات وأنا احبه .. واتعذب .. اتعذب بحبه وبحيرتى .. وبغبايى  
.. لم استطع خلال هذه السنوات ان افهم معنى الحب والزواج ..  
لم استطع ان افهم ان الحب هو الزواج .. وكبريائى الكاذبة  
العنيدة ، تصور لى ان الحب شىء لا يقترن بشىء حتى بالزواج ..  
والا اصبح نوعا من الخداع والضحك على عقول الشبان ، وفخا  
للزواج ..

ثم لا اجد الحل .. لا اجد الحل لحبى .. واتعذب ..  
واراه .. وارى نظرتة وابتسامته .. واحترامه .. فأتعذب  
.. واتعذب اكثر باحترامه .. ثم .. تزوجت ..

\*\*\*

جاعتى ابنى بعريس .. ليس فيه عيب .. وليس فيه حب ..  
وقبلته ..

واعلنت خطوبتنا .. وبعد اعلان خطوبتنا .. خطر على ذهنى  
خاطر غريب .. حاولت ان ابعده .. ولكنى لم استطع .. ان  
الخطر يكبر .. حتى يصبح الخاطر أملا .. وبكبر اكثر حتى  
يصبح حقيقة مجسمة فى خيالى ..  
وانتظرت عن عمد الى ان عقد قرانى ..

تزوجت .. وبمجرد ان تزوجت ، تنهدت فى راحة ..

الآن لن يستطيع حبيبي ان يشك فى حبى .. لعله الآن يصدق  
انى احبه بلا غرض .. بلا خديعة .. بلا زواج ..  
وفى « الصبحية » .. صبحية زغافى .. أمسكت بالتليفون  
وحادثته ..

حادثته طويلا .. قلت له كل شىء .. قلت له كم احبته .. كم  
تعذبت فى حبه .. وكم قاومت حتى يؤمن انى احبه بلا غرض ..  
وانى لست كبقية البنات .. بتاعة جواز .. قلت له كل شىء ..  
وكرامتى لا تثور .. ولا تصدنى .. كرامتى نامت .. ارتاحت ..  
انى الآن مطمئنة عندما اقول له احبك .. فلا اعنى الا الحب ..

و .. وذهبت اليه .. وذهبت .. وذهبت .. واعطيته .. كل  
ما يريد .. بكل ما اريد .. واكثر مما يريد .. واكثر مما اريد ..  
بلا ثمن .. بلا زواج .. للحب فقط !!

ولا زلت اذهب اليه .. ولا زلت اعطيه .. بلا ثمن ..  
هل انا سعيدة .. ؟

لا .. انا شقية .. انا معدبة .. انا مسكينة ..

اندرى لماذا ؟ لانه لم يعد يحدثنى عن الزواج ..

لم يعد يريد ان يتزوجنى ..

انه الآن مكثف بالحب ..

وانا .. انا لم اعد اکتفى بالحب .. ان الحب لا يمكن ان يجعل

منى زوجة خائفة .. الحب يجب ان يجعل منى زوجة مخلصه ..

ولن اكون مخلصه الا اذا تزوجت حبيبي .. وهو لا يتحدث عن

الزواج ..

وكبريائى الكاذبة لا تزال تمنعنى من ان اتحدث عن الزواج ..

اخاف على حبى من حديث الزواج !

أخى قال لى .. ان الحب مصيدة الزواج !

.. تكاد روحى تزهدق وأناام نوما أرقا فى انتظار أن يطل وجه  
الشاوبش عوضين ليلغنى عن حادث قتل أو سرقة ، أنقل لمعاينته  
.. وفكرت أن أتزوج .

إن الزواج لموظفى المراكز يصبح ضرورة اضطرارية . لا رغبة  
.. يصبح شيئا كحاجته الى الأكل والشرب .. لا حاجته الى  
.. الحب ..

ولكنى لا أستطيع أن أتزوج .. ان الزوجة التى أقبلها ، لا يمكن  
أن تعيش معى على هذا المركز .. ثم انى أكره الزواج .. وحرام أن  
أربط نفسى بامرأة طول العمر ، مجرد انى زهقان .. والأيام تمر ..  
ولم أستطع أن أحتفظ أكثر من ذلك بهيبتى ووقارى .. واللذ  
.. والفراغ .. والحرمان .. الحرمان القاسى .. وفكرت بعقل  
محموم مشوش .. وفجأة ، وفى خلال ليلة حرمان قاسية - اتخذت  
قرارى ..

سافرت الى الإسكندرية .. وكنت أعرف هناك فتاة .. ليست  
فتاة .. انها امرأة .. وقد ربطتنى بها منذ سنوات علاقة قوية ..  
كانت تحبنى ، وكنت أحبها .. وكنا متفقين على نوع هذا الحب ..  
حب لا يتعدى متعتنا بليلة نقضيها سويا .. وربما كان فى حياتها  
كثير من الرجال ، ولكنها كانت تفضل دائما ليلتى على باقى  
الليالى ..

واتفقت مع سعدية .. ستأتى لتعيش معى فى المركز ، وسأقول  
لزملاتى ، الموظفين ، وللأهالى ، انها .. أختى ! وقيلت ..  
وكنت مطمئنا الى مظهرها .. فهى تبدو دائما سيدة انيقة  
محترمة رغم نظراتها الجريئة .. وكنت مطمئنا أيضا الى إخلاصها ،  
فقد كنت وثقا انها تفضل ليلتى ، على باقى الليالى .. إلا لما قبلت  
أن تأتى معى ..

وعدت بها الى المركز .. وأعلنت هناك أن أختى قد جاءت  
لتعيش معى ..

## أختى

عينت بعد أن نلت ليسانس الحقوق فى وظيفة معاون نيابة  
بمركز « ... » وأعفونى من ذكر اسم المركز ، فان قصتى هناك  
لا تزال معروفة ، ولا يزال الأهالى يتندرون بها .. ولعلمهم  
يضحكون .. رغم انى تركت المركز منذ عشر سنوات !

وقد أقبلت على وظيفتى بعد أن رسمت لنفسى صورة معينة ابدو  
بها امام اهالى المركز .. صورة تحمل كل هيبة رجال النيابة .  
ووقارهم .. ولم تكن الهيبة ولا الوقار من طبيعتى .. فأنا انسان  
بسيط أحب المرح ، وأقبل على الحياة ، وأضحك كثيرا .. ولكن  
كان يجب أن أضع لنفسى هذه الصورة .. صورة الهيبة والوقار ..  
رغم انها تناقض طبيعتى ، حتى أستطيع أن أملا بشخصيتى المتعد  
الذى أجلس عليه .. مقعد البيه وكيل النيابة !

ومرت الأيام .. وبدأت صورة الهيبة والوقار تهتز .. وتتساقط  
خطوطها .. بدأت اشعر بالملل .. والفراغ والحرمان .. الحرمان  
وأنا فى الخامسة والعشرين من عمري ..

وكنت أفضى أوقات فراغى فى نادى المركز ، مع المأمور  
ومهندس الري ، وناظر المدرسة .. وبقية كبار الموظفين المحترمين  
الوقتورين .. ونمزق الساعات فى حديث مهمل تافه .. ونكات  
قديمة .. ولعب الكونكان .. وفى الساعة العاشرة ينصرف الجميع  
الى بيوتهم .. وكل منهم له زوجة يتدفا بها ، وأولاد يشغلون قلبه  
.. يشغلونه بالحب والمتاعب .. وأنا .. أنا أعود وحيدا ..  
لا زوجة اتدفا بها .. ولا حب .. ولا متاعب .. فراغ .. ملل

وتبدد الملل .. والفراغ .. والحرمان .. واستطعت ان استرد  
الصورة التي رسمتها لنفسى ، لأبدو بها أمام الاهالى . صورة  
الهيئة والوقتار ..  
وهنأت نفسى على ذكائى ..

ومرت الأيام .. شهر .. شهران ولم أعد تصور انى استطيع  
ان أعيش فى المركز بلا « أختى » !! انها الشئ الوحيد فى المركز  
الذى يعيننى على الحياة ..  
ثم حدث أن تشاجر خادمى مع بقال المركز ، واذا بالبقال يصرح  
فى وجهه :

— ما تروح نلم أخت البيه بتاعك اللي دايره من راجل لراجل  
.. دى ما خلتش راجل ما تمسخرتش معاه !  
وثار خادمى ، وهدد البقال بأن يبلغنى ما قتاله عن « أختى »  
حتى أخرب بيته .. وجاء الخادم وأبلغنى ..  
وشرت .. ولكنى قبل ان اطلق ثورتى فى وجه البقال ، بدأت  
افكر ..

هل يمكن ان تكون سعيدة قد فعلت هذا .. انى اعرف ان فى  
اعماقتها امرأة لعوبا ، ولكنى كنت دائما استطيع ان ارضى هذه  
اللعبوب .. وكنت واثقا انها تفضل ليلتى على باقى الليالى .. وانا  
اقضى كل ليلة .. فما حاجتها الى ليالى اخرى .. الى رجال  
آخرين !

وبدأت اذكر اشياء لم تكن تستوقف تفكيرى .. نظرات المأمور  
الى .. وابتناساته المخياة تحت سفتيه .. ابتسامته الاستهانة ..  
وتودد ضابط الباحث الى اكثر من اللازم .. والنظرات الشذرة  
التي يطلتها على ناظر المدرسة .. ثم اهتمام الجميع بزيارتى فى  
بيتى .. و « أختى » تجلس معنا .. واليوم الذى عدت فيه من  
عملى والتفتيت بضابط الباحث خارجا من الشارع الذى يقع فيه  
بيتى .. لقد استغربت يومها ، ولكنى لم اشك .. و .. و ..

وتبينت فجأة انى كنت أعيش وسط سيل من الهمسات .. همسات  
مسمومة .. لم تفتح لها أذناى الا الآن ، عندما فتح البقال عينى  
على دنيا الشكوك ..

وأحسست بشعور غريب ..

لم أشعر بالغيرة على سعيدة ..

ولكنى شعرت بالغيرة على أختى ..

ان أختى لا يمكن ان تفعل هذا .. أختى ليست مومسا ..  
أختى ليست سعيدة !!

وكنمت ثورتى .. وغيرتى .. والنار المندلعة فى رأسى ..  
يجب ان أتصرف فى هدوء ..

انى لا أستطيع ان اخرج الى اناس واقول لهم ان سعيدة ليست  
أختى .. وانها مجرد مومس اتيت بها لتؤنسنى فى وحدتى وتخفف  
عنى الحرمان .. لا أستطيع .. والا تعرضت لمحاكمة تأديبية ،  
وطردت من سلك النيابة ..

ان كل ما أستطيع ان أفعله هو ان أتخلص من سعيدة .. فى  
هدوء ! ..

ولم اترك لها فرصة للدفاع عن نفسها ، انها تسلمت بها ذات  
صباح ، واعديتها الى الاسكندرية ..

ثم عدت الى المركز وانا احارل ان اتظاهر بأن شبيبا لم يحدث  
ولكن اختفاء سعيدة المفاجئ اطلق الهمسات اكثر حدة ، وأعلى  
ضجيجا .. ان البيه وكيل النيابة قد اكتشف سوء سلوك أخته .  
فأعادها الى الاسكندرية ..

انها ليست أختى ..

يجب ان تفهموا انها ليست أختى ..

انها امرأة اتيت بها لتؤنسنى فى وحدتى ..

ولكن الهمسات تشتد .. أكاد أسمعها بأذنى .. أسمعها من  
عيون الناس ، وفوق السننهم ..  
وخرج خادسى ولم يعد .. انه لا يطيق مواجهة اهل البلدة وهم  
يتحدثون عن أختى ..  
— انها ليست أختى ..

يجب أن تفهموا انها ليست أختى ..

ولم أعد استطيع أن احتبل هذه الطعنات التى توجه الى أختى  
.. الى شرعى .. الى كيانى .. وانحنيت على صديقتى المأمور  
وهمست فى أذنه وأنا أحاول أن اقتنعه بأنى شاب له مغامرات :  
— تعرف ان سعدية دى مثنى أختى .. دى واحده كنت أعرفها  
فى اسكندرية ، وجبتها تعيش معايا هنا .. اصل بينى وبينك أنا  
مثنى واخذ على انى اعيش وحدى ..

ونظر الى المأمور وهو يخفى ابتسامته تحت لسانه ، وقال :

— ما تقولش كده يا محمود بيه .. مالها سعدية هانم ؟ دى  
ست كويسه ، بس مثنى واخذة على عيشة المركز ..

انه لا يريد ان يصدق ان سعدية ليست أختى ..

وانقلبت لأهمس فى أذن ضابط المباحث .. وناظر المدرسة ..  
ومهندس الزراعة .. ولكن لا أحد منهم يريد ان يصدق .. كلهم  
مصرون على ان سعدية أختى .. وهم يجاملونى احيانا .  
ويتظاهرون بالتصديق .. ولكنى المح السخرية فى عيونهم ..  
يا اولاد الكلب .. قلت لكم انها ليست أختى ..

وصياحى يرن فى المركز كله .. فيضحك الأهالى .. ويتندرون  
بحكاية أختى ..

ولم أعد أطيق ..

وجلست وكتبت مذكرة بالتصه كلها .. بكل تفاصيلها ..  
اغترفت بكل شىء .. ثم قدمت المذكرة الى رئيس النيابة ، طالبا

نقلى من المركز ، او فصلى من النيابة .. واستدعائى رئيس  
النيابة ..

وذهبت اليه وأنا ارتعش من هول الموقف .. ولكنه استقبلنى  
بإبسامة كبيرة ، وقال لى فى لهجة حنان ثقيل مفتعل :

— اية الكلام اللى إنت كاتبه ده يا استاذ محمود .. أنا بلغتنى

الحكاية كلها .. وافرض يا سيدى ان أختك غلطت .. وماله ..

كل البنات بيغلطوا .. هو حد اليومين دول عارف برسى بنته والا

أخته .. انا حا اقطع المذكرة بتاعك .. وعاريزك ترجع المركز

وتنسى الحكاية خالص ..

انه ايضا لا يصدق ..

لا يصدق انها ليست أختى ..

\*\*\*

وخرجت من مكتبه دون ان اجيبه .. خرجت كالزوبعة ..

وكتبت استقالتى .. استقالتى من النيابة ..

وأنا اليوم أشتغل بالحمامة ..

وارفض كل قضية تاتينى من هذا المركز ..

وشىء آخر ..

انى الى اليوم .. لا استطيع ان أرفع عينى الى وجه أختى ..



شكرا يا رب .. لابد أنى وقعت على هؤلاء الأصدقاء بالصدفة ..  
الصدفة الجميلة ، التى جعلتنى أنفيس عن اشعارى المكبوتة فى  
صدرى منذ عشرات السنين .. قصائد كالأولاد اليتامى احملها فى  
ملجأ من جرانحى ، ولا أجد احدا يرعاها أو يشفق عليها  
أو يحتضنها فى اذنيه ..

شكرا يا رب ..  
وكان ربى اكرم مما اعتقدت ..

فقد اتسعت دائرة اصدقائى .. وكلهم يقبلون على كشاعر  
لا كمدرس .. كلهم ينظرون الى كفنان ملهم .. كانسان متميز  
وليس مجرد مدرس فى مدرسة ابتدائية .. و .. وحدث شىء اكبر  
من خيالى ..

لقد جاء الى مندوب احدى الصحف وطلب منى احدى قصائدى  
لينشرها .

مستحيل .. ان الجرائد لا تنشر عندنا القصائد الا اذا لحنها  
عبد الوهاب .. تنشرها اكراما لعبد الوهاب لا للشاعر ..  
وعبد الوهاب لم يلحن قصيدتى .. فلماذا يريدون نشرها ؟ !  
ونظرت الى الأستاذ الصحفى فى بلاهة ، كانى لا اصدق ..  
بل اتى فعلا لم اكن اصدقته ..

ولكنه الح ، ودلائل الاهتمام تملأ وجهه ..  
واعطينه نصيذتى ، وانا لا زلت لا اصدق ..  
ووجدتها فى اليوم التالى ..  
وجدتها منشورة ..

لا فى مجلة اسبوعية .. لكن فى جريدة يومية .. وفى صفحة  
كاملة .. رمعها صورتى ! واحسست بنفسى انسانا آخر ..  
احسست كأن قامتى قد طالت .. وأن خطواتى أصبحت اقوى

## مكان لشاعر

البنات فى دمشق يقران الشعر .. تصوروا !  
والشاعر هناك وحده الذى يستطيع ان يلهب عواطف البنات ،  
ويثير خيالهن ، وينتزع الآهات من قلوبهن .. ربما لأنه ليس فى  
دمشق نجوم سينما .. ليس فيها عمر الشريف ، وشكرى سرحان ،  
ورشدى اباطة .. ليس فيها الا الشعر .. والنجوم هم الشعراء !  
وانا شاعر ..

ولكنى من سوء حظى شاعر أعيش فى القاهرة ..  
ونبات القاهرة لا يقران الشعر ..

وسماء القاهرة ليس فيها مكان لنجم من الشعراء ..  
وقد ذهبت الى دمشق وانا اجهل قيمة الشعراء هناك .. ذهبت  
لاعمل مدرسا فى احدى المدارس الابتدائية .. وتعرفت بكثير من  
الأصدقاء - وبدأت اترنم امامهم بأشعارى .. فاذا بهم يصغون  
ويتميلون .. ويستعيدون كل بيت عدة مرات .. واعتقدت أنهم  
مجاللون وأنهم يبالغون فى مجاملتهم لى لانى ضيف عليهم  
من القاهرة .. وحمدت لهم فضيلة المجاملة .. أنهم خير من اصدقائى  
فى القاهرة الذين لا يكادون يسمعون شعرى حتى يصرخون ..  
كفاهيه فقهنه يا اخينا .. ثم يديرون اسطوانة : « يا امه القمر  
ع الباب » ..

ولكنى اكتشفت مع الأيام ان اصدقائى فى دمشق لا يجاملوننى  
.. أنهم مفرمون بشعرى فعلا . ويسعون ورائى ليستمعوا الى  
زيد منه .

.. بدأت اعترف لنفسى بما كنت انكره عليها .. اعترف بانى  
عبرى .. وانى نجم ..

ثم ..

دعيت لاقاء مصاددى فى نادى الادب العربى ..  
وذهبت ..

يا الله .. كل هؤلاء جاءوا من اجلى : انهم اكثر من الف ..  
كانها حفلة اضواء المدينة .. كان شادية ستغنى : حبيبي ايه .. !  
ونظرت الى الناس نظرات مرتبكة ، والرغبة تملأ صدرى .  
ان بينهن بنات ..

لماذا جاءت البنات .. هل جئن لسماع الشعر ؟ ان البنات  
عندنا فى القاهرة لا يسمعن الشعر .. ولا يفهمنه ..  
لماذا جئن ؟ .. لا ادرى .. لا ادرى ..

وبدأت القى قصيدتى وصوتى يرتعش .. كلى ارتعش ..  
ودوى التصفيق وأنا لم اصل الى البيت الخامس .. واستعادونى  
واستمر التصفيق ، والاستعادة .. ان البنات أيضا يصفتن !

وبعد ان انتهيت من القاء القصيدة تقدمت منى فتاة ، ومدت لى  
يدها بورقة وقلم تطلب توقيعى .. توقيعى أنا .. أنا .. انا لا اذكر  
انى وقعت الا على كراريس الطلبة .. وآخر مرة وقعت فيها قيل  
ان احضر الى دمشق كانت على ايصال برهن ساعتى الذهبية ..  
ولكن هذه الفتاة تطلب توقيعى لتحفظ به اعجابا بفى .. كائى  
عبر الشريف ، او احمد رمزى .. او رشدى اباطلة !

ووقعت لها بيد مرتعشة ، وأنا اسمعها تقول لى :

— بديع يا استاذ .. رائع .. ملتوب ..

ونظرت الى نظرة سريعة .. انها جميلة .. صغيرة ..  
والعيان خضراوان .. و .. ولم استطع ان انظر اكثر من ذلك ،

غلبنى ارتباكى وحيائى .. ولكنها عندما استدارت لى ، بدأت  
انظر اليها من جديد .. وقلبي ينخلع ..

وعدت الى بيتى ، وأنا اكاد اطير .. انى لا اصدق انى هذا  
الرجل الذى يلف حوله الف من البشر ليستمعوا الى شعره ..  
وتطلب فتاة توقيعيه ..

ولم استطع النوم ..

ان الدنيا احلى من ان ننام فيها ..

وبعد ايام ذهبت الى جامعة دمشق فى زيارة صديق لى ..  
ورائتها .. نفس الفتاة .. ورائى .. وجاءت الى تصافحنى وهى  
تصيح مهللة :

— اهلا يا استاذ ..

يا روح الاستاذ ، يا عقل الاستاذ ، يا ليل الاستاذ ، يا نهار  
الاستاذ .. آه لو تعلمين ماذا فعلت بالاستاذ .. و ..

ولكنى تذكرت انى عبرى .. وانى نجم .. عكبت كل هذه  
المناجاة فى صدرى ، وصافحتها فى وقار .. وقار العباقرة !

وقالت لى انها قرأت كل ما عثرت عليه من شعرى .. وبدأت  
تناقشنى فيه .. لا .. لا .. لم تكن تناقشنى .. كانت تذوب فى كل بيت  
قراءته لى .. وتحترق مع كل آهة صورها شعرا .. ان الفتاة  
الوحيدة التى تناقشنى فى شعرى وأنا فى القاهرة كانت طالبة فى  
القسم العربى بكلية الآداب .. فوق عينيها نظارات سمكية ..  
وكانت تناقشنى كأنها تنازلت وتعطف وتضاعفت وقتها فى قراءة  
شعرى .. ثم كانت تهديم بلسانها كل بيت نكتبه ، انها لا تفهم فى  
الشعر ، انها فقط تراجع دروس النقد التى تلتقتها فى الكلية ..  
ولكن هذه الفتاة ، فتاة دمشق .. انها تفهم الشعر .. تفهمه  
بعواطفها وتذوب فيه ..

واتفتنا على ان نلتقى ..

وصدقتنى .. انها المرة الاولى التى التقتى فيها بفتاة ..

ولقاؤنا كله شعر .. انها تردد اشعارى .. وتتغزل فيها ..  
وتجلس بجانبى كأنها تجلس بجانب العبرى .. الفنان .. الشاعر  
الخالد ..

واصبحت لا أعيش الا لالقاتها ..

انى احبها .. احبها ..

انها وحتى شعرى .. ووثوق فنى .. وشارة عبرىتى !  
انها ثقتى بنفسى ..

وقد زادت ثقتى بنفسى .. اصبحت لا اجلس الا وساق فوق  
ساق .. واصبحت احتر مهنتى كمدرس .. واحتر تلاميذى ،  
واتصرف تصرفات الفنانين .. انكش شعرى .. وأسرح بعينى ،  
واعطى لنفسى الحق فى أن اكون قليل الادب !  
واعلنت ليلى بحبى .. واعلنتنى بحبها ..

ويدانا ترسم معا صورا جميلة لمستقبل جميل ..

وليلى تغخر بى .. وتغخر بحبى .. وتذيعه بين صديقاتها ..  
وتتحدث به فى الجامعة ..

والجرائد تنشر صورى ..

واسير فى الشارع فيشير الى الناس ويسيروا ورائى ..  
ودق جرس التلفزيون فى بيئى .. انها فتاة تردد اشعارى ،  
وتتمنى أن ترانى .. فتاة اخرى .. ليست ليلى وحدها لذن !

والثقتى بالفتاة الأخرى ..

ثم اذا بى اكتشف عالما كاملا من البنات .. جميلات .. اجمن  
من ليلى بكثير ، وكلهن يرددن اشعارى .. كلهن يلتظن كل كلمة  
انطق كأنهن يشربنها .. وكلهن يبهنى قلوبهن .. يعبدننى ..  
يحترقن فى معهد فنى وعبرىتى !..

وبدا حبنى لليلى ينكمش ..

ربما لم أحبها ابدا ..

ربما لم يكن من حق الفنان ان يقصر عواطفه على بنت واحدة :  
حتى لا يخيب أمل بقية البنات ..

وبدأت أهرب من ليلى .. وأخذت ليلى تطاردنى .. تيكى  
وتتوسل الى ، بحق امسياتنا معا .. بحق الشعر الذى قلته غزلا  
فى عينها ..

ولكن لا .. لا يا صغيرتى .. انى لا استطيع ان اخيب امل  
بقية البنات ..

وبدأت اردد قول عبد الحليم حافظ : « انا لا احب احدا بالذات  
.. ولكنى احب فنى » !!

انى عبرى .. وليس بينى وبين عبد الحليم حافظ فرق ، واظنه  
لا يعضب اذا اقتبست كلمة من كلماته الخالدة !

وعشت فى عالم البنات .. وانا اكبر حتى اكاد افرقع !

ثم .. كان يجب ان اعود الى القاهرة .. لقد انتهى عملى فى  
دمشق ..

وعدت .. وعدت فنانا كبيرا مشهورا ، تحبه البنات ، ويلهب  
عواطفهن بأشعاره ، ويثير خيالهن ، وينزع الآهات من قلوبهن ..

واعتكفت فى بيتى وكتبت قصيدة جديدة .. ثم خرجت الى  
اصدقائى لاقرأها لهم .. وما كُدت أصل الى البيت الثانى حتى  
صاح واحد منهم .. بلاش فقهه يا اخينا .. ثم ادار اسطوانة  
« يا امه القمرع الباب ! »

لابد انى ظلمت هؤلاء الاصدقاء ..

ولكننى لا اجد اصدقاء غيرهم .. وامشى فى الشارع ولا احد  
يعرفنى ..

وأرسل قصيدتى الى الصحف فلا تنشر .. ومجلة روز  
اليوسف نشرت بيتين منها فى صفحة همسات القراء ..  
والبنات .. أين البنات ؟

ووقفت فى نافذتى ، وأشرت الى جارتي ، وبدأت أنشد لها  
قصيدتى فاذا بها تصرخ :

— يا أخينا ما تتكلم عدل .. ايه التخريف اللي بتقوله ده !  
لا .. لا .. لا .. ليس فى القاهرة مكان لشاعر .. ليس فى سمانها  
الا نجوم السينما .. أريد أن اعود الى دمشق .. بلد الفنانين ..  
بلد الشعراء .. ولكننى لا أستطيع أن اعود .. ظروف حياتى  
تمنعنى من العودة ..

وارسلت الى ليلى خطابا يؤكد لها حبنى .. انى احبك .. احبك  
.. تعالى نحقق حلمنا .. تعالى نتزوج واصنعى لى من حبك مكانا  
أستطيع أن اعيش فيه فى القاهرة .. مكانا لشاعر ..  
ولم ترد ليلى ..

## القمار

أنا مقامر .. مقامر محترف ..

وقد بدأت أقامر وأنا فى السادسة عشرة من عمري .. وكنت  
أيامها أقيم مع أمى وأخوتى ، فى الدقى ، والتف حولى بعض  
الشبان من سكان العمارة ، وعلمنى لعبة « السبعة ونص » ثم  
لعبة « ٣١ » .. وكنا نلعب بقروش قليلة .. وربحت .. لا أدري  
كيف ربحت ؟ ولكنى كنت أربح باستمرار .. وشجعنى الريح على  
أن العب بمبالغ أكبر .. وانتقلت من على المائدة التى يلتف حولها  
سكان العمارة .. الى موائد أكبر ، تعقد فى بيوت اولاد الذوات ،  
وأصبحت وأنا فى الثامنة عشرة من عمري العب اليوكر ، والبكاراه ،  
و « البرغوت » وأكسب أو أخسر خمسين جنيها فى دقيقة واحدة  
دون أن تهتز شعرة من راسى .. وكنت أربح .. أربح باستمرار ..  
واكتشفت فى نفسى مواهب المقامر .. غانا قوى الأعصاب ،  
بحيث لا يهزنى مكسب أو خسارة .. وأنا ذكى قوى الملاحظة ..  
والقمار ليس كله مجرد حظ ، انه اولاً ذكاء وقوة ملاحظة .. ثم  
انى محبوب من اصدقائى .. وأصدقائى هم كل لاعب قمار ، حتى  
لو لم اكن اعرف اسمه .. فكنت أستطيع أن أكسب قلوبهم وأخفف  
من حدة ورهبة الجو الذى يجثم فوق المائدة ، وكنت أستطيع فى أى  
وقت ان أجمع أى عدد من اللاعبين .. بل انى أصبحت أتدلل على  
اللاعبين ، واختار منهم من اقضى معه ليلتى ، كالفاتة الغندورة  
عندما تختار بين عشاقها ..

تثير شبهة البوليس ، او يخطر على باله مهاجمتها .. ولو ذكرت  
 بك أسماء العائلات التي كنت اعقد فى بيوتها الموائد الخضراء ،  
 لذعرت .. ورغم ذلك فلم يكن كل اصحاب هذه البيوت من المقامرين  
 .. انما كانوا يؤجرون بيوتهم للتمار .. كنت اتفق مع صاحبة  
 البيت على ان تستضيفنى انا واصدقائى ، نظير عشرة جنيهات ،  
 وحيثا يرتفع الاجار الى خمسين جنيها ، حسب قيمة العائلة ،  
 وقيمة اللاعبين ، ولم تكن سيدة البيت ترى فى استضافتنا مظهرا  
 يجرحها او يثير حولها الاقاول ، فهى تستضيف اشخاصا  
 يحترمهم مهذبين ، رجالا ونساء ، وكل ما هنالك انهم يلعبون فى  
 بيتها « كوتشينة » للتسلية .. مجرد التسلية ! ،

وهكذا عشت .. مطبخنا .. بعيدا عن البوليس .. سعيدا ..  
 ولكي وان كنت سعيدا بحياتى ، فانى لم اكن فخورا بها ..  
 كان هناك دائما شىء ينتصنى .. صفة أستطيع ان اواجه بها  
 الناس .. وكانت هذه الصفة التى اتمنى ان اواجههم بها هى صفة :  
 الاديب ! ..

من صغرى ، وانا اتمنى ان اكون اديبا .. له كتب ، وانه  
 مقالات ، وله اسم على السنة الناس .. وقد اشتغلت فى الصحافة  
 لاكون اديبا .. وفشلت فى الصحافة .. ولكن حلمى ظل يراودنى  
 .. ويلح على .. يجب ان اكون اديبا !

وكانت اقرا كثيرا .. وكانت اغلب قراءاتى فى الادب الفرنسى ،  
 وقرات مرة قصة لمورياك .. قصة شائقة رائعة .. ماذا لو ترجمت  
 هذه القصة ، ونشرتها فى كتاب باسمى ، وسجلت نفسى فى قائمة  
 الادباء ..

وحاولت ان اخلص من هذا الحلم ..

اهملت قصة لمورياك شهورا عديدة .. وانا اصر على ان اتفرغ

ولكن .. ربما كان أكبر من مؤهلاتى كمتامر ، انى لم اكن املك  
 شيئا اخاف عليه .. لم يكن عندى مال ياخذهُ منى غيرى .. لقد  
 بدأت اللعب عندما كنت صغيرا ، بخمسة قروش اقترضتها من  
 الصديق الذى يجلس بجانبى .. وتعودت بعد ذلك ان ابدأ اللعب  
 وانا مفلس ، اقترض من اى واحد من اللاعبين او من المتفرجين .  
 اما الريح الذى اجنيه فى آخر الليل ، فلم يكن يبقى فى يدى الا  
 ريشا تبدا الليلة التالية .. كنت ابعثر كل ما اربحه بجنون ..  
 كنت كريها متعما .. وكان كل اللاعبين يعرفون عنى هذا .. كانوا  
 يعلمون انى اللعب للذة اللعب نفسه ، لا لادخر الارباح واكون منها  
 ثروة .. وهذه هى اول شروط المتامر الاصيل ..

ومرت الايام وانا اللعب كل ليلة ، وفى الصباح اعمل صحفيا  
 فى احدى الصحف .. ثم هجرت الصحافة ، وتفرغت للتمار ..  
 فلم اكن صحفيا لامعا ، ولكنى كنت متامرا لامعا ..

ومع مرور الايام احترفت التمار ..

واصبحت اعقد الموائد لحسابى ، واحصل لنفسى على قيمة  
 « الجانيوتا » .. وكانت الموائد التى اعقدتها هى اغنى الموائد  
 وارقاها .. وزادت ارباحى ، وزاد بذخى .. لو قلت لك انى كنت  
 اكسب فى الشهر الواحد اكثر من الف جنيه ، فانى لا ابالغ ، ورغم  
 ذلك كنت دائما مفلسا .. اصبح عندى سيارة ، وشقة انيقة ،  
 واصبحت ارتدى افخر الثياب ، ولكنى دائما مفلس .. ابدأ ليلتى  
 — وكل ليلة — بالاقتراض من احدى اللاعبين او من احدى المتفرجين ..

وكانت سعيدا بحياتى .. لم يكن فيها شىء يقلقنى .. حتى  
 بوليس الآداب الذى يتبع المقامرين لم يكن يقلقنى او يخيفنى ..  
 ولم يكن التهرب من البوليس امرا يقتضى منى ادنى تفكير ، فقد  
 كنت لعلم انه بوليس اعجز من ان يصل الى موائد التمار ..  
 مستحيل عليه ان يصل اليها .. فهى تعتقد فى بروت لا يمكن ان

وعلى غير عادتي .. اقتضت ، وكتبت شيكا رابعا لصاحب المطبعة ..

وتم طبع الكتاب ..

خرج انيقا لامعا . رانعا .. يحمل اسمي !

واعلنت عنه في الصحف ..

وطرحته في السوق ..

وانا ادور على الباعة والمكتبات ، وانظر الى الكتاب الذي يحمل اسمي ، وابتسم فخورا بنفسي .. لقد أصبح لي أخيرا صفة

استطيع ان أواجه بها الناس .

ومرت الأيام ..

شهر .. شهران .. ثلاثة ..

اندرى كم نسخة بيعت من الكتاب ؟ ! .. اربعمائة نسخة ..

اربعمائة نسخة من خمسة عشر ألف نسخة ..

وبدا أصحاب الديون يجرون ورائي ..

وعدت الى موائد القمار ، لعلى أستطيع أن اسدد ديونى من

ارباحي .. ولكن يبدو أن الحزارة التي تركيبها فشل الكتاب ،

ومشاكل الديون التي تلاقتني .. كل ذلك قد أثر في صفاء ذهني ،

وقوة ملاحظتي ، فأصبحت أخسر على موائد القمار .. وأخسر ..

وأخسر .. ثم أصبحت أفقد أعصابي ، وأصبح اللاعبون يضيقون

بي ، ويهزبون مني ..

ويئس الدائنون مني .. ولم يرحموني ..

باعوا سيارتي ، واثاث بيتي ، وثيابي .. ثم ..

قدموا الشيكات التي في أيديهم الى النيابة .. شيكات بلا

رصيد .. وقدمت للحاكمة .. وحكم علىّ بالحبس ثلاثة شهور .

وأكثر ما يضايقني أن الناس تعتقد أني سجنيت كمقامر ،

لا كاديب !!

لاحتراف القمار ، ولحياتي السعيدة .. ولكن القصة كانت تتبعني .. وتلح علىّ .. وتؤرقني ..

ثم فجأة ، في يوم من الأيام ، وجدت نفسي جالسا الى مكتبي أترجم القصة .. وتحملت في ترجمتها .. الى حد أني أصبحت

أغيب ليالي كثيرة عن موائد القمار .. وخسرت أرباحي في تلك الليالي ، ولكن لا بهم ، سأعوض الربح ، بعد أن أطبع الكتاب

وأبيعه .. وسيكون ربحا لذيذا .. الذ من ربح القمار ..

وانتهيت من اعداد القصة ، وكتبت المقدمة والاهداء ..

أهديته الى زوج أبن ..

كيف أطبعه ؟ ..

لقد كنت أعرف أنه من المستحيل علىّ أن أجد ناشرا يتولى طبع كتابي ، فاني لا زلت مجهولا في عالم الأدب ، والناشرون

لا يطبعون الا كتب الأديباء المشهورين .. والكتب المضمونة الربح ، والوسيلة الوحيدة أمامي لنشر كتابي ، هي أن أطبعه على حسابي .

واقدمت على طبعه بروح المتأمر .. قررت أن أطبعه على ورق فاخر .. وأن اصنع له غلافًا من ورق البريستول الثمين ، مطبوعا

بخمسة ألوان .. وأن أطبع منه خمسة عشر ألف نسخة ، أن موريك وأنا ، نستطيع أن نبيع أكثر من ذلك ..

كم يتكلف المشروع ؟ ! ستة آلاف جنيه .. ولو ..

صحيح اني مفلس .. وقد كنت مغلسا دائما .. ولكن الافلاس ليس معناه ألا نجد نقودا ..

وقررت أن أستدين .. أن اصدقائي كثيرون ، وكلهم يرحبون باتراضى .. ولكن الاتراضى للعب القمار ، غير الاقتراض لمشروع

أدبي ضخم .. أن دين القمار دين شرف ، والمقرض يفترض نيك الشرف .. ولكن الاقتراض لطبع كتاب دين تجارى .. والتجار

لا يفترضون الشرف في احد !!

واتكلم بصوت غليظ .. واتعالى على الناس .. ولكن هذه الشخصية المربفة كانت لا تلبث ان تذوب اذا حدثت مناقشة بيني وبين اصدقائى .. وابدو امامهم على حقيقتى .. ضعيفا .. ضائعا ، غيبا .. واحيانا ابكى ..

والبنات .. حاولت ان يكون لى بنت .. ان كل صديق من اصدقائى له بنت ، وبعضهم له اكثر من بنت .. وشكلى ليس منفرا .. ان وجهى وسيم رقيق ، يفضح ضعفى .. ثم انى من عائلة كبيرة .. وابى غنى .. ان صفات فى كثيرة تغرى البنات .. وربما كنت خجولا منطوبا لا اجرؤ على التقرب الى فتاة ودعوتها الى سيارتى .. ولكنى كنت اتقوم هذا الخجل والانطواء ، وأختار بنتا اتقدم اليها ، ثم لا اكاد اعرفها ونلتقى مرة أو مرتين حتى « يلطشها » منى احد اصدقائى .. ويسخر الباقون منى !  
واتعذب ..

واتعذب بشخصيتى الضعيفة المنهارة ..  
لماذا انا ضعيف ؟

ربما انى وحيد والدى .. امى وابى يدلاننى كثيرا .. ويعاملاننى حتى اليوم كائى طفل صغير .. وامى لا تكف عن تقبيلى .. وابى لا يرفض لى طلبا .. ويكنى ان اغضب غضبة صغيرة حتى يهتز البيت كله ..

وربما كانت هناك اسباب اخرى ..  
لا ادرى .. ولكنى اتعذب ..

وكان اصدقائى كلهم يترددون على بيت واحد منهم ، ويجتمعون لاستذكار دروسهم .. وكنت اذهب معهم .. ولم تكن نذاكر .. كنا نلعب اغلب الوقت ونحدث ! ..

ولاحظت ان هؤلاء الاصدقاء مهتمون بالتطلع الى البيت المقابل .. ان فى البيت المقابل بنات ..

## الشخصية الجديدة

انا طالب فى كلية الحقوق ..

ولعلى واحد ممن يحملون لقب « ابن ذوات » فعائلتى لها اسم كبير قديم .. وابى غنى ، وعندى سيارة .. سيارة لى وحدى .. ومنذ ولدت وانا اركب سيارة .. انى لم اركب الأوتوبيس أو الترام فى حياتى ..

ورغم ذلك غانى لا اشعر بانى « ابن ذوات » ولا بانى املك سيارة .. كل ما اشعر به هو انى ضائع بين اصدقائى .. انى موضع سخريتهم دائما .. انى ضعيف ..

وطول حياتى وانا احاول ان اتقلب على هذا الضعف .. احاول ان ابدو قويا مثل اصدقائى .. ان امنعهم من السخرية بى .. ان اتفوق عليهم فى شىء ..

حاولت ان اكون بطلا رياضيا .. لعبت التنس ، والاسكواش ، والفولوى بول .. ولكن لا امل .. لا استطيع ان اتفوق .. وجسدى لا يريد ان يشدد ، وعضلاتى لا تزال مختلفة تحت جلدى ، وعظامى لا تزال طرية ..

وحاولت ان اتفوق فى الدراسة .. ان انجح بدرجة ممتاز .. ولكن لا امل .. انى كلما جلست للاستذكار تاه عطفى ، وحملتى خيالى بعيدا عن الكتاب .. ورسبت آخر العام ..

وحاولت ان امثل دور الشاب صاحب الشخصية القوية .. فكنت اضع على وجهى تعبيرا جادا .. ولا ابتسم الا قليلا ..

وتحدثت بميمي مرة ثانية فى المساء ..  
حدثتني ساعة ..

وأصبحت ميمي تتحدثنى كل يوم مرتين .. وأحيانا ثلاث  
مرات .. وكان حديثها فى الأيام الأولى يبدو مفتعلا ، ويميل الى  
المزاح .. ولكن حديثها بدأ يهدأ .. ووجدت نفسى اتحدث اليها كما  
لم اتحدث الى احد من قبل .. انى انطلق فى الحديث .. لا اتردد ..  
ولا ارتبك ، ولا أخجل .. أما هى فلم يكن حديثها كحديث بقية  
البنات .. لم تكن تتحدث عن آخر الأسطوانات التى سمعتها ..  
ولا عن الأفلام .. ولا عن نادى الجزيرة .. كانت تتحدث قليلا ،  
وتبدو دائما حزينة منكسرة ، كأنها تخفى فى صدرها عذابا ..

وأذهب الى أصدقائى ، وأحدثهم عن ميمي .. فيتبادلون  
هذه النظرات الساخرة ، وبعضهم يضحك بصوت عال .. انهم  
لا يصدقون ! ..

وأخيرا استطعت ان اتنع بميمي بان نلتقى .. وقد ترددت كثيرا  
قبل ان توافق على اللقاء ، بل انها حذرتنى بانى لن أجدها جميلة  
.. ولكننى صهمت .. ولا ادرى من اين اثبت بقوة التصميم ..  
ربما جننت بهذه القوة من تصميمى على تحدى أصدقائى ، وربما  
كانت ميمي تشير فى قوة جديدة لم أشعر بها من قبل .. قوة الرجل  
: بـ: قوة السيد ..

ولقيتها ..

انها جميلة .. وغريبة ..

سمرأء .. فى الثامنة عشرة .. وجهها مستدير ، كوجه فلاحه  
حلوة .. وربما لاحظت انها لا تجيد عقص شعرها ، ولا تجيد  
وضع « الروح » على شفطيتها ، وثوبها يبدو واسعاً عليها .. ولكن  
هذا لا ينفى انها جميلة ..

وهى غريبة .. انها تجلس بجانبى فى السيارة منطوية .. ثم

واستنتجت ان لأصدقائى علاقة بهؤلاء البنات .. كل منهم قد  
اختار بنتا .. تخرج اليه فى الشرفة لتبادلته الاشارات .. وتحدثه  
فى التليفون حديثا يستغرق ساعات ..

ولكن أصدقائى لا يطلعوننى على سرهم ..

انهم يتبادلون الهمسات أمامى ، دون ان يشركونى فيها ..

انى بينهم كأتى لست موجودا ! ..

وثرث عليهم ..

ثورة كثورة الأطفال الصغار ..

ان من حقى ان أشاركهم أسرارهم .. انى واحد منهم ..

واستقبلوا ثورتى ساخرين كعادتهم .. ولم أستسلم لسخريتهم

.. بدأت أضايقهم فى علاقاتهم بنات الجيران .. كنت أخرج

الى الشرفة كلما خرجت بنت الى الشرفة المقابلة .. وأشير لها

اشارات صبيانية ، وأرفض ان اترك مكانى لصديقى الذى اختارته

لنفسها ، وكلما دق التليفون وقفت بجانب الصديق الذى يتحدث ،

وأخذت أضايقه .. أصرخ .. وأغنى .. واقطع المحادثة ..

ثم .. ثم قال لى أصدقائى ان ميمي ، ابنة عم بنات الجيران ،

كانت فى زيارتهم ، ورائتى فى الشرفة ، وأعجبت بى ، وسألت بنات

عنها عن نمره تليفونى .. وبنات عمها سألوا أصدقائى ..

فأعطوهن النمره ..

وعدت الى البيت ، وربطت بجانب التليفون ..

يومان ..

ثم تحدثت ميمي ..

بقينا نتحدث نصف ساعة ..

وجريت الى أصدقائى أبلغهم بنبا المحادثة ، فنظروا بعضهم الى

بعض ساخرين .. وانطلق واحد منهم يضحك بصوت عال .. لعلهم

لا يصدقون !



فجأة تأتي بعركة خليعة كأنها تذكرت دورا يجب أن تقوم به .. ثم  
تعود مرة ثانية وتنكمش في ركن السيارة منطوية ..  
وأنا سعيد بها ..

أنى اشعر بجانبها أنى قوى .. أقوى منها ..  
أنى رجل .. أنى سيد ..

وتركتها .. وجريت الى أصدقائى لأروى لهم ما حدث بينى  
وبين ميمى .. ونظر بعضهم الى بعض ساخرين ، وانطلق أحدهم  
يضحك بصوت عال .. أنهم لا يصدقون .. وقد بدأت أكره هؤلاء  
الأصدقاء !

وعدت لأقابل ميمى ..

كم مرة قابلتها .. ثماني مرات .. لا .. تسع .. وقد  
استغذيت بها عن كل أصدقائى .. لم أعد أتردد على هؤلاء  
الأصدقاء . لم أعد أطيق سخريتهم وضحكاتهم .. ولم يعد فى  
حياتى إلا ميمى .. أعيش بجانب التليفون لأحادثها .. الى أن  
القاها ..

وقد قبلتها ..

ربما كانت ميمى هى أول فتاة أقبلها ، وأشعر بطعم القبله فوق  
شفتى .. وقد قبلت قبلها بنات .. ولكنى كنت أقبلهن كطفل ..  
قبله يشوهها حياتى وضعف شخصيتى .. كانت البنات هن اللاتى  
يقبلننى لا أنا .. أما ميمى .. فأنا الذى أقبلها .. قبله رجل ..  
قبله تنبض بشخصية كاملة ..

الى أن كان يوم .. وانتهى لقاءنا .. وقيل أن تترك مكانها  
بجانى فى السيارة قلت لها وأنا أضغط على يدها بيدى :  
— حدثينى اليوم فى التليفون ..

ونظرت الى طويلا .. نظرة غريبة .. ثم سحبت يدها من يدي  
وقالت لى وهى تدير وجهها عنى :

— لا .. لن أحادثك ..

قلت فى دهشة :

— لماذا .. ؟ ماذا جرى .. ؟ !

قالت وهى تنظر أمامها :

— لن أحادثك .. ولن ألتصق ..

قلت وأنا أشد دهشة ، وقلبي ينبض :

— ماذا جرى ؟

قالت :

— أنك لا تعرفنى ..

قلت وأنا أقترب منها وأنظر فى وجهها أحاول أن أقرأه :

— أنى أعرفك .. وأحبك .

والفتقت الى بعينين ثابرتين وقالت فى حدة :

— أنك لا تعرفنى .. لا تعرفنى .. لا تعرف حتى اسمى .. أن

اسمى ليس ميمى .. وليس مرغى .. وأنا لست ابنة عم أحد ..

أنا .. أنا ..

وخفت صوتها .. ونكست رأسها ، وقالت كأنها تهتم بالبكاء :

— لقد خدعوك فى .. أنى مقلب أو تعوك فيه .. فقد اتفق

أصدقاؤك مع البنات على أن يطلبوا منى أن أحادثك فى التليفون

ليضحكوا عليك .. فحادثتك .. ولم أكن أدرى أن كل ذلك سيحدث

.. لم أكن أدرى أنى سأحبك ..

قلت وأنا لا أفهم :

— ولكننى أحببتك و ..

— أنك لا يمكن أن تحب خادمة .. أنا خادمة .. أنا

معيمة الخادمة !

وسكنت .. وسكنت .. أحسست أنى أغرق فى ضباب كثيف .

أحسست أن شخصيتى الجديدة التى اكتسبتها — شخصية الرجل

— بدأت تذوب .. لقد سخر منى أصدقائى مرة أخرى .

وسمعتها تقول ودموعها تنحدر على وجنتيها :  
 — ان هذا الثوب هو ثوب سنى هدى .. لقد اقترضته لى فقط  
 لامثل الدور عليك .. لقد كانت تقرضنى ثوبا كلما جئت للقائك ..  
 وعندما اعود اخلع الثوب واعيده لها ، وأروى لها كل ما حدث  
 بيننا لترويه بدورها الى اصدقائك .  
 وسكنت .. وفتحت باب السيارة ونزلت منها دون ان تنظر  
 الى ..

وسكاكين حادة تهزق فى قلبى ..  
 وعدت الى بيتى .. وكانت هناك فكرة واحدة تسيطر على  
 تفكيرى .. ان اقتل اصدقائى .. ان اقتلهم جميعا ..  
 نعم .. ساقتلهم .. وجريت الى مكتب ابى واخذت المسدس ،  
 واطماننت الى انه محشو بالرصاص .. ثم ركبت سيارنى واتجهت  
 الى البيت الذى تعود اصدقائى ان يجتمعوا فيه .. وقبل ان ادخل  
 .. ترددت قليلا .. ثم وجدت نفسى اتجه الى بيت الجيران ..  
 وصعدت السلم وثبا .. ثم وقفت ادق الباب بكلتا يدي .  
 وفتحت لى هدى ، وصرخت فيها :  
 — مين نعيمه .. مين نعيمه الخدامه ..  
 وربما كان الجنون يبدو فى عيني .. فقد تراجعت هدى من  
 امامى ، وانا اسمعها تصرخ :  
 — نعيمه .. نعيمه .

ورابت نعيمه امامى .. ودون ان اتكلم .. جذبتها من يدها ..  
 وسحبتها ورائى على السلم .. ثم اركبتها بجانبى فى السيارة ..  
 وانطلقت .. بسرعة مجنونة .. و .. ووقفت بها فى المكان الذى  
 تعودنا ان نتقف فيه كلما التقينا ..

\*\*\*

اتدرى .. لقد نجحت هذا العام فى الامتحان .. نجحت  
 بتفوق .. بدرجة ممتاز !

## الزوجة الثانية

هجر ابى امى .. لم يطلقها .. ولكنه هجرها ..  
 وقد بدا هجره بليلة يغيبها عن البيت كل اسبوع .. ثم اصبحت  
 الليلة ، ليلتين .. ثم اصبح يغيب ثلاث ليال .. ثم يغيب الاسبوع  
 كله .. ثم عرفت امى انه تزوج امرأة اخرى .. مطلقة .. ولم  
 تعترض امى .. ولم تثر ..

ولم تطالب بالطلاق .. كل ما فعلته انها حرمتها من نفسها ..  
 لم يعد له عليها حقوق الأزواج .. وقد عاد بعد شهر يطالب بحقه  
 .. ان ينام فى البيت ولو ليلة واحدة .. ولكنها رفضت .. وثار  
 ابى وهدد .. واصرت على الرمنض ..

وقررت امى بينها وبين نفسها ان تهب عمرها لاولادها .. انا  
 .. وكنا خمسة .. ولدين وثلاث بنات .. وانا اكبرهم ..

وقد عشت طول عمرى اتساءل .. لماذا لم تطلب امى الطلاق  
 .. لا يمكن ان يكون السبب هو ما يدفعه ابى لها للانفاق علينا ..  
 فهى لو طلقت لاستطاعت ان تقاضيه وتستصدر حكما بالانفاق  
 علينا ، يوازى ضعف ما ينفقه .. ولم أعلم الا اخيرا ان امى ظلت  
 محتفظة بنفسها زوجة له ، حتى تحمى نفسها من الزواج من غيره  
 .. حتى لا تضعف امام رجل آخر يتقدم اليها ، وحتى لا تخضع  
 لضغط أهلها عليها لتتزوج مرة اخرى .. فلا تهيننا كل عمرها ..  
 لقد سجنتم نفسها فى ورقة الزواج .. زواج بلا رجل .. من اجل  
 اولادها .. من اجلنا ..

بزيارتى له .. وانتقم منه وانا آكل على مائدته ، وانتقم منه وانا  
أضرب اولاد زوجته .. وكانت لاحداهما ابنة وللأخرى بنت وولد .

ثم بعد أن كبرت أصبحت انتقم منه بطريقة أخرى .. أصبحت  
كلها ذهبت لأقضى أياما عنده ، أغرى بنتى زوجته .. وانا لهما ..  
اشبع شبابى منهما .. انه انتقام لذيد .. ولكنه انتقام ..

وقد استطعت أن اصبح حلاقا .. حلاقا ناجحا .. وبدأت  
أكسب كثيرا .. وكان كل همة أن أعوض أمى عما قاسته فى سبيلنا  
.. وأن أرحم أخوتى مما كتبه عليهم أبى .. فاستطعت بمكسبى ،  
أن استأجر لنا شقة حديثة واسعة .. فى حى النيل .. وأن ازوج  
أختى .. وأن أساعد أخى ليشارك أحد زملائه فى افتتاح ورشة ..  
وأذكر أن الشقة التى استأجرتها كان فى حمامها بانوي .. وأكثر  
ما فرحت به هو هذا البانوي .. أن أمى تستطيع اليوم أن تستحم فى  
بانوي .. وكنت ادخل بنفسى وأملأ البانوي بالماء الساخن وأدعو أمى  
الى الحمام .. لقد كنت أدللها كثيرا .. أنى أحبها .. بقدر ما  
أحبتنى وتعبت من أجلى ..

ولكنى ظلت اواظب على زيارة أبى .. اواظب على الانتقام  
منه فى بنتى زوجته .. كان هناك شيء يجذبنى دائما الى بيتى  
أبى .. بيت زوجته الثانية ، وبيت زوجته الثالثة .. ربما كان  
المرح الذى يملأ البيت .. وربما لأن زوجته ليستا جادتين  
حزينتين دائما كأمى .. واولادهما لا يحملون الهم كأخوتى ..  
ورغم كل شيء .. فأنا لا أستطيع أن انكر أن أبى كان سعيدا  
فى حياته ..

ثم كان يوم .. وسمعت زوجة أبى — الثانية — تطلب منه أن  
يزوجنى بابنتها .. ولم اسمع حديثها صدمة .. بل سمعته  
استراقا .. فقد تعودت أن اسرق السمع كلها ذهبت للاقامة فى  
بيت أبى ..

وكان أبى صاحب ورشة .. كان يكسب كثيرا ، وكان بعد أن  
هجرنا يرسلنا أينما يكفيننا للعيش فى ستر .. كنا نسكن شقة من  
أربع غرف فى حى السبالة وكنت وأخوتى نذهب جميعا الى المدرسة  
.. ولكن أبى بدأ يتشغل بزوجه الجديدة عن عمله .. وعنا .. ثم  
لم يكتف بالزوجة الجديدة .. تزوج مرة ثالثة .. وأصبح له ثلاث  
زوجات وثلاثة بيوت يتفق عليها ..

ورغم أنه لم ينجب من زوجته .. الثانية والثالثة .. إلا انه  
كان ينفق عليهما أكثر مما ينفق علينا .. وكانت يده تزداد ضنا  
علينا شهرا بعد آخر .. حتى اضطرت أمى أن تنتقل بنا من الشقة  
التي كنا نسكنها الى شقة مكونة من حجرتين ، فى شارع السد ..  
ثم .. وأبى يزداد ضنا علينا .. اضطررنا أن نتقل الى حجرة  
واحدة نقيم فيها كلنا ، أيجارها خمسة وعشرون ترشما فى الشهر .  
وأخرجتنا أمى من المدارس ..

كان يجب أن نعمل ، وأن نكسب لقمة العيش ..  
وأرسلتني أمى لأشتغل صبي حلاق حتى أتعلم الحلاقة ..  
وأرسلت أخى الى ورشة صغيرة فى الحى يتعلم فيها تصليح  
السيارات .. وبدأت تدرّب الأختين على الخياطة .. وهى نفسها  
بدأت تعمل خياطة ..

وكل ذلك وأبى لا يرحمنا .. ويقيم مع زوجته .. وكل معها  
فى شقة كبيرة فى حى الروضة ..  
وأبى صابرة ..

لا تطالبه بالطلاق .. ولا تطالبه بنفقة ، إلا ما يعطيه لها تفضلا  
منه ..

وكبرت وأنا أكره أبى ..

كنت أذهب اليه وأقيم معه أياما .. سواء فى بيت الزوجة  
الثانية أو الزوجة الثالثة .. وأحس أنى انتقم منه .. أنتقم منه

وخفت .. خفت ان تكون زوجة ابي قد نصبت لى شركا لانزوج  
ابنتها .. انى اعرفها .. انها قادرة على نصب الشرك .. وانا  
لا اريد ان اتزوج هذه الفتاة .. كيف اتزوجها وقد اشيعت منها  
شبابى .. ثم كيف اتزوج ابنة ضرة امى .. لو تزوجتها فستموت  
امى كهذا ..

وجريت الى امى وطلبت منها ان تزوجنى .. قلت لها اريد  
فتاة مثلها فى اخلاقها ، وفى عفتها ، وفى قوة احتمالها ..  
وزوجتنى امى .. زوجتنى من ابنة اختها ..

وكانت زوجتى كأمى فعلا .. قوية مثلها .. صابرة مثلها ..  
جادة مثلها .. عفيفة مثلها .. بل تمتاز على امى بانها متعلمة ..  
تقرا وتكتب ..

وسعدت بزوجتى .. انها تحبني .. انها خادمتى .. انها  
تكاد تفرش لى الارض برموش عينيها ..

وكان يبيب ن ابقى طول عمرى سعيدا ..  
ولكن بعد ثلاث سنوات .. وبعد ان انجبت ولدين وبناتا ..  
قابلت زينب ..

وزينب سيدة مطلقة ، قابلتها عندما زرت زوجة ابي .. مرحلة  
مثلها .. ببضاء مثلها ..

وشغلتنى زينب .. وعرفت ان لا سبيل اليها الا اذا تزوجتها ..  
لا .. لا يمكن .. لن اتزوجها ..

لن اكرر مأساة ابي .. لن اعرض اولادى لما عرضنا له ابي ..  
وزينب لا تزال تشغلنى ..

ولكن .. لماذا اسمى حياة ابي مأساة .. لقد عاش سعيدا ..  
لا .. انها مأساة .. لقد تخلى عن اولاده .. عنا ..

لن افعل مثله .. ابدأ .. لن افعل مثله ..

ولكن .. مأساة ابي انه تخلى عن اولاده ، لا لانه تزوج امرأة  
اخرى ..

اى انه لو لم يتخل عن اولاده ، لما كانت هناك مأساة ..  
وطيف زينب يشاغلنى ..

انى استطيع ان اتزوجها .. لماذا لا اتزوجها ..

كل ما همالك يجب ان احرص على الانفاق على اولادى .. حتى  
لا تتكرر مأساة ابي ..

وقررت بيئى وبين نفسى ان اتزوج زينب ..

ويبدأ ألامى كل شىء سهلا .. واضحا .. ساتزوج زينب ..  
وستبقى زوجتى الاولى مع الاولاد ، وساتفق عليهم .. وكان الله  
يحب للمحسنين .. ان زوجتى لا يمكن ان تطلب الطلاق .. انها  
كأمى .. انى اعرفها ..

وفانحت زينب فى الزواج ..

وسهرت عندها ليلاتها حتى الواحدة صباحا .. ومعنا أهلها  
طبعاً .. وعدت الى بيتى سعيدا .. نشوان .. والحياة سهلة ..  
جديدة ..

ووجدت زوجتى جالسة فوق الفراش ، ووجهها مكفهر ..  
وابتسمت لها .. ولكنها لم تبتسم .. وسالته فى وقاحة :  
— كنت فىن ؟

ودهشت للسؤال .. صحيح ان هذه هى المرة الاولى التى  
اسهر فيها خارج البيت حتى الساعة الواحدة صباحا .. ولكن  
امى لم تكن تسأل ابنى : كنت فىن .. فكيف تجرؤ زوجتى على  
سؤالى ؟ !

ورغم ذلك فلم اكن اريد ان اكرر سعادتى ونشوتى ، فكذبت  
على زوجتى وتقبلت كذبتى كأنها لا تصدتها .. وقالت فى حزم  
عجيب :

— تانى مره ما تتأخرش !!

وسهرت ليلة اخرى عند زينب .. وعدت فرحان نشوان ..  
فيذا بن اجد زوجتى تبكى .. ثم لم تكذ ترانى حتى انطلقت  
فى وجهى كالمدفع الرشاش .. كالصاروخ .. ولا تريد ان تهذا ..  
لا تريد ان تكف عن الصراخ .. وتبددت فرحتى ونشوتى .. ولم  
انم .. قضيت طول الليل استمع الى صراخها ..

ورغم ذلك .. عدت وسهرت عند زينب ..

واستقبلتنى زوجتى صارخة :

— طلقنى .. طلقنى ..

اطلقها .. كيف ؟

ان امى لم تطلب الطلاق من ابنى حتى بعد ان هجرها .. فكيف  
تطلب زوجتى الطلاق ؟!

كيف تطلب الطلاق وهى كأمى .. والاولاد .. الم تفكر فى  
الاولاد ..

وسكت .. لابد انها جنت ..

وصرخت زوجتى كأنها سمعت ما يدور بينى وبين نفسى :

— طلقنى وخذ ولادك .. خللى ست زينب بتاعتك تربيهم لك ..

يا .. يا ..

وانهالت الشتائم .. كل ما همنى هم الاولاد ..

— ان رينب لا تستطيع ان تربيهم .. ان زوجة ابنى لم تربنا ..  
ولم اكن اقبل ان تربينى او تربى اخوتى .. انها صنف من النساء  
لا يصلح لتربية الاولاد ..

وزوجتى لا تزال تصرخ .. ظلت تصرخ حتى الصباح ..

وذهبت الى عملى بلا نوم .. ولم اكذ انحنى على اول زيون ..  
حتى وجدت خالى يدخل على ويجذبى من ذراعى ، ويهمس فى  
أذنى :

— ايه اللى انت حاتمعله ده .. صحيح حا تتجوز زينب ..  
مش كفايه اللى عمله ابوك ..

ثم جاء زوج خالتى .. ثم جاءت امى ..

واضطرت ان اترك عملى واذهب الى البيت لاجادلهم ..

وتركتهم ساخطا ونزلت لاجلس فى المقهى المجاور للبيت ، فاذا  
بصاحب المقهى يصيح فى وجهى :

— ايه الحكاياه يا اسطى محمد .. حد اليومين دول يتجوز

على مراته .. ده انت مراتك ست اميره .. يا رجل اعقل .. بلاش  
دناوه ..

والاسطى حسنين الميكانيكى ..

وسى جوده افندى رئيس حسابات قلم القنودات بالمحافظة ..

ثم .. زبائنى ..

زبائنى الذين اعتر بهم .. كنهم عرفوا بالحكاية .. كلهم فوق

راسى .. كلهم يهددوننى :

ان زوجتى لم تترك احدا من اصدقائى و من زبائنى ، الا

وسلطته على ..

انها ليست كأمى ..

ليست كأمى ابدا ..

ولم اتزوج زينب ..

وشتاء ، ومن نور وظلام ، ومن برد وحر .. فلماذا يصر الإنسان على أن يعيش هذه الحياة على وتيرة واحدة .. لماذا يقيد خطواته ، ويقيد روحه فى داخل علبة ضيقة ، يسميها التقاليد .

وأحببت هذه الحياة .. حياة كمال ..

وأحببت كمال .. وأحبنى كمال ..

وعشنا يوماً بيوم .. وساعة بساعة .. كل يوم جديد .. وكل ساعة جديدة .. ولا مسئولية .. لا احساس بالمسئولية اطلاقاً .. اننا لا نحس بشيء الا بحبنا .. لا احس الا به ، ولا يحس الا بى ..

و مضى عامان على حبنا .. ثم تعبت ..

لا أدرى مم تعبت ، فلم يكن فى هذه الحياة شيء يتعب .. ولكننى بدأت احن الى الاستقرار .. بصراحة .. بدأت أفكر فى الزواج .. يبدو انه مهما اشدد الحب ، فهو لا يغنى ابداً عن الزواج .. وقد كنت أحب كمال .. أحبه بكل دقائق قلبى .. بكل دقائق عمرى .. ولم يكن هناك شيء ينقص حبنى .. ورغم ذلك لم استطع ان أمنع نفسى من التفكير فى الزواج ..

هل أتزوج كمال ؟ !

لا .. لقد أشفقت عليه من مجرد الفكرة ..

ان الزواج نظام لا يعترف به كمال فى حياته .. لا يخطر على باله اطلاقاً .. وسعادة كمال ، وهناؤه ، وعقليته ، لا يمكن ان تتفق مع الزواج .. ان الزواج يتعسه .. يشقيه .. انه لا يصلح اصلاً للزواج .. فالزواج يتطلب حداً من المسئولية ، ومن الاستقرار ، وكما لا يستطيع ان يكون مسئولاً ولا مستقراً .. هذه طبيعته .. انى اذكر الأيام التى كنت اراه فيها وفى جيبه عشرة جنيهات .. تد يصرغها كلها فى ليلة واحدة .. يصرغها بلا ضابط وبلا تفكير .. تد يعطى نصفها لبائع الجرائد ، ويشرب بالنصف الآخر زجاجة شمبانيا .. ثم يضحو فى اليوم التالى مفلساً .. دون ان يدري

## مقاعد التفرجين

لم أكن أدري أن كل ذلك سيحدث عندما التقيت بكمال .. كان شاباً منطلقاً .. مرحاً .. يضحك بالحياة .. لا تكف الابتسامة عن شفثيه ..

واعتقدت انى سألهو معه .. وكنت فى حاجة الى اللهو .. فى حاجة الى ان أهرب من مشاكل أبى وامى .. وان أثير الموج فى حياتى الراكدة .. وان أضحكك ..

ولكن حياتى مع كمال لم تسنبر لهوا ..

لقد وجدت نفسى اغوص فى ابتسامته المرحية .. ابتسامة الطفل الكبير ..

ووجدت نفسى أعيش حياته .. حياة لا تهدأ ابداً .. ولا تستقر .. جمالها فى ضحيتها وفى عدم استقرارها .. لم تكن حياة عريضة .. لا .. ان كمال ليس عريداً .. انه صاحب رأى فى الحياة .. صاحب مبدأ .. ان الحياة فى نظره يجب أن تكون هكذا .. ضحكة كبيرة .. ويوم بيوم .. بلا قيود ولا تقاليد ، ولا شيء مما اتفق عليه الناس .. ان الناس كلهم على خطأ ، فلماذا نشاركهم الخطأ .. ؟

والناس كلهم يعيشون محرومين من حقيقة الحياة ، فلماذا نشاركهم الحرمان .. الناس كلهم منافقون جبناء .. فلماذا نشاركهم النفاق والجبن .. اننا نعيش الحياة كما ارادها الله .. والله لم يرد الحياة راكدة آسنة .. لا .. لقد خلق الله الحياة متغيرة فى كل ساعة من ساعاتها .. خلقها من ليل ونهار ، ومن صيف

أنه مفلس . ودون أن يذكر أنه يملك بالأمس عشرة جنيهات ..  
وأذكر الليالى التى كان يقضيها جالسا على سور كورنيش النيل ..  
.. سعيدا .. منتسما .. كأنه على موعد مع حبيبته .. ولم يكن  
على موعد إلا مع شروق الشمس .. دون أن يحس أن له بيتا يجب  
أن يعود إليه ، ودون أن يحس أن له سريرا يحن إليه ، ويهدأ  
فوقه ..

لا .. لا يمكن أن أتزوج كمال ..  
ولكنى أتمن إلى الزواج .. أريد أن أتزوج .. أريد أن يكون لى  
بيت .. ومطبخ .. وصديقات يزرننى ..  
وتقدم لى رجل ليتزوجنى ..  
ليمنحنى البيت ، والمطبخ ، ومكانا أستقبل فيه صديقاتى ..  
وكان رجلا محترما .. كل ما شعرت به نحوه هو الاحترام ..  
هل يكفى الاحترام سببا للزواج .. ربما ..  
وقررت أن أتزوجه .. ثم كان يجب أن أبلغ كمال .. شعرت  
أنى يجب أن أستأذنه فى أن أتزوج غيره .. ولم يكن لكمال حق  
على الا حق الحب .. ورغم ذلك كان لا يمكن أن أتزوج قبل أن  
استأذنه ..

وذبحت إليه ، وقلت وأنا أحاول أن أبدو بسيطة وطبيعية :  
— سأزوج !!  
وارتفعت فى عيني كمال دهشة كبيرة .. دهشة صادقة ..  
وقال كأنه يتهمنى بالجنون :  
— لماذا ؟ !

وفوجئت بهذه الدهشة ، وبهذا السؤال .. نعم ، لماذا أتزوج ؟ !  
وأحسست أن ليس هناك سبب يدعو لى للزواج .. أحسست  
بالبلاهة .. بأنى عبيطة .. اننا — كمال وأنا — نضحك ، ونهزج  
ويحب احدا الآخر .. فماذا أريد أكثر من ذلك .. ولماذا أتزوج ؟  
ورغم ذلك فقد أجنته وأنا لا أزال أشعر بالبلاهة :

— لا ادرى .. ولكنى يجب أن أتزوج ..  
وتعكرت عينا كمال .. وتجهم وجهه .. وأحسست بقلبي  
يتمزق له .. انى اطلق ان اراه دائما كما احببته .. مرحا ،  
منطلقا ، وابسامته فوق شفتيه ..  
ونظر كمال الى الأرض .. ثم رفع رأسه حزينا . وقال كأنه  
يبيعنى آخر ما يملك :

— هل تتزوجينى ؟ ..  
وشعرت انى اهم بالبكاء .. لا فرحا .. ولكن لانى أحسست  
بمدى عذاب كمال .. انه لم يكن يعرض على الزواج - الا اذا كان  
عذابه كبيرا .. كثيرا الى حد أن يضحى بكل حياته من اجلى ..  
وانهزت دموعى .. وقلت وقلبي يكاد يخنقتى :

— دعنى أفكر !  
وحملت دموعى ، وتركته .. وقضيت أياما اتعذب بحيرتى ..  
حيرتى بين رجل احبه ولا يصلح زوجا .. ورجل يصلح  
زوجا ، ولا احبه ..  
حيرتى بين قلبى وعقلى .. قلبى فى ناحية .. وعقلى فى  
ناحية ..

وقال لى عقلى انى اذا اردت الزواج .. فانى أريد الهدوء  
والاستقرار .. وكمال لا يستطيع ان يمنحنى الهدوء والاستقرار  
.. بل ان الهدوء والاستقرار سيقتضيان على كمال .. كائى لى  
تزوجته ، فتساقضى على نفسى وعليه ..

ولكن قلبى ..  
قلبي يا ربي .. !  
وخنقت قلبى .. نعم خنقته .. وتزوجت الرجل المحترم ..  
وحاولت أن اخفف عن كمال الصدمة .. حاولت أن القاه .  
وأن أمنحه أكثر مما تعودت أن أمنحه ، نلعه يغير لى ، ولعله ينسى  
عذابى .. ولكن كمال لم ينتظر أن أواسيه .. سافر ..

وأصبح لى بيت .. ومطبخ .. وصديقتى يزرنى .. ولكن ،  
انى أحس انى ابتعد عن الحياة .. لم اعد اعيش الحياة ..  
ولكنى انفرج عليها .. نعم .. لقد انتقلت بعد الزواج الى مقاعد  
المتفرجين .. ارقب المسرح من بعيد .. وارى الممثلين الذين  
يعيشون الرواية ، وينفعلون بها ، والناس تنظر اليهم ، وتصفق  
لهم .. وانا .. وانا .. لا اعيش الحياة .. ولا احد ينظر الى  
ويصفق لى .. انا الهدوء والاستقرار .. انا البلادة .. انا عقل  
يلا تلب .. انا واحدة قطعت تذكرة للفرج على الحياة .. من  
بعيد ..

وانا ابكى .. ابكى حياة لا أستطيع ان اعود اليها ..  
وابكى هدوءا واستقرارا لا أستطيع ان افر منهما  
والمسح بدموعى جدران البيت ، والمطبخ ، واداريها عن  
صديقتى عندما يزرنى ..

## السويد

انا مهندس .. فى الثالثة والعشرين من عمرى ..  
وارسلتنى الشركة التى أعمل بها ، فى بعثة تدريبية ، الى  
السويد ، لمدة عام ..

والسويد هى جنة الشقراوات .. والبنات هناك يأخذن الحياة  
ببساطة .. لا عقد ، ولا تكلف ، ولا هروب من طبيعة الانسان ..  
انك تستطيع ان تتبسم لاي فتاة فى الشارع ، فتزد ابتسامتك ، دون  
ان تحس ان فيها معنى يجرحها ، ودون ان تشعر بأن كل ما قد  
يربطك بها انك رجل وانها امرأة .. والابتساماة قد يعقبها حديث ،  
وقد يعقبها لقاء ، وقد يعقبها حب .. وقد لا يعقبها شىء أبدا ..  
ولكنها أولا ترد ابتسامتك .. لأنها ابتساماة .. لا لانك رجل وهى  
امرأة ..

ولكنى لم ابتسم لنبات السويد ..

قضيت اثنى عشر شهرا وحيدا فى جنة الشقراوات .. وربما  
كانت هذه طبيعتى .. فأنا ضنين بجسدى .. انى الى الآن لم يكن  
لى فتاة أبدا .. ثم انى لا أتصور ان اربط نفسى بفتاة وانا اعلم انى  
سأتركها بعد سنة .. وبعد شهر .. ان البنات ليسن مجرد متعة ..  
وليسن مجرد حاجة للرجل ، يجرى وراءها .. انهن اكبر من ذلك  
بكثير .. وقد عشت طول عمرى انتظر هذا الشىء الكبير ..

وتركنت السويد بعد ان انتهت مدة البعثة ، وانا سعيد ..  
وسعيد بالحياة التى عشتها .. وسعيد بدراستى .. وسعيد انى



استطعت ان اقاوم اصدقائى بأن ابحث عن فتاة اكسر قلبها ، او  
تكسر قلبى .. ثم نفترق ..

وكان امامى بعد ان تركت السويد ان ازور بعض المصانع فى  
المانيا والنمسا ، لبضعة اسابيع ثم اعود الى بلدى ..  
و .. حدث الشيء الكبير ..

كنت اركب القطار من كوبنهاجن فى الدانمرك ، الى هانوفر فى  
المانيا .. والقطار يعبر بنا بحر الشمال محمولا على باخرة ..  
ومياه البحر هادئة .. زرقاء .. عميقة الزرقة .. والنسيم يطوف  
بى كأنه يغسل وجهى بماء مثلج .. ونفسى هادئة مستكينه ..  
ورفعت عيني بلا مبالاة .. فرايتها .. والتقت عيناى بعينيها ..  
صدفة ..

واحسست كأن حجرا صغيرا الذى فوق صفحة نفسى الهادئة  
المستكينه ، فاهتلات بمواج تتسع وتتسع حتى تصل اليها .. الى  
الشقراء التى تقف بجانبى مستندة على سور الباخرة ..  
انها جميلة .. ولكنها ليست كبنات السويد ..

ان فيها شيئا يختلف عن كل البنات .. فيها شيء لى وحدى ..  
شيء كائى كنت فى انتظاره على موعد ..  
وابتسمت .. وجدت نفسى ابتسم ..

ولحلت على شفتيها ابتسامة مترددة ، ما ليثت ان اتسع  
واستقرت ..

واقتربت منها فى خطوات حذرة .. كائى كنت خائفا ان اقتربت  
اكثر ان اتبين انى اقترب من سراب ..  
ووصلت اليها .. وتحادثنا ..

ولا ادرى من اين اتينا بكل هذا الحديث ولم يمض على لغائنا  
سوى لحظات .. وانا بطبعى خجول منطو .. ولكنى وجدت نفسى  
أتكلم واتكلم .. افاق واسعة تنتج امامى وتمتلئ بالكلام ..

ودعوتها الى الغداء .. ودعنتى فى نفس اليوم الى العشاء ..

ونحن نتكلم .. انها تستطيع ان تتكلم فى كل شيء .. فى  
الادب ، والفن ، والموسيقى ، وفى الهندسة والصناعة ايضا .. ان  
ما فى رأسها اكبر من عمرها .. عمر السابعة عشرة .. وهى  
دائما رقيقة حتى لتبدو من فرط رقتها « هفتانة » مستسلمة .. انها  
ليست كبنات السويد المثلثات صحة وعافية .. كأنها شرعية ..  
كأنها من بناتنا ..

وعرفت انها نمساوية .. ابنه احد رجال الصناعة هناك ..  
وانها فى طريقها الى فيينا .. وبد تردد غيرت طريقى الى فيينا ..  
وعشت معها هناك شهرا .. عرفتنى بعائلتها .. وكانت معى  
دائما .. حتى وانا ازور المصانع .. ثم كنا نذهب لتجسس معا على  
شاملىء الدانوب .. ونتكلم ..

ولم يعد كل ما بيننا كلاما .. لقد اعطتنى كل ما اريده ..  
اعطتنى فى استسلام رقيق .. وتحملتنى فى خضوع .. كانت  
تشعرنى بأنى كل شيء .. بانى اقوى رجل فى العالم .. بانى اسعد  
رجل فى العالم .. بانى خير رجل فى العالم .. ولكنه احساس  
بقوة عواطفى .. بقوة الحنان .. بقوة الحب ..

وقد احببتها ..

كانت حوى الأول ..

ثم .. كان يجب ان اعود الى بلدى .. وقيل ان اعود كنت قد  
قررت ان اتزوجها .. ولكنى لم امانحها فى الزواج ، فلم يكن مرتبى  
يكفى لأن اصنع لها حياة فى بلدى توازى الحياة التى تعيشها فى  
بلدها .. كان يجب ان انتظر حتى يصل مرتبى الى ستين جنيها  
فى الشهر على الأقل ..

وكما التقيت بها فى قطار .. ودعنتى فى قطار .. ركبت معى  
حتى آخر حدود النمسا ، ثم نزلت ووقفت على الرصيف ، ويدها

وارتفع مرتبى الى ستين جنيتها .. الى سبعين ..

وقررت ان اذهب الى املى .. وذهبت طائرا ..

ولكنها لم تكن فى بيتها .. فقد سافرت الى المانيا وستعود بعد اسبوع .. واعطونى عنوانها .. وجلست لاكتب لها خطابا .. ووضعت الورقة امامى .. وامسكت بالقلم .. وبدأت اكتب .. ووجدت نفسى اكتب من اليمين الى اليسار ..

واكتب باللغة العربية ..

واكتب : عزيزتى بثينة ..

كانت رغبة عارضة تدفعنى الى الكتابة الى بثينة .. رغبة لم استطع ان اقاومها .. فكتبت لها .. وفى الصباح التالي .. امسكت بالقلم لاكتب الى حبيبى .. ولأول مرة انردد .. ولأول مرة اجد الكلام ثقيلًا فوق سن قلمي .. ولأول مرة أحس انى ابذل مجهودا كبيرا لانتقى الكلمات ، وليلطول الخطاب الى اكثر من نصف صفحة .. وبعد ثلاثة ايام كتبت خطابا آخر الى بثينة ، من خمس صفحات .. ثم عادت حبيبتى .. والتقينا ..

التقينا بعد عامين من الأمل .. وفرحت بى ..

وفرحت بها ..

فرحة حقيقية .. احسست انى استردت نفسى وانا اضمها الى صدرى ..

ثم .. ثم ساد بيننا صمت عجيب .. ثقيل .. صمت فيه ارتباك ، وكان كل منا يبذل مجهودا ليحتفظ بابتسامته .. وكل منا ينظر فى وجه الآخر كأنه يبحث ذيه عن حبه ، وعن ذكرياته ..

وقضينا اليوم معا نبحث عن ذكرياتنا وحبنا .. وما كذت اعود الى الفندق حتى جلست لاكتب خطابا الى بثينة ..

ومر اسبوع .. وكل يوم اقضيه مع حبيبتى ، ثم اعود الى الفندق لاكتب خطابا الى بثينة .. و .. وقلت لها وانا مرتبك :

فى يدي ، وعيناها الزرقاوان فى بحر من الدموع .. ثم تحرك القطار .. ويدها فى يدي .. ثم تركت يدي ، وأخذت تجرى وراء القطار كأنها تريد أن تمسك به حتى لا يتعد بى .. واخفتت .. وبكيت ..

ووصلت الى القاهرة لاجد خطابا منها فى انتظارى .. وكتبت لها .. كنت اكتب لها كل يوم .. وكتبت لى كل يوم .. وتحدثت .. نتحدث عن كل شيء .. وعن بيتنا فى القاهرة ، وأين سنضع البوتاجاز .. وأين سنضع الفريجدير .. و .. ومثى سيرتفع مرتبى الى ستين جنيتها ..

وانا وحيد فى القاهرة .. وحيد مع حبى .. مع ذكرياتى .. مع عينيها الزرقاوين .. ومع شعرها الذهبى .. ومع خطاباتنا .. وحيد .. الى ان التقيت بثينة .. لم التق بها ..

انى اعرفها دائما .. انها شقيقة صديقى محمود .. وكنت التقي بها واتحدث اليها كلما ذهبت لزيارة محمود .. ولكنى وجدت نفسى بعد ان عدت من أوروبا اتحدث اليها أكثر .. ثم اصبحنا نلتقى فى النادي صدفة .. ثم اصبحنا نلتقى على موعد .. ونحدثت .. وحديثنا عن حبيبتى فى فيينا .. حدثتها عنها طويلا وكثيرا .. وكنت انتهى من حديثى معها ، واذهب الى بيتى وأرسل الى فيينا بخطاب .. ثم لم اعد احدث بثينة عن حبيبتى .. لقد وجدنا أكثر من موضوع آخر نتحدث فيه .. ولكنى كنت دائما اتركها لأرسل خطابا الى فيينا .. الى حبى الأول .. ومر عام .. وعام آخر .. وانا اعيش فى حسى الأول .. وفى لقاء يتجدد مع بثينة ..

وكانت بثينة هى سندی فى هذا الأمل .. هى الدواء الذى اتناوله حتى لا أفقد الأمل .. لا تسىء الظن .. لم يكن بينى وبين بثينة شيء .. لم تنصارع بأى معنى من معانى الحب .. كان كل ما بيننا هذه الأحاديث التى لا تنتهى ..

— لقد أصبح مرتبى سبعين جنيها ..  
قالت مبتسمة :

— مبروك ..

قلت فى تردد :

— انتى استطيع الآن ان اتزوج ..

قالت وهى تحنو على بابتسامتها :

— هل وجدت من تتزوجها ؟

ورفعت اليها عينى فى دهشة ..

وامسكت يدى وربتت فوقها وقالت فى صوتها الهادىء الرقيق :

— لست أنا .. يا محمد !!

قلت :

— ولكن ..

وقاطعتنى وهى تضع اصابعها الرقيقة فوق شفثى :

— لا تتكلم .. لا تقسد ذكرياتنا .. تعال .. اننا سنذهب

الليلة الى الأوبرا ..

وقبل ان اذهب الى الأوبرا ، ذهبت الى مكتب التلغراف ،

وارسلت برقية الى بثينة : « ساعود .. انتظرينى ! »

وعدت .. وتزوجت بثينة ..

## فهرست

| صفحة |                         |
|------|-------------------------|
| ٥    | كرامة زوجتى             |
| ١٧   | زوجة وخادمة             |
| ٢٧   | صورة                    |
| ٣٥   | مغامرة                  |
| ٤٥   | بنت تبحث عن زوج         |
| ٥٣   | زوجة تبحث عن عمل        |
| ٦٠   | رجل يبحث عن سيارة       |
| ٦٨   | أين حبيبتى              |
| ٧٥   | خواطر فتاة متحررة       |
| ٨٣   | بلا كلام                |
| ٩٠   | حائر بين الحلال والحرام |
| ٩٨   | لا .. ليس جسدك          |
| ١٠٥  | بلا قانون               |
| ١١٣  | المنافقة                |
| ١١٨  | رجل أعلن اسلامه         |
| ١٢٥  | بنت تكتب الخطابات       |
| ١٣٣  | بنت تحب امها            |
| ١٤٠  | موظف فى الصعيد          |
| ١٥٢  | بنت تجرى وراء الشمس     |
| ١٥٧  | هكذا قتلت زوجتى         |
| ١٦٣  | فيفى                    |

# مكتبة مصر

سعيد جوده السحار وشركاه

تقدم قائمة بمؤلفات عمالقة القصة المصرية

## كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

|                                  |                            |
|----------------------------------|----------------------------|
| (١٧) لا .. ليس جسدك              | (١) صانع الحب              |
| (١٧) لا .. ليس جسدك              | (٢) بائع الحب              |
| (١٨) عقلى وتلبى                  | (٣) انا حرة                |
| (١٩) بئر الحرمان                 | (٤) الطريق المسدود         |
| (٢٠) علبة من صفيح                | (٥) عين عمرى               |
| (٢١) ثقبوب فى الثوب الأسود       | (٦) النظارة السوداء        |
| (٢٢) بنت السلطان                 | (٧) فى بيتنا رجل           |
| (٢٣) سيده فى خدمتك               | (٨) لا انا                 |
| (٢٤) نساء لهن اسنان بيضاء        | (٩) منتهى الحب             |
| (٢٥) لا أستطيع أن أفكر وانا ارقص | (١٠) لا تطفىء الشمس (جزآن) |
| (٢٦) الوسادة الخالية             | (١١) شىء فى صدرى           |
| (٢٧) دمي ودموعى وابتهامتى        | (١٢) زوجة احمد             |
| (٢٨) الراقصة والسياسى            | (١٣) البنات والصيف         |
| (٢٩) حتى لا يطير الدخان          | (١٤) لا شىء يهم            |
| (٣٠) لا تتركونى هنا وحدى         | (١٥) انف وثلاث عيون (جزآن) |
|                                  | (١٦) شفتاه                 |

## صفحة

|     |                    |
|-----|--------------------|
| ١٧٣ | لم اعلا طفلا       |
| ١٨٠ | بنت السلطان        |
| ١٨٨ | بلا كرامة          |
| ١٩٧ | لست مغفلا          |
| ٢٠٥ | خاف العبياء        |
| ٢١٢ | لم امد يدى         |
| ٢٢٠ | رجل ينفخ البالونات |
| ٢٢٤ | بلا مطبخ           |
| ٢٣٠ | هذا البريق         |
| ٢٣٦ | شىء غير الحب       |
| ٢٤١ | لن أتزوج زميلى     |
| ٢٤٩ | اصعب الزواج        |
| ٢٥٥ | الكبرياء والزوج    |
| ٢٦٣ | أخشى               |
| ٢٦٩ | مكان لشاعر         |
| ٢٧٦ | المقامر            |
| ٢٨١ | الشخصية الجديدة    |
| ٢٨٨ | الزوجة الثانية     |
| ٢٩٥ | مقاعد المفرجين     |
| ٣٠٠ | العودة             |

## الطبعة الأولى

|                 |                     |                              |
|-----------------|---------------------|------------------------------|
| سنة ١٩٥٤        | قصة                 | قلعة الأبطال                 |
| ديسمبر سنة ١٩٥٧ | قصة                 | المستقع                      |
| يناير سنة ١٩٥٨  |                     | ام العروسة                   |
| مارس سنة ١٩٥٨   | قصة                 | وكان مساء                    |
| يونيو سنة ١٩٥٨  | قصة                 | أذرع وسيفان                  |
| سنة ١٩٥٩        | مجموعة أقاصيص       | أرملة من فلسطين              |
| سبتمبر سنة ١٩٥٩ | رواية               | الحصاد                       |
| سنة ١٩٦١        |                     | القصة من خلال تجاربي الذاتية |
| أكتوبر سنة ١٩٦٢ | قصة                 | جسر الشيطان                  |
| ديسمبر سنة ١٩٦٢ | مجموعة أقاصيص       | ليلة عاصفة                   |
| يناير سنة ١٩٦٤  | قصة                 | النصف الآخر                  |
| يونيو سنة ١٩٦٥  | رواية               | السهول البيض                 |
| يوليو سنة ١٩٦٧  |                     | وعد الله وإسرائيل            |
| يناير سنة ١٩٧٢  | قصة                 | عمر بن عبد العزيز            |
| أكتوبر سنة ١٩٧٢ | قصة                 | الحفيد                       |
| فبراير سنة ١٩٧٤ | ( قصة حياة المؤلف ) | هذه حياتي                    |
| أبريل سنة ١٩٧٤  |                     | ٦كرينات سينمائية             |

## القصصُ الديني

( للأطفال )

|             |                      |
|-------------|----------------------|
| في ١٨ جزءاً | قصص الأنبياء         |
| في ٢٤ " "   | قصص السيرة           |
| في ٢٤ جزءاً | العرب في أوروبا      |
| في ٢٠ " "   | قصص الخلفاء الراشدين |

## للمؤلف

عبد الحميد جوده السحار

## روايات وقصص واقاصيص

### الطبعة الأولى

|                    |               |                      |
|--------------------|---------------|----------------------|
| مايو سنة ١٩٤٣      | قصة           | أحمس بطل الاستقلال   |
| يوليو سنة ١٩٤٣     |               | أبو ذر الغفاري       |
| مايو سنة ١٩٤٤      |               | بلال مؤذن الرسول     |
| ديسمبر سنة ١٩٤٤    | مجموعة أقاصيص | في الوظيفة           |
| يوليو سنة ١٩٤٥     |               | سعد بن أبي وقاص      |
| فبراير سنة ١٩٤٦    | مجموعة أقاصيص | همزات الشياطين       |
| أكتوبر سنة ١٩٤٦    |               | أبناء أبي بكر الصديق |
| فرج يناير سنة ١٩٤٧ |               | الرسول (حياة محمد)   |
| سنة ١٩٤٧           | رواية         | في قافلة الزمان      |
| مايو سنة ١٩٤٨      |               | أهل البيت            |
| سنة ١٩٤٩           | قصة           | أميرة قرطبة          |
| مايو سنة ١٩٥٠      | قصة           | النقاب الأزرق        |
| سنة ١٩٥١           |               | المسيح عيسى بن مريم  |
| سنة ١٩٥٢           |               | قصص من الكتب المقدسة |
| سنة ١٩٥٢           | رواية         | الشارع الجديد        |
| سنة ١٩٥٢           | مجموعة أقاصيص | صدى السنين           |
| سنة ١٩٥٤           |               | حياة الحسين          |

# مَحَدُّ رَسُوْلِ اللهِ

## وَالَّذِينَ مَعَهُ

في عشرين جزءاً

|                          |                      |
|--------------------------|----------------------|
| (١٣) حافة الجريبة        | (١) لقيطة            |
| (١٤) الوشاح الأبيض       | (٢) بعد الغروب       |
| (١٥) الجنة العذراء       | (٣) شجرة اللبلاب     |
| (١٦) خيوط النور          | (٤) شمس الخريف       |
| (١٧) الباحث عن الحقيقة   | (٥) غصن الزيتون      |
| (١٨) البيت الصامت        | (٦) من أجل ولدي      |
| (١٩) أسطورة من كتاب الحب | (٧) سكون العاصفة     |
| (٢٠) للزمن بقية          | (٨) الماضي لا يعود   |
| (٢١) جوليت فوق سطح القمر | (٩) الوان من السعادة |
| (٢٢) قصة لم تتم          | (١٠) اشياء للذكرى    |
| (٢٣) الدموع الخرساء      | (١١) النافذة الغربية |
|                          | (١٢) الضفيرة السوداء |

|                           |             |
|---------------------------|-------------|
| ١ - ابراهيم أبو الانبياء  | أكتوبر ١٩٦٥ |
| ٢ - هاجر المصرية أم العرب | مارس ١٩٦٦   |
| ٣ - بنو اسماعيل           | سبتمبر ١٩٦٦ |
| ٤ - العدنانيون            | فبراير ١٩٦٧ |
| ٥ - قريش                  | مايو ١٩٦٧   |
| ٦ - مولد الرسول           | يولية ١٩٦٧  |
| ٧ - اليتيم                | أكتوبر ١٩٦٧ |
| ٨ - خديجة بنت خويلد       | يناير ١٩٦٨  |
| ٩ - دعوة ابراهيم          | مارس ١٩٦٨   |
| ١٠ - عام الحزن            | مارس ١٩٦٨   |
| ١١ - الهجرة               | سبتمبر ١٩٦٨ |
| ١٢ - غزوة بدر             | نوفمبر ١٩٦٨ |
| ١٣ - غزوة أحد             | يناير ١٩٦٩  |
| ١٤ - غزوة الخندق          | مايو ١٩٦٩   |
| ١٥ - صلح الحديبية         | يولية ١٩٦٩  |
| ١٦ - فتح مكة              | نوفمبر ١٩٦٩ |
| ١٧ - غزوة تبوك            | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ١٨ - عام الوفود           | مايو ١٩٧٠   |
| ١٩ - حجة الوداع           | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ٢٠ - وفاة الرسول          | ديسمبر ١٩٧٠ |